بصمات على دروب النجاح

بقلم محافظ الجنوب **الأستاذ فيصل الصايغ**

كلّ إنسان هو كتاب بمعنى ما. وليس بالضرورة أن يؤلّف كتباً ليصبح كاتباً. فكل واحد منا منذ لحظة ولادته يخطّ قصة، هي قصة حياته.

الناس طبعاً، بخلاف الكُتّاب والأدباء، ليسوا أحراراً في ابتكار الحياة التي يريدون، وفي وضع تصميم لبداياتها وفصولها ونهايتها.

كما أنّ الناس وهم يكدّون ويعملون ويلهون،

إنّما يعيشون عمرهم، ونادراً ما يشعرون بأنهم، من حيث لا يدرون، يكتبون قصةً قد تكون عاديّةً أو عظيمة، سعيدةً أو مأساوية...

أروع القصص هي تلك التي يكتبها الناس بعرقهم وطموحهم وأفكارهم الخلاّقة، ومصارعتهم الحياة بصعابها ومشاكلها، ويتحوّلون من خلالها إلى مثالٍ يُحتذى، وهؤلاء قلّة القلّة للأسف، وهذا ما يزيد من أهميتهم، ويجعل من نشر سير حياتهم ونجاحاتهم ضرورة لزرع الأمل في نفوس الآخرين، ولِيُثبتوا للأجيال الصاعدة أنّ المستحيل ممكنٌ بقليل من الصبر والحكمة.

والجنوب غنيٌّ بالقصص التي خطّها أبناؤه، غنيٌّ بقصص البطولة والمواجهة والتحدّي والتغلّب على الحزن واليأس في أكبر مواجهة في تاريخ العرب الحديث، بين شعبٍ شبه أعزل ووحيد، وترسانة حربيّة في يد عدوٍّ شرسٍ ومحتلٍّ وغاصب... الجنوب غنيٌّ، وهذا ما نكتشفه في هذا الكتاب من خلال نجاحات أبنائه في مختلف الميادين، في عالم السياسة، والمال والصناعة والثقافة وغيرها. وهذه النجاحات هي جزء من معجزة صمود الجنوب، لأنها تعبيرٌ صارخٌ عن رغبةٍ جامحةٍ بالحياة والنجاح والتفوّق.

وعندما سألني الزميل هلال (وهنا أشير إلى زمالة أهل الصحافة والنشر الذين أعتزّ أنني واحد منهم) المشاركة بكلمة في هذا الكتاب، شعرت وكأنّه يضعني في لحظة حساب مع نفسي لم أتهيّأ لها. وتساءلت هل يمكن فعلاً أن أصنّف نفسي في خانة الذين سلكوا دروب النجاح؟ وكيف يقاس النجاح؟

وعادت بي الذاكرة إلى الوراء، إلى البرازيل حيث ولدت عام 1961 من أب قاده الطموح وروح المغامرة إلى ما وراء البحار، إلى مدرسة شارل سعد في الشويفات حيث تعلّمت، إلى الجامعة الأميركية التي تخرّجت منها عام 1983 حاملاً إجازة في العلوم الاقتصادية.

وعادت بي الذاكرة إلى أيام طفولتي ومراهقتي بحلوها ومرّها، وكيف أجبرني والدي وكنت في الثالثة عشرة من عمري على العمل خلال الفرصة الصيفية في المطبعة التي كان يملكها آنذاك وكانت مهمّتي في يومي الأول تنظيف أرض المطبعة، عملاً بقاعدة أنّ الكفاءة لا تحصل بالوراثة وإنّما تأتي نتيجة جهد وسعي، وأنّ صعود السلّم يكون درجة درجة.

الآن، بعد أكثر من عشرين عاماً على هذه الذكرى أدرك أن مرارة تلك اللحظة هي أساس لحلو النجاحات التي حقّقتها، فيما بعد، في مجالي الدراسة والعمل. إذ عندما أصبحت مديراً لمجلة الحسناء ولم أبلغ الخامسة والعشرين بعد، كنت ملماً بمختلف جوانب العمل الإعلامي من المطبعة إلى الإدارة فالإعلانات والتحرير والتوزيع...

وعندما انفصلت عن والدي لأبدأ مشروعي الإعلامي الخاص عام 1988 كنت أمتلك خبرة العامل وصاحب المؤسسة في آن واحد.

طبعاً ليس هناك من إنسان ينجح بمفرده، دائماً هناك أناس يساعدونه عن قصد أو غير قصد على سلوك دروب النجاح. وهؤلاء كثر في حياتي من والدي وإخوتي وزوجتي وإلى أصدقائي وزملائي في العمل، بل حتى الذين كنت في منافسة ومواجهة معهم في ميادين العمل والحياة، منحوني من حيث لا يدرون قدرةً على الصبر والمواجهة، والتغلّب على الصعاب.

وعندما شاءت الظروف أن أنتقل من عالم الإعلام إلى عالم الإدارة العامة عند تعييني محافظاً للبنان الجنوبي في تموز من عام 1996، وجدت نفسي محكوماً بمغامرة جديدةٍ وبمواجهة، وجهاً لوجه، مع النجاح أو الفشل.

وأذكر عندما دخلت مكتبي في السراي لأول مرة، أنني تذكّرت يومي الأول في المطبعة. وتمنيّت للحظة لو أنه قدر لي أن أبدأ العمل في الإدارة من الصغر قبل أن أصبح محافظاً. لكنّ الأقدار شاءت أن يأتي الأمر معكوساً. وكان لا بد لي من قبول التحدّي. فبدأت وأنا جالس على كرسي المحافظ الاطّلاع على تفاصيل العمل الإداري الرسمي من أبسط وظيفة، إلى آليّة أبسط

المعاملات الإدارية، إلى تنسيق عمل الإدارات، إلى تنظيم العلاقة بين الإدارة والناس، إلى الاهتمام بالشأن العام بمختلف نواحيه السياسية والأمنية والاجتماعية وغيرها...

الآن، وأنا في السابعة والثلاثين من عمري، وبعد عامين تقريباً من تعييني محافظاً للجنوب، أتساءل هل نجحت حقاً؟ ألم يكن ممكناً أن أحقّق نجاحاتٍ أكبر؟ وأين أخطأت؟ وكيف أصوّب أخطائي؟

العمر قصة، هذا صحيح، لكن القصة الجميلة هي التي تنطلق من ثقةٍ بالنفس مجبولة بمحبّة الناس. صفتان آمنت بهما، وأراهما مجسّدتين في هذا العمل المميّز للأخ هلال حبلي، هذا الشاب الذي يشقّ طريقه في عالم الإعلام بالصورة والكلمة بإصرارٍ على النجاح والتفوّق، ورغبة في التألّق نجدها محقّقة في هذا الكتاب الذي يشكّل خطوةً واثقةً في الاتّجاه الصحيح.

بصمات على دروب النجاح

المفتي الشيخ محمد سليم جلال الدين

ظلّت المرجعيات الروحية إبان المحنة الطويلة التي عصفت بالوطن، خطّ الدفاع الأول في الحفاظ على لبنان، فصحّ قول من وصف لبنان بأن قيمته الحضارية هي في تنوّعه الطائفي، وأنه ملتقى الأديان والرسالات السماوية.

إنها كلمة الحق التي بقيت مدوّية في أرجاء هذا الوطن رغم كثرة الفتن وكثرة الأعداء المتربصين بلبنان.

والشيخ محمد سليم جلال الدين، عضو المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، مفتي صيدا والجنوب، واحد من المرجعيات الروحية اللبنانية التي واجهت بالكلمة والموقف كلّ فتنة، وعانددت الاحتلال الإسرائيلي حتى خروجه مدحوراً من عاصمة الجنوب صيدا في العام 1985.

هو محمد سليم بن أحمد جلال الدين، نشأ وترعرع في مدينة صيدا إبان الحرب العالمية الأولى. وما رافقها من مآسٍ وويلات.

تلقّى العلم في مدارس أهلية متنوّعة وحاز البكالوريا اللبنانية في لبنان وشهادة عالِم دين من جامع الأزهر في القاهرة.

بدأ حياته العملية مدرساً للرياضيات في كلّية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا، ثمّ انتقل بعدها إلى منصب قاضٍ للشرع طيلة أربعين عاماً ونصف العام، حيث كان جاداً في فصل الخصومات وفضّ النزاعات. ساعياً إلى الإصلاح بين المتخاصمين ما أمكنه، مؤمناً بأن القضاء هو من أقوى الفرائض وأشرف العبادات بعد الإيمان بالله تعالى.

ثم كُلِّف بمهام الإفتاء في صيدا والجنوب إبان احتلال القوات الإسرائيلية لصيدا والجنوب. ومنذ ذلك الوقت وهو يقوم برعاية مصالح المسلمين الدينية والوقفية والاجتماعية ويضع المناهج الواجب اتّباعها في شؤون الوعظ والتوجيه والتوعية الإسلامية، ويقف مع فاعليات المدينة وشعبها، وشعب الجنوب في وجه تحدّيات المحتل الإسرائيلي، وما زال متمسكاً بموقفه هذا.

يرى المفتي جلال الدين أن الجنوب اللبناني أثبت منذ الاجتياح الإسرائيلي الأول عام 1978

أنه قلعةٌ للصمود ورمزٌ للتصدّي، وموئلٌ للعزّة والكرامة والإباء، ومثالٌ في تقديم التضحيات والمحافظة على التقاليد والأخلاق والتمسك بالأرض والوطن والتراث.

ويقول: "إن شباب الجنوب ورجاله ونسائه وأطفاله الذين يعانون من حقد المحتل وممارساته التعسّفية المستمرّة، يقفون اليوم وقفتهم المعهودة، يواجهون تجمعاته غير مبالين بطائراته ودبّاباته وصواريخه، مقدمين الشهداء وموقنين بأن النصر سيكون حليفهم بإذن الله".

ويؤكّد المفتي جلال الدين على أن الشعب اللبناني متمسكٌ بوطنه وأرضه وجادٌّ في إعادة بناء ما خرّبته الحرب، وما تدمّره الاعتداءات الإسرائيلية من مرافق حيوية.

ويقول: "شعبنا مؤمنٌ بالنهوض بالوطن سبيلاً لقيام دولة متقدمة تجاري التطوّر العالمي، دولة المبادئ الإنسانية الرفيعة واحترام القانون والتعاليم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية".

ويتوجّه بالنصيحة إلى الشباب الجنوبي قائلاً: "أنتم المؤتمنون على أرض هذا الوطن وعزّة أهله وكرامته وحرّيته واستقلاله، فاحرصوا على وحدة الصفّ والقرار ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم. واكبوا التقدّم العلمي والحضاري ولا تهملوا التربية الروحية التي توقظ الضّمير وتصقل الوجدان وتهذّب الأخلاق، وتابعوا مسيرة الصّمود والتصدّي والمقاومة حتى النصر بإذن الله".

ويحذّر المفتي جلال الدين من معركة التحدّي الثقافي والفكري والعقائدي التي تواجهنا بها إسرائيل بوسائل جهنمية، منها نشر الأفكار الإلحادية والعلمانية، وإشاعة الثقافة المنحلّة، والتشكيك بأصالة الانتماء إلى الإسلام أو العروبة..

ويقول: "من هنا يجب التركيز على التربية الروحية التي تتعهّد الإيمان فتقوّيه، والوعي فترشده، والضمير فتوقظه، ليصبح الشاب في مأمنٍ من التيارات الغربية، ووسائل الإعلام الموجّهة من شركات عالمية، همّها نشر الأفكار الضالّة، والمبادئ الهدّامة، والدعوات الهادفة إلى التخلّي عن المبادئ الإنسانية الرفيعة والمُثُل العليا، التي جاءت من السماء، داعيةً إلى كلّ خيرٍ وصلاحٍ

بصمات على دروب النجاح

السيد حسين علي طعان

لقد حدّثني أكثر من صديق عن تلك الحديقة التي يملكها شخص يدعى حسين طعّان في منطقة "المصيلح" والتي يجمع فيها الطيور النادرة وبعض الحيوانات الأليفة. وقال محدِّثي: يزورها الناس من كلّ أنحاء لبنان جنوباً وشمالاً ساحلاً وجبلاً. وكانوا يصطحبون أولادهم وأطفالهم بغية تخفيف الهموم والمشاكل التي كانت تلفّ البلاد والعباد في تلك

الحقبة المريرة والمشؤومة من تاريخ الوطن. حروب وويلات كانت تجوب البلاد وتنشر الرعب والفساد بسلاح مذهبي وطائفي وإقليمي، تصبّ حممها فوق الناس دون تفريق ولا تمييز ودون حسيب أو رقيب. من هنا كانت البداية وكان عندي إصرار على مقابلة هذا الرجل المدعو حسين طعّان والتعرّف عليه عن قرب، لكنني وبكلّ أسف لم أوفّق بسبب للظروف القاسية التي كانت تمرّ بها البلاد كما ذكرت أعلاه، كان ذلك في العام 1987 وحتى العام 1998 الحالي حيث التقيت السيد حسين في مكتبه بالمصيلح.

والحقيقة أنني فوجئت عند مقابلته للمرّة الأولى، لأنني كنت أتوقّع أن أرى أمامي رجلاً كبيراً وضخماً عاركته السنين وأضناه الجهاد في بلاد الاغتراب، وإذ بي أمام إنسان ممتلئ بالحيويّة والشباب، يرتدي ملابس رياضية ويتكلّم بهدوء وبجدّية.

غادر طعّان لبنان في العام 1958 إلى أفريقيا وكانت هجرته يومذاك قسريّة حيث كان والكثيرون من رفاقه أيام الدراسة ينتمون إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي، وكانت الحرب الأهلية يومها في أوجها والمدّ الناصري الذي كان مسيطراً على الشارع اللبناني والإسلامي بشكل خاص، وكلّ من لا يؤمن يومها بهذا الاتجاه كان أمامه خياران: القبول بما هو سائد وموجود أو الرحيل. وقد اختار طعّان الخيار الأخير وسافر إلى أفريقيا، وأصبح مقتنعاً بالمثل القائل "ربّ ضارّة نافعة".

وبعد هذا الغياب القسري عاد طعّان إلى الوطن وانخرط بالعمل التجاري والزراعي الذي أخذ

حيّزاً كبيراً من وقته وجهده لأنه متعلق بالأرض والطبيعة والتراب لدرجة العشق، وهو لا يزال حتى اليوم عاشقاً ومغرماً بهذه الأرض الطيّبة.

يفتح باب شرفة مكتبه المطلّة على وادٍ سحيقٍ يمرّ وسطه نهر الزهراني ومروج خضراء تتماوج وتتراقص أغصانها فوق تلك الهضاب المترامية الأطراف، كأنها العرائس ليلة الزفاف. قائلاً: هذا هو حسين طعّان ألا يكفي أن ترى كلّ هذه اللوحات الجميلة أمام ناظريك وكأن يد الخالق قد رسمتها وأتقنت الرسم والإبداع.

ويضيف: لقد أغنيت بتعبي وكفاحي وصمودي هذه اللوحات المنتشرة في كلّ أنحاء المزرعة وعلى امتداد الطريق من الزهراني حتى نهاية حدود المصيلح، ولا بد لي في هذه المناسبة أن أذكر بالشكر ما قدّمه الرئيس نبيه بري من إغناء لهذه المنطقة علاوة على وجوده فيها من خدمات كبيرة.

يرى حسين طعّان أن المرحلة التي تعيشها البلاد دقيقة للغاية وأنها قد تحتاج إلى منجّم ليرسم المستقبل الذي ينتظرنا، والحالة التي قد تنتج عن كلّ هذه المعاناة التي تفوق الاحتمال؛ المصاعب المعيشية والاجتماعية؛ والصناعية والزراعية والاقتصاد بشكل عام، البلد شبه مفلس إن لم يكن قد أفلس وانتهى.

ويقول: الناس كلّ الناس وأخصّ بالذكر النخبة الذين يحملون الشهادات العالية، يبحثون عن عمل في بعض الأحيان أدنى بكثير من المستوى الذي يتناسب مع إمكاناتهم وكفاءتهم العلمية ولكن دون جدوى. أنا لا أريد الخوض في القطاع التجاري أو الصناعي وإنما أكتفي بكلمة عابرة عن القطاع الزراعي، لأنني أهتمّ بهذا المجال وأنا واحد من المزارعين اللبنانيين الذين فقدوا الأمل بكلّ شيء له علاقة بالعمل الزراعي على صعيد الدولة. وإنني لا أخفي عليك سراً بأن الزراعة في لبنان قد دخلت مرحلة اليأس أيّ الغيبوبة وهي تنتظر الموت المؤكّد، وعن المزارعين فمنهم من قضى ومنهم من ينتظر، والحال هي الحال والدولة هي الدولة والإهمال سيّد الموقف. إذاً الوطن والمواطن يسيران معاً باتجاه انحداري لا يعلم إلا اللّه وحده والراسخون بعلم الفلك أين ستستقرّ بهم هذه الحالة المأساوية الضارية. وكلّ آتٍ قريب.

ويتوجه طعّان إلى أبناء الجنوب بأن يتوكّلوا على اللّه وحده لأن ما تقدمه الدولة من خدمات هو غير كافٍ ولا يتناسب مع ما يقدّمه هذا الجنوب من تضحيات وما يعانيه من إذلال في بعض

الحالات، ويطلبون منه الصمود. ويقول: بماذا يصمد وقد أرهقته سنون الحروب الماضية، وتعب أبناؤه من النزوح والعودة والكرّ والفرّ، وإسرائيل العدو الأبدي السرمدي تطلّ كالأفعى وتتربص بنا، وترسل إلينا تحياتها اليومية بمدافعها وطيرانها وعدوانها اليومي صباحَ مساءَ. وقد رضخت ولكن بعد مرور عشرين عاماً واعترفت بالقرار الدولي رقم 425، وإذا جاز هذا الكلام فإن الفضل يعود أولاً وآخراً إلى المقاومة البطلة التي أربكت العدو، وقضّت مضاجعه وأرغمته على هذا الاعتراف. وبهذه المناسبة أوجّه من هنا، من المصيلح، ومن الجنوب المقاوم تحيّة إكبارٍ واعترافٍ إلى كلّ مقاومٍ، حمل السّلاح في وجه العدو المغتصب. وإننا ننتظر تحت وطأة العمل الجهادي المبارك، انسحاب إسرائيل الكامل عن أرضنا الطاهرة العربية المحتلّة في كلّ الوطن العربي الكبير.

وعن سبب عدم ترشّحه للانتخابات النيابية يقول طعّان: أنا أفضّل ألف مرّة الجلوس تحت السنديانة ولقاء المزارعين الذين يعملون في مزرعتي، نتناول الشاي ونتبادل الأحاديث الزراعية حيناً والبلدية والسياسية أحياناً، في هذا المكان وتحت هذه الشجرة أجد نفسي وشخصيتي، أفضّله على الجلوس في المقاعد الأمامية في المجلس النيابي. ولا ينطبق ذلك على ما يقوله البعض "حصرم رأيته في حلب"، وإنني عندما أقول ذلك فلا أقصد التقليل من قدر المجلس النيابي وما يمثّله من قيمة وطنية وشعبية، إنما هذا رأيي الشخصي ولي الحقّ أن أعبّر عنه بحرية. وأنا أصلاً لا تستهويني السياسة المحلية ولا تشدّني بأيّ شكلٍ من الأشكال.

أما ما قدّمته لوطني بشكل عام ولأبناء منطقتي بشكلٍ خاص، فهذا أمر لا أريد الحديث عنه بل أترك ذلك لكلّ من عرفني كبيراً كان أم صغيراً، فقيراً أم غنّياً. وبالنتيجة الغنيّ هو اللّه الذي أنعم عليّ من فضله وإحسانه، وأحياناً تعمل خيراً وتحصد شراً، وهذا أمرٌ يحصل غالباً، ولكن عليك أن تتحصّن بكلام الشاعر حيث يقول:

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه — فلا يضيع جميلٌ أينما زُرعا

ورغم أن لديه مسكناً في العاصمة بيروت، يتواجد طعّان باستمرار في مزرعته في الجنوب

ويوضّح سبب ذلك بقوله: من تتهيّأ له هذه الظروف، وهذه الأجواء، وهذه الطبيعة الجميلة الخلاّبة، وتطأ قدماه هذه المنطقة بالذّات، ويرى ما تراه أمامك، مروجاً من الطيّون والزعتر، وبينهما شقائق النعمان، تفترش هذه الهضاب المنبسطة أمامك، تتناغم مع شجيرات اللّوز والدّراق، وتكسوها ألوان زاهية بيضاء ومرجانيّة، تلعق النّدى وتفرز رائحةً شجيّةً، بعد أن تمتزج مع رائحة زهر الليمون الذي يغطي مساحاتٍ كبيرةً في هذه المزرعة، فيزيد الجمال جمالاً، ويكون سبباً كافياً لبقائي هنا في الجنوب، رغم أن بيروت هي عاصمة بلادي وأجمل عواصم العالم.

ويأمل حسين طعّان أن يفرّج اللّه عن لبنان وأن يحطّم تجبّر إسرائيل وينصرنا عليها ويبارك اللّه المقاومة كلّ المقاومة، لتتمكّن من تكبيد العدو الغاصب الخسائر الكبيرة وتكبح جماحه وتقضي على عنجهيّته التي يحاول ابتلاع الكون من خلالها، إن اللّه قادرٌ على كلِّ شيءٍ وهو بكلِّ شيءٍ عليم.

بصمات على دروب النجاح

السيد حسين علي حسين خليفة

في قلب كلٍّ منا حيِّز يشغله حبّ الوطن، يتّسع أو يضيق بقدر تعلّقنا بوطننا. ولذا ترى الإنسان الذي يتغرّب عن وطنه، يبقى مشدوداً إليه مهما طالت سنوات الغربة، ليعود في النهاية إلى الأرض التي أحبّ..

هي قصة الكثير من المغتربين وأصحاب الأعمال الكبيرة الذين اندمجوا في الحياة الاقتصادية والعامة بعدما أسّسوا أعمالهم في الغربة أو كدّوا واجتهدوا لتأسيسها في وطنهم..

والحاج حسين علي حسين خليفة رجل أعمال وصاحب أكبر سوق تجاري في منطقة الزهراني، لم يكن تكوين الثروة همّه بقدر ما كان هذا الهمّ هو توظيف ثروته في ما يعود بالفائدة عليه وعلى منطقته ووطنه.. فهذا الجنوبي العصامي انطلق في الحياة بشهادة السيرتيفيكا، نظراً لظروف العائلة آنذاك ونظراً لكونه كبير إخوته والساعد الأيمن لوالده، في وقت كان لبنان يمرّ بأصعب مراحل حياته، والحرمان يكاد يشمل كلّ بلدة وقرية جنوبية كان ذلك في العام 1958، وقتها عمل حسين الابن مع والده وهو في سن الثامنة وكان واحداً من أصل 12 شقيقاً في بيت واحد، وهكذا كان العمل الأول في مجال بيع الخردوات حتى تحسّنت أوضاع العائلة قليلاً، ومنذ صغره، كان حسين خليفة فتى حالماً طموحاً، محباً للمغامرة والسفر، وهو لم يفوّت أيّة فرصة لتحقيق طموحه، وكان ذلك في العام 1974 حين سافر إلى دولة الكويت، وبعدها إلى المملكة العربية السعودية في العام 1977 حيث استمرّ يعمل فيها ولا زال حتى بعد عودته إلى لبنان بعد الانسحاب الإسرائيلي في العام 1985.

ويصف الحاج خليفة مرحلة عمله في السعودية بأنه كان يعيش في بلده ولا يشعر بأيّ تمييز في المعاملة.

ويقول: "كوّنت نفسي وبقيت في المملكة إلى أن كان العام 1982 فأرسلت وراء عائلتي

لتعيش معي هناك، وعندما انسحبت إسرائيل إلى صور. عدنا ومن ثمّ عدت بشكل نهائي بعدما عاد الاستقرار إلى الوطن لأبدأ بمشروع مفيد. فالإنسان بعد عشرين سنة غربة يشعر بالحنين إلى وطنه وإلى الاستقرار النفسي".

وبالفعل حقّق خليفة طموحه، وبدأ بمشروع السوبر ماركت، فكان مشروعاً فريداً من نوعه، ولم يثنه عن هذا الأمر كلّ التحدّيات التي كان يواجهها الجنوب ولا يزال، لا سيما الاعتداءات الإسرائيلية من قصف وغارات فاستمرّ يواجه الصعاب مزوّداً بحبّه لأرضه ووطنه.

وهو يقول في ذلك: "إذا تخلّى الواحد منا عن وطنه في أقسى الظروف فكيف سيبني وطناً ومستقبلاً. فما يتعرّض له الجنوب من اعتداءات إسرائيلية، يعاني منه كلّ أبناء الجنوب وليس أنا وحدي، وأنا جزء من هذا الشعب ومن هذا الوطن وواجبي أن أصمد وأبقى مع أهلي وأبناء منطقتي، وتأسيسي لهذا المشروع في الجنوب هو بحدّ ذاته صمود ومقاومة من نوع آخر..".

وعن اختياره لهذا المشروع يقول خليفة أنه عايش مشاريع مماثلة خلال غربته وأعجبه الأمر، وأنه أراد من خلاله المساهمة في تحسين الوضع الاقتصادي في المنطقة.

ورغم أنه لم ينه كلَّ أعماله في الخارج، إلا أن الحاج حسين خليفة لديه ملء الثقة بالمجتمع اللبناني وبأن اللبنانيين قادرون على استعادة الثقة ببلدهم في مختلف المجالات.

ويقول: "بالنسبة لإبقائي على عملي في الخارج فهو تدبير احترازي في حال –لا سمح الله– تعرّض لبنان لأيّة هزّات..".

ولكن طموحاته لا تتوقّف عند الحدّ الذي وصل إليه ولذلك فهو يسعى لتوسيع أعماله والمشاريع التي يقوم بها في لبنان وفي الخارج، وإن كان يولي أهمية أكبر لأعماله في الخارج لتكون سنداً لمشاريعه في لبنان أو تعويضاً لأيّ عجز قد تتعرّض له أعماله هنا..

ويحبّذ خليفة فكرة سفر الشباب وهجرتهم ويرى في ذلك تجربة مفيدة لهم. فيقول: "كلّ شاب لديه طموحات وحبّ المغامرة والسفر وفي الوقت نفسه حبّ الوطن. وأنا أشجّع الشاب على الغربة لأنها مدرسة ثانية ومورد لجمع الثروة وفي النهاية يعود الشاب إلى وطنه ليبني ويؤسّس وينتج..".

وليس بالضرورة حسب رأي خليفة أن يتّجه جميع الشباب إلى التعليم والتخصّص في مهن معيّنة كالطب والهندسة والمحاماة. وهو يفضّل التوجه المهني الحرّ كالأعمال التجارية وإدارة الأعمال والأعمال الصناعية لأن لها نطاقاً واسعاً للتطوّر والإنتاج...

وللصبر عند خليفة مكانة عالية كسبيل للنجاح، حيث يقول: "عندما سافرت إلى السعودية مررت بظروف صعبة جداً، لكني لم أيأس وصبرت حتى انتهت المحنة. وأنا هنا أوجه نداءً إلى الشباب بأن لا ييأسوا من الحياة، وإذا ما فشلوا في مرحلة ما، عليهم أن يستمرّوا ويحاولوا مرّة ومرّتين وثلاثاً حتى يصيبوا الهدف..".

ويشجّع خليفة أيّ إنسان يرى فيه عناصر الطموح والنجاح والعزيمة. وهو مستعدٌّ كما يقول للقيام بأيّ مشروع مع الشباب المكافح ولإفادتهم من خبرته وتجاربه في الحياة ويقول: "دعوتي للشاب الجنوبي خاصة بأن يبقى صامداً ومؤمناً بربّه وبوطنه. وأن يغامر ويجرّب كلّ ما يعود بالنفع عليه وعلى وطنه طبعاً مع مراعاة كلّ ما أحلّه الله لنا وما حرّمه علينا، والسفر والمغامرة يمنحان صاحبهما القوّة والخبرة في الحياة والقدرة على المساعدة في تحسين اقتصاد هذا البلد..".

بصمات على دروب النجاح

المفتي الشيخ عبد الأمير قبلان

يقول الحديث الشريف: "العلماء ورثة الأنبياء". فالعلم ملكة إن أحسن استخدامها حقّقت أسمى الرسالات. وخير العلم هو علم ينتفع به.

ورجال الدِّين هم علماء الروح، لذلك تُلقى على المرجعيات الروحية مسؤوليات أسمى وأكبر قدراً من غيرهم من العلماء. فهم نور الهداية والمثال المحتذى في الحياة والمربّي للأخلاق التي هي دستور الدِّين.

والشيخ عبد الأمير قبلان، نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، والمفتي الجعفري الممتاز، واحد من المرجعيات الروحية المشهود لها بأصولها ومواقعها الدِّينية .

هو نجل آية الله الشيخ موسى قبلان، ولد في بلدة ميس الجبل – مرجعيون من عائلة علمية. فعاش ولا يزال في بيت علم ودين، وأسرة محافظة تنهج الأصول الشرعية والمبادئ الإسلامية وقيم أهل البيت (عليهم السلام)، أخلاقاً وممارسةً ومعاملةً.

تدرّج في المدرسة العاملية في بيروت (الكلّية العاملية اليوم) ثم انتقل منها إلى النجف الأشرف في العراق حيث تابع دراسته الدينية على أيدي علمائها الأفاضل. وحضَّر بحثاً حول "الخارج عند مراجع التقليد" متناولاً المرجعين الكبيرين السيد محسن الحكيم والسيد أبا القاسم الخوئي. ثم كلّفه المرجع السيد الحكيم بالعودة إلى لبنان لمتابعة رسالته الدينية والعلمية عبر ممارسة الشعائر الدينية في مسجد الحسين بن علي التابع لـ"الجمعية الخيرية الإسلامية" في برج البراجنة عام 1963، حيث ساهم في بناء مدرسة تابعة للجمعية هي "مدرسة التكامل الإسلامية" وساهم في إكمال بناء مسجد الحسين بن علي، وفي تأسيس نادٍ حسيني ومستوصف في المنطقة نفسها.

كان من المقرّبين إلى الإمام السيد موسى الصدر، وأسهم معه في تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى عام 1969. ثم انتُخب عضواً في الهيئة الشرعية، ليُعيّن بعدها مفتياً جعفرياً ممتازاً وما زال.

وفي انتخابات المجلس الأخيرة، تمّ انتخابه نائباً لرئيسه، هذا إضافةً إلى العديد من الأعمال والمؤلفات منها "عقيدة المؤمن"، "خلق المؤمن"، "عمل المؤمن"، "دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين"، "الكبائر"، "الغيبة"، "من وحي رمضان"، "من وحي عاشوراء"، "في ظل الغدير"، "في رحاب الإمام السجّاد"، "الجديد في قواعد الكتابة" ومؤلفات أخرى طُبعت ونُشرت.

كان المفتي قبلان، كغيره من أبناء عاملة، يعيش حالة العداء للاحتلال الإسرائيلي، ويمارس هذه الحالة على الأرض عبر الاجتماعات والخُطب وجلسات التوعية والتعبئة لأهل الجنوب ضدّ العدو الإسرائيلي، يحذّرهم من التعامل مع هذا العدو، ويشرح لهم تحريم الشرع للتعاطي معه، وحتى مصافحته والسلام عليه.

ويقول المفتي قبلان: "هذا العدو الإسرائيلي البغيض، قصد من مجيئه إلينا احتلال أرضنا ونهب مياهنا، وهو يعمل باستمرار لبثّ التفرقة في صفوف اللبنانيين حتى تكون الفتنة في أرضنا بعيداً عن كيانه المغتصب لأرض فلسطين".

ولا يفوّت المفتي قبلان مناسبة من دون أن يفضح نوايا وأعمال الاحتلال الإسرائيلي. وهو يدعو دائماً لتنفيذ القرارات الدولية لا سيما القرار 425.

ويقول: "إذا لم تطبق إسرائيل هذا القرار، عليها أن تنتظر مزيداً من المطاردة من قبل الشباب المناضل والمجاهد الذي نال من الاحتلال الإسرائيلي بلحمه العاري. إننا على خطٍّ رسمناه لأنفسنا هو محاربة المحتل وعدم التعامل معه ولا مدّ اليد إليه. ونقول لأهلنا في الشريط الحدودي المحتل: "اصبروا لأن الصبر مفتاح الفرج، ونقول لإسرائيل: سوف تخرجين من أرضنا رغماً عنك لأنك غريبة عن لغتنا وعن أخلاقنا ودیننا وحياتنا ولا تتحلّين لا بقيم ولا بأخلاق ولا بكرامة..".

ويرى المفتي قبلان أن الشعب اللبناني هو أكثر شعب صبر على الأذى وواجه أعداءه، شعب يتحلّى بالصدق في المعاملة ويحبّ بعضه بعضاً، وأنه من أفضل شعوب المنطقة..

ويدعو المفتي قبلان الجيل الصاعد إلى التوجه نحو بناء المجتمع الأهلي الموحّد المتفهّم والمتفاهم وينصحه بالخروج من كهف الطائفية والمذهبية والمناطقية والدخول إلى حرم الوطن من بابه الواسع.

ويقول: "أنتم النخبة، ومن خلالكم يُنظر إلى لبنان الحاضر والثقافة والتقدّم والرّقي. إياكم والمشاكل الجانبية والحساسيات، اختلفوا من أجل الوطن وليس على الوطن، لأنه بحاجة إلى معادنكم الطيّبة وإرادتكم الوطنية. فأنا مع ممارسة الآخر لحقّه الديني في مسجده أو كنيسته، وفي الوقت نفسه مع ممارسته لحقّه الوطني والاجتماعي والعمراني والثقافي خارج دور العبادة".

ويعتبر المفتي قبلان أن قيمة لبنان هي في تنوّعه الديني وتعدّديته الطائفية التي توظّف لخدمة الوطن، لا لتقسيمه.

ويقول: "لدينا عدوّ هو في السلم أخطر منه في الحرب، فعلينا أن نبني وطناً يكون بالمرصاد لمطامع العدوّ الإسرائيلي وهذا الغزو الإسرائيلي نحونا يحتاج إلى زحفٍ منا نحو العلم والثقافة والوحدة والتعاون والمحبة والألفة فيما بيننا".

وينصح المفتي قبلان اللبناني بالبقاء حيث هو، لأن الوضع في البلاد لا يحتمل استيعاب كلّ الكفاءات والقدرات الموجودة في الخارج، ما دمنا نعيش حالة المواجهة مع إسرائيل، ويطلب من المغتربين انتظار الفرص المناسبة للعودة، عندما يُزاح هذا الكابوس الإسرائيلي عن الأراضي اللبنانية. ويقول: "كلمتنا لكلّ من يملك القدرة المعنوية أو المادية أن يتوجّه جنوباً ليقوّي صمود الناس في أرضهم ويقوّي أيضاً المقاومة في نضالها وجهادها ضدّ العدوّ الإسرائيلي".

بصمات على دروب النجاح

الأرشمندريت سليم غزال

قال جبران: ".. وإن من ينظر إلى فضيلته نظرته إلى أفضل حلّة يلبسها، فالأجدر به أن يسير بين الناس عارياً.." (كتاب النبي)

فالفضيلة والعمل الصالح ليسا ثوباً نرتديه ونتباهى به أمام الناس، بل هو سرٌّ كامنٌ في النفس وقنديل هداية ينير دروب التائهين..

والإنسان الذي يغلب حبّ الناس حبّه لنفسه، هو

إنسان يبسط قلبه روضةً خضراء غناء، تتّسع لجميع البشر على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم..

وجه من خيرة وجوه الوطن، ومبشر بالمحبّة والتعايش، انطلق، قبل حوالي ستة عقود من الزمن، من أقاصي البقاع الغربي، من بلدة مشغرة، مدركاً ذلك السرّ الكامن في الإنسان، اللقاء مع الآخر، وعاملاً على تكريسه نهجاً تعايشياً في وطنه.

الأرشمندريت سليم غزال، الرئيس العام للرهبانية المخلصية، ذلك الزاهد إلا في حبّ الوطن، المتفائل إلى أقصى الحدود، العازف على أوتار الروح لحن إيمان ومحبة..

ولد الأب سليم غزال في السابع من تموز عام 1931 في عائلة مسيحية تتألف من ستة أفراد، كانوا يعملون جميعاً في أرض مشغرة البقاعية التي كانت كرومها وبساتينها تدرّ الخير والبركة، إضافةً إلى عملهم في مهنة الدباغة..

نشأ في بيئة يعيش فيها المسيحيون والمسلمون الشيعة حالة وئامٍ تام، لم

يكن يعكّر صفوها إلا خصومات الصبية في ساحة البلدة، وسرعان ما تعود الألفة ويسود التسامح، ولا يشعر أحد بالتمايز والاختلاف بسبب الاسم أو العائلة أو الدين..

هذه النشأة السمحاء، تركت في نفس الأب غزال أثراً عميقاً وشكّلت دافعاً له باتجاه العمل الاجتماعي والوطني في المستقبل، فهو لم يشعر يوماً بأيّ ضيقٍ أو تزمّت تجاه الآخر بسبب دينه أو

انتمائه، مما ساعده على تخطّي العديد من الصعوبات إبان الحرب اللبنانية.

انتسب الأب غزال إلى الرهبانية المخلصية وهو في التاسعة عشرة من عمره، وبلغ درجة الكهنوت في حزيران من العام 1958، ليلتحق بعدها بالعمل الرسولي في أبرشية صيدا الكاثوليكية، ولتبدأ بعد ذلك الحلقة الأولى من سلسلةٍ العمل العام الطويلة في منطقة الجنوب.

وأسّس الأب غزال خلال عمله في مدارس صيدا وجوارها "حركة الشبيبة الطالبة المسيحية" وكان مهتماً بالدور الذي ينتظر الشباب عن طريق اكتشاف إيمانهم وقيمهم للانخراط فيما بعد في عملية بناء مجتمعهم وتطويره. فانطلق في أوّل الأمر مع مجموعة قليلة، ثم نَمَت حتى تجاوزت المئات وتحوّلت إلى تيارٍ له ميزاته الفكرية والروحية القائمة على الانفتاح والمشاركة في الخدمة والالتزام.

التقى الأب غزال في بداية الستينيات بالمطران غريغوار حداد والإمام موسى الصدر، حيث نشأت بين الثلاثة صداقةٌ ومودةٌ ساعدت على انطلاقة الحركة الاجتماعية التي انتشرت في منطقة الجنوب من خلال المستوصفات والمشاريع الإنمائية ومكافحة الأميّة.

يقول الأب غزال عن تلك المرحلة: "لقد أسهمت مع اثنين من الآباء المخلصيين هما اليوم سيادة المطران لطفي لحام وسيادة المطران جورج كويتر في تأسيس مشروع اجتماعي في بلدة الصالحية قرب صيدا، ويشتمل على مركز

للرعاية يهتمّ بالأطفال المحتاجين، ومدرسة مهنية توافد إليها الطلاب من مناطق الجنوب والبقاع وبيروت، وقد ساعدت هذه المدرسة على تقديم فرص العمل للشباب، في وقت كان فيه التعليم المهني لا يزال يتعثّر أمام التعليم الأكاديمي والجامعي. وإننا سعينا إلى تقديم منحٍ للطلاب المتفوقين لمتابعة دروسهم في ألمانيا، وبعد عودتهم قدّمنا لهم قروضاً مالية ساعدتهم على تركيز وضعهم المهني والانطلاق في ورشة بناء المستقبل".

ومنذ اللحظة الأولى للاجتياح الإسرائيلي، اعتبر الأب غزال أن إسرائيل هي العدوّ الأساسي لجميع اللبنانيين، وهي التي تسعى إلى زرع بذور التفرقة بينهم بوسائل متعددة، وإبان الاجتياح الإسرائيلي للجنوب، سعى غزال إلى فتح أبواب دار العناية أمام النازحين والمصابين، حيث غصّت قاعات الدار وباحاتها بالمئات بل بالآلاف من الذين نزحوا من مناطق صيدا والمخيّمات الفلسطينية.

ويقول في ذلك: "كنا نرى أن كلّ جرح يُصاب به أيّ مواطنٍ هو جرحنا جميعاً، وأنه علينا الاتحاد والوقوف صفاً واحداً في وجه هذا العدوان الغاشم".

وبعد انقشاع غبار الاجتياح، أخذت قوات الاحتلال تسمّم الأجواء والعلاقات بين اللبنانيين، حيث نجحت في إشعال فتيل الفتنة بعد انسحابها من منطقة صيدا في العام 1985. فحاول الأب غزال جاهداً مع الفعاليات الصيداوية منع وقوع الكارثة، ولكن المؤامرة كانت كبيرة ونجحت في تأجيج الصراع، مما دفع بأهالي شرقي صيدا إلى ترك قراهم وأرضهم.

ويضيف الأب غزال: "حاولت أن أتعاون مع أصحاب الإرادات الخيّرة للتخفيف من الأضرار، والإسهام في عودة الناس إلى منازلهم، لكن لم تنجح هذه المحاولات حتى العام 1991 عندما دخل الجيش اللبناني وأفسح في المجال أمام عودة المهجرين. لقد كنت أرى دائماً أن اللبنانيين قادرون على حلّ مشاكلهم بالحوار والإيجابية ودون اللجوء إلى العنف. ولكن دخول إسرائيل على الخطّ جعل النار تمتدّ إلى أماكن جديدة حتى طالت مساحة الوطن كله".

وعلى الرغم من ويلات الحروب المتنقلة. أطلق الأب غزال في العام 1990، "حلقة التنمية والحوار" مع عددٍ من الشباب المثقّف، مسلمين ومسيحيين، وكانت الغاية منها نبذ العنف والدعوة إلى الحوار انطلاقاً من قناعات ثابتة ومن وحدة الأرض والشعب واحترام الحريات الشخصية وحقوق الإنسان.

ويوضّح الأب غزال أنه: "بعد كلّ الذي حدث، لا أزال أؤمن بصيغة العيش الواحد. فالوطن لجميع أبنائه، ولا فرق بين مواطن وآخر، ولا بين إنسان وآخر. قدرنا أن نكون معاً، فنحن أبناء شعب واحد، وحضارة واحدة، وتاريخ واحد، ولنا مصالح مشتركة نعمل على تحقيقها من أجل بناء مستقبل الأجيال المقبلة".

ويوجّه الأب غزال نصيحة إلى الشباب اللبناني فيقول: "لقد عشتم تجربة الحرب، وربّما شاركتم فيها عن وعي أو عن غير وعي، ولكنكم اليوم مسؤولون أمام الوطن والتاريخ لتأخذوا عبرةً من الأحداث الماضية، وأن تدركوا أنكم في مواجهة خطرٍ واحدٍ يحاول القضاء على حيويّتنا وتدمير اقتصادنا والسيطرة على خيراتنا.

إنني أدعوكم إلى الاتحاد لإزالة الاحتلال الإسرائيلي، وبعد ذلك عليكم أن تكونوا طليعة

التغيير في المجتمع لإزالة العقلية الطائفية والمحسوبية والعائلية.. أنتم مدعوّون إلى تحديث الدولة على أساس العلم والمعرفة واحترام القيم التي هي من إيماننا وتراثنا، لعلّكم تبلغون إلى بناء وطنٍ سليمٍ معافى من الأمراض التي عجزنا نحن وعجز من سبقنا عن تحقيق هذا الحلم بسبب الكثير من الأخطاء التي ارتكبناها بحقّ أنفسنا وبحقّ الوطن".

بصمات على دروب النجاح

الوزير فؤاد السنيورة

العمل الرسمي سيف ذو حدّين، فهو من جهة يجعل حياة المسؤول كتاباً مفتوحاً ويلغي الكثير من خصوصياته بحيث تصبح كلّ حركة يقوم بها أو كلمة تصدر عنه تحت الضوء والصورة. ومن جهة أخرى عليه تحمّل مسؤولية أيّ خطأ أو تقصير في المؤسسة العامة المسؤول عنها، فيغدو موضع انتقاد ومساءلة الرأي العام، وأحياناً موضع تشهير يطال حتى حياته الخاصة.

إنها الضريبة التى يدفعها المسؤول حتى ولو كان وزير دولة للشؤون المالية كالوزير فؤاد السنيورة، هذا الرجل المتّهم بالتزامه تطبيق القوانين بحرفيتها، صاحب العقلية الاقتصادية الفذّة الذي ما أُعطي يوماً حقّه في الدفاع عن نفسه وعن السياسة التي يمارسها، والتي هي بالواقع سياسة الحكم والدولة.

فؤاد عبد الباسط السنيورة، مواطن صيداوي ولد ونشأ وترعرع في حي الكنان، وتحديداً في حارة الأميركان في صيدا القديمة.

بدأ حياته العملية خريجاً من الجامعة الأميركية في بيروت من قسم إدارة الأعمال، هذا التخصّص الذي فضّله على الطبّ. عمل مدرساً في الجامعتين الأميركية واللبنانية قبل أن يحصل على ماجستير في إدارة الأعمال.

درَّس في معهد التدريب الإداري لكبار موظفي الدول العربية، ومعهد التدريب التابع لمؤسّسة "سيتي بنك". انتقل بعدها للعمل في المجال المصرفي والتجاري ثم المجال المصرفي الاستثماري، ومن ثمّ اختاره الرئيس سليم الحص رئيساً للجنة الرقابة على المصارف. وهو لا يزال من أصدقاء الرئيس الحص الذي كان له تأثيرٌ كبيرٌ على حياته العملية.

وما هي إلا سنوات حتى انتقل مجدّداً إلى العمل المصرفي الاستثماري مع السيد رفيق الحريري الذي أصبح فيما بعد رئيساً للحكومة واختاره وزير دولة للشؤون المالية..

يرى الوزير فؤاد السنيورة أن النجاح في الحياة هو وليد العمل والجهد وانضباط الإنسان الداخلي. ويعزو نجاح الكثيرين إلى الصدفة، وإلى الظروف وليس إلى الجهد، ويعتبر هذا الأمر

استثناء وليس قاعدة.

ويقول: "حتى لو نظرنا إلى لبنان، ورأينا أشخاصاً مرّوا بظروف صعبة، فإن هناك من أتيح لهم المجال للتسلّق نتيجة ظروف وأوضاع وإشكاليات، وأحياناً تسلّط بمعاونة البعض، فأصبح يُعتبر من الناجحين. وهذا النجاح يظلّ استثناء. لأن القاعدة في الحياة هي العمل والجهد والتصميم والثّقة بالنفس، والدفاع عن وجهة نظر الإنسان وقناعته. ولقد أدّت ظروف الأحداث وحالات نجاح البعض المصطنع، بالشباب اللبناني إلى الشعور بأن النجاح هو وليد الفرصة والواسطة و"الشطارة".

ويشير الوزير السنيورة إلى أننا ندخل مرحلةً جديدةً من حياتنا وحياة وطننا وأمّتنا العربية. وأن معالم هذه المرحلة ستكون متّسمةً بمزيدٍ من الانفتاح والتنافس مما سيؤثّر دون شكٍّ على أنماط حياتنا وعلى شبابنا ومستقبلنا.

ويوضّح: "حتى يستطيع هؤلاء الشباب أن ينجحوا، عليهم أن يركّزوا مرّة أخرى على العمل وعلى تعزيز مداركهم ومعارفهم وثقافاتهم. وهذه الثقافة تعود إلى معرفتهم ببلدهم وبكلّ ما يستجدّ من علومٍ ومجالات عمل، وعلينا نحن واجب التوجيه والإرشاد وتوفير الظروف الملائمة، حيث يقول الخليفة عمر بن الخطاب t: "نشّئوا أولادكم على غير ما نشأتم عليه، فإنهم خلقوا لزمانٍ غير زمانكم".

فهذه الأمور تشكّل تحدياً أساسياً علينا أن نواجهه بدعوة شبابنا إلى العلم والتعلّم والتفوّق لأن ذلك أمر أساسي في عقلهم وتفكيرهم".

وبالانتقال إلى الخصوصية الجنوبية، يعتبر الوزير السنيورة أن الشاب الجنوبي كأيّ مواطن لبناني عليه أن يتفهّم القضايا العامة ويستوعبها، ولكنه يرى أن على هذا الشاب عبئاً إضافياً، لأنه يرزح تحت نير الاحتلال واعتداءاته، ويؤكّد السنيورة: "المهم أن لا يضيّع الشباب وقتهم لأن كلّ شيء في الدينا يمكن اختزانه إلا الوقت، بينما نجد أن لدى شبابنا ميلاً إلى إضاعة الوقت. ومن الطبيعي أن يستفيد الإنسان من كلّ دقيقةٍ في حياته وحتى من وقت اللهو حيث توجد الفائدة والراحة للنفس. وهناك أمرٌ تعلّمته من والدي وهو أن "دم الشباب وعرقهم لا يعوّضان" فيجب على شبابنا أن يركّزوا بشكل أساسي على الوقت والجهد والعمل، لأن للعمل قيمةً مجتمعيةً يُقيّم الناس على أساسها، وليس على أساس أمور ومعايير تافهة. فبناء الأوطان بحاجةٍ إلى سواعد الجميع وعملهم، وبناء

الإنسان كذلك..".

وللوزير السنيورة نظرية مختلفة في مسألة الاغتراب والهجرة للشباب، فهو يرى أن لبنان سيبقى مصدراً أساسياً للطاقات البشرية، ويقول: أدعو كلّ لبناني في لبنان أو خارجه للاستقرار حيث يُرزق، على أساس المثل القائل "محل ما بترزق إلزق". فحيث تعمل وتنتج وتحافظ على ثقتك بنفسك وثقتك بتطوير مستقبلك استقرّ وعشْ، لكن لا تقطع علاقتك بوطنك لأنه الخيط الذي يصلك بوجودك وكيانك..".

ويرى الوزير السنيورة أنّ في احتكام الإنسان إلى ضميره وعمله وفق قناعاته حكمة يجب أن يتّبعها كلّ مواطن. وهو ينصح الشباب بالعمل لأنفسهم ولتطوير مداركهم وبلدهم. ويقول في ذلك: "الديك له أن يصيح، وطلوع الفجر على الله" فعلينا أن نعمل ونسعى، والتوفيق من عند الله. المهم أن نتمتّع بالإرادة وبوضوح الرؤية لنحقّق أهدافنا.

بصمات على دروب النجاح

الوزير ياسين جابر

عندما يتبوّأ المرء المسؤولية في موقع عام، فإنه لا شك يتمتّع بمواصفات ومؤهلات تجعله جديراً بهذا الموقع وتنعكس إيجاباً على حماسته في العمل الرسمي.

والوزير ياسين جابر ابن مدينة النبطية، حافظ على هذه القاعدة انطلاقاً من قناعته بالخدمة العامة والعمل لصالح الوطن والمواطن.

فهذا الرجل العصامي الذي نشأ وترعرع بعيداً عن وطنه لم يسمح لغربته أن تؤثّر على مواطنيته، فسارع إلى العودة إلى لبنان ليكمل دراسته التكميلية والثانوية، التحق بعدها بالجامعة الأميركية في بيروت واختار الاقتصاد والتجارة وإدارة الأعمال اختصاصاً له، ومن ثمّ بدأ بالتحضير لرسالة الماجستير.

إلا أنه وبسبب ظروف الحرب الأهلية في لبنان، اضطر للعمل فأسّس شركةً ماليةً وأخرى تجارية بمشاركة بعض الأصدقاء.

لكنه سرعان ما غادر لبنان بعد نشوب الحرب متوجهاً إلى المملكة العربية السعودية التي أمضى فيها أربع سنوات قبل أن ينتقل إلى العاصمة البريطانية لندن مؤسّساً العديد من المؤسّسات الاقتصادية والفندقية.

وفي العام 1994، تمّ تعيينه وزيراً في حكومة الرئيس رفيق الحريري الثانية. وتسلّم حقيبة وزارة الاقتصاد والتجارة لولايتين، وانتُخب نائباً عن النبطية في انتخابات العام 1996 بعدما ترشّح على لائحة "التحرير والتنمية".

ويرى الوزير جابر أن سرّ بقاء لبنان وديمومته يكمنان في العلاقة بينه

وبين أبنائه. ويقول في ذلك: "على الرّغم من وجودي في المملكة العربية السعودية أو في لندن، كنت على تواصل مع وطني لبنان، قلباً وعملاً، حيث حرصت على تأسيس بعض الأعمال في بلدي وبلدان آخرى، ورغم أن الأعمال هنا كانت تتوقّف في فترات مختلفة بسبب الحرب، لكننا استمرّينا

ولم تنقطع صلتنا بلبنان".

وكالكثير من اللبنانيين، بقي جابر مشدوداً إلى وطنه، وانتظر أولى بشائر الاستقرار ليعود ويحيي عمله فيه.

شارك الوزير جابر أهله الجنوبيين معاناتهم مع الاحتلال الإسرائيلي وعملائه. فبيته في النبطية قُصف مرّتين في عدواني تموز 1993 ونيسان 1996. وهو يرى أن إسرائيل تحارب لبنان بأشكال عدّة، تارة باعتداءاتها المباشرة، وطوراً بتدخّلها غير المباشر، فيما مضى في الحرب اللبنانية.

ويروي جابر ما جرى بينه وبين صحافي من شبكة CNN الأميركية أثناء تشييع شهداء النبطية الفوقا حين سأله هذا الصحافي "كيف تشيّعون ضحايا المجزرة وعلى مقربةٍ منكم يربض موقع إسرائيلي فوق التلة المقابلة؟". فأجابه الوزير جابر: "تلك هي قصة حياة كلّ جنوبي، وسرّ بقاء لبنان واستمراره، فلو تعرّض أيّ بلد في العالم لما تعرّض له لبنان، ما كان باستطاعته أن يستمرّ ويصمد كما صمد لبنان".

ويعتبر الوزير جابر أنه على كلّ شاب أن ينظر إلى الحياة نظرةً تفاؤليةً ويسعى لأن تكون لحياته قيمة لا أن يكون مجرّد رقم. عليه أن يسعى لأن يكون عنصراً فاعلاً ومميزاً. والذي يملك الكفاءة لا يحتاج إلى واسطة.

ويشدّد على دور الاغتراب اللبناني وحاجة الوطن إلى كلّ فردٍ من أبنائه المغتربين. ويقول: "على الشاب المغترب أن ينجح أينما كان وأن يجيّر هذا النجاح لمصلحة وخدمة بلده. ونطلب من أبنائنا المغتربين أن يستمرّوا في نجاحاتهم في الخارج وأن يعتبروا وطنهم المكان الوحيد الذي يوظّفون فيه أموالهم".

وعن علاقته برئيسي الحكومة ومجلس النواب، يشير الوزير جابر إلى أنه تعرّف إلى الرئيس رفيق الحريري للمرّة الأولى في لندن، وأن صداقةً متينةً تربطه بالرئيس نبيه بري منذ سنوات طويلة.

ويدعو الوزير جابر أبناء منطقته وأبناء الجنوب عموماً إلى الصمود والاستمرار في تحمّل مسؤولية التحرير، وهو يرى أن الفرج بات قريباً، إن شاء الله، إسرائيل سوف تنسحب من الجنوب والبقاع الغربي لتعود النهضة الاقتصادية وتعمّ هذه المنطقة.

بصمات على دروب النجاح

السيد محمد علي الزعتري

رئيس غرفة التجارة والصناعة والزراعة في الجنوب

عندما يقتدي المرء بشخصية ما في أعماله الخيّرة وخدمته للناس والمجتمع، فإنه يصبح امتداداً لهذه الشخصية، وبالتالي امتداداً للسمعة الطيّبة التي تحظى بها..

فكيف إذا كانت هذه الشخصية هي الوالد وربّ الأسرة الذي لم يكتفِ بتأسيس أسرته، بل أراد أن يكون لأبنائه المثال والقدوة الحسنة في مساعدة الآخرين وإفادة الناس والمجتمع؟!..

وإذا ما طابقنا هذه الصفات على مسيرة حياة السيد محمد الزعتري، نراها هي ذاتها في شخصيته التي هي بكلّ بساطة، امتداد لشخصية والده المرحوم الحاج علي الزعتري قولاً وعملاً.

فمنذ انتخابه رئيساً لغرفة التجارة والصناعة والزراعة في الجنوب آلى على نفسه أن يعزّز هذه المؤسّسة لتسهم في خدمة مجتمعها وتنمّيه وترفع من مستوى التجارة والصناعة في الجنوب وتكون داعمةً لاقتصاده. فبعد أن كانت الغرفة مؤسسة مهملة لا يُعيرها أحدٌ اهتمامه، أصبحت في فترة وجيزة محطَّ أنظار الجميع في لبنان والبلدان العربية والعالم. وتمكّن الزعتري من تكوين شبكة من العلاقات على الصعيدين العربي والدولي، فأصبحت الغرفة عضواً في الغرفة الدولية، وفي اتحاد غرف البحر الأبيض المتوسط واتحاد الغرف العربية، وأقامت علاقاتٍ ثنائيةً مع عددٍ من الغرف العربية والأجنبية، فضلاً عن علاقاتها مع الغرف اللبنانية والهيئات الاقتصادية في لبنان، حيث أسهمت إسهاماً فعالاً في إنشاء

اتحاد الغرف اللبنانية مع غرف بيروت والشمال والبقاع. وهي اليوم مشاركة في مجالس إدارة الغرف العربية والأجنبية.

وخلال فترة ترؤسه للغرفة على مدى ثلاثين عاماً، ركّز الزعتري جلَّ جهده وهمّه على تعزيز وضع الغرفة على جميع الصعد، وشهد عهده إنشاء المبنى الجديد لها على بوليفار الشهيد معروف سعد، والذي استقطب كلّ النشاطات الإحصائية والمعلوماتية، وغدت الغرفة تشكّل عصب الاقتصاد

الجنوبي.

يقول الزعتري: "لقد وعت الغرفة أهمية المعارض، فتمكّنت من شراء قطعة أرضٍ بمساحة ستة آلاف متر مربع بالقرب من المبنى الحالي، لإقامة معرض دائم يكون مقصداً للوفود من مختلف البلدان العربية والأجنبية. كما واجهت الغرفة إبان الاحتلال الإسرائيلي جميع المغريات التي قدّمها الصهاينة للتعاون معهم. لكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل، نظراً للموقف الحازم الذي أبديناه ضدَّ هذه المحاولات، وكان من نتائج موقفنا هذا أن تعرّضنا للعديد من التهديدات والاعتداءات الإسرائيلية على مؤسّساتنا".

وأدى إصرار الزعتري على رفض التعاون مع الاحتلال، إلى اعتقاله مع عددٍ من أفراد عائلته، لكن ذلك لم يغيّر موقفه قيد أنملة. حيث بقي صامداً إزاء التهديدات والضغوطات التي لجأ إليها الإسرائيليون، فلم يلن أمام أساليب الترهيب والترغيب التي اعتمدوها، واستمرّ في مقاومة المحتل بعزيمةٍ اضطر معها الصهاينة إلى توقيفه عدّة مرّات والتنكيل بعائلته والإضرار بمصالحه.

وسعى الزعتري إلى ديمومة تدفّق البضائع الجنوبية إلى الأسواق العربية، إبان الاحتلال، وبشتّى الوسائل، مما حمل السلطات في المملكة العربية السعودية، لما توليه من ثقةٍ بشخص الزعتري وبالغرفة وبمساعدة الرئيس رفيق الحريري، على حصر التوقيع على شهادات المنشأ للبضائع اللبنانية المصدّرة إلى الأسواق السعودية، إبان الاحتلال، بالسيد محمد الزعتري، الأمر الذي زاد من عبء المسؤولية التي يتحملها.

وبالعودة إلى انطلاقته الأولى في ميدان العمل، فبعد تخرّجه من الجامعة

وهو في العشرين من عمره، بدأ مزاولة العمل مع العائلة في مجال التجارة، فقد كان والده يملك مع أشقائه شركة لتوضيب وتصدير الفاكهة اللبنانية، منذ ما بعد الحرب العالمية الأولى، وتُصدِّر هذه الشركة الفاكهة والحمضيات إلى الأسواق الأوروبية والبلدان المجاورة، وبعد أن التحق محمد بالعمل مع والده وأعمامه وضع نصب عينيه تطوير وتحديث وتجهيز الشركة بالآلات والوسائل الحديثة التي كانت مُتَّبعةً آنذاك في العالم، فزار عدّة دول أوروبية وأميركية واطّلع على أحدث الوسائل لتوضيب وحفظ الفاكهة، وعمل على تجهيز مركز التوضيب الذي يملكه، بأحدث الآلات الأميركية لتُعبّأ وتُوضَّب الفاكهة على أسس وشروط دولية، مما أدّى إلى شهرة كبيرة في الأسواق الأوروبية والعربية

ومما أكسب الإنتاج اللبناني سمعة وشهرة واسعة أدَّت إلى إطلاق اسم الزعتري في الأسواق العربية والأوروبية.

أما العقبات فكثيرةٌ كما يقول الزعتري: "الحياة كلُّها عقبات وفيها العديد من المطبّات صعوداً ونزولاً، ولذا، فعلى الإنسان أن لا ييأس لأن الحياة مجرّد تجربة، ولأن اليأس عاملٌ مدمّرٌ للإنسان".

وهو ينصح الشباب بأن يكونوا صادقين مع أنفسهم ومع الآخرين، وأن يتسلّحوا بالإيمان والعلم ولا يستسلموا لليأس عند أول مشكلة تصادفهم، وأن يبتعدوا عن الغرور، لأن الحياة مدرسة مستمرّة يتعلّم منها الإنسان ويكتسب.

وعن دور الغرفة في تطوّر رجال الأعمال يوضّح الزعتري: "إن للغرفة دوراً هاماً في تطوير عمل رجال الأعمال، وذلك من خلال المعلومات والمؤتمرات والندوات".

وعن أهمية التعليم المهني يؤكّد: "أن سوق العمل يتطلّب شباباً يتقنون مهنة، فالتعليم المهني لم يعد مقتصراً على البدائية بل أصبح علماً يعتمد على المعرفة واستيعاب التقنيات الحديثة"، لذلك يدعو السيد الزعتري إلى رفع المستوى العلمي للعامل حتى يؤدي دوراً أساسياً في تطوير البلاد.

بصمات على دروب النجاح

السيد علي الجمال

منذ أن تفتّحت عيناه على الحياة، شعر أن الجنوب محرومٌ من كلّ شيء.. كأنه ليس من لبنان، وأيقن أن الفقر والحرمان والبؤس ستصنع من أبنائه رجالاً تواجه الصعاب.. ويُضحّون بأرواحهم ودمائهم الطاهرة من أجل تحرير الأرض من رجس الاحتلال وعودة الهوية إليها، فهم يغادرون إلى بلاد الاغتراب، يصلون الليل بالنهار عملاً، يكدّون

ويعرقون من أجل تحقيق النجاح والثروة، ثم يعودون إلى الوطن الأم من أجل القيام بواجبهم الوطني والإنساني تجاه أبناء جلدتهم حيث يُدخلون إلى قلوبهم الفرحة والسرور.

والسيد علي الجمال واحدٌ من هؤلاء الرجال العظام الذين قصدوا بلاد الاغتراب، ليس هرباً من تحمّل المسؤولية أو ضنك العيش، بل من أجل تحقيق أحلامه، والعودة إلى الوطن لبلسمة جراحه. لم يعبأ بكلّ الصعاب بعدما وضع نصب عينيه هدفاً وحيداً هو رفع اسم لبنان عالياً في الاغتراب، فنجح نجاحاً باهراً في نيجيريا وأسّس المصانع، ثم عاد إلى لبنان ليزرع حبّه عطاءً وعمله بلسماً، بعدما تضاعف عدد الأيتام، وفقدت مئات العائلات معيلها ودخل ثوب الحداد كلّ بيت، جاء يبلسم الجراح ويكفكف الدمع، فوجد أن أفضل طريق للخير هو بناء مؤسّسات الخير فأنشأ عدداً من المؤسسات، منها مبرّة، مختاراً التعليم المهني والتدريب السريع في تعليم الأجيال الصاعدة بهدف ملاءمة السوق الداخلي وتخفيف حدّة البطالة.

لم يكتفِ بكلّ ما قام به من عطاء سراً وعلانية، فما زالت لديه أحلامٌ كثيرةٌ في إنشاء مأوى للعجزة ومدرسة علمية ومعهد فني، مبتغياً من وراء ذلك رضى الله والوالدين...

يقول السيد علي الجمال أنه ولد في بلدة جويا – قضاء صور، ومنذ نعومة أظفاره أدرك أنه لا مفرّ من الاغتراب كما معظم أبناء الجنوب وتحديداً أبناء جويا المغتربين إما في أفريقيا أو في أميركا اللاتينية.

ويضيف: في أواخر الأربعينيات تركت الجامعة بعد أن دخلت سنتها الأولى، وسافرت إلى نيجيريا حيث كان والدي يعمل هناك سابقاً، وكنت طموحاً جداً، فبدأت العمل فوراً في تجارة الأقمشة

والمحصول، لكن سرعان ما أدخلت الجديد على العمل بهدف تطويره، وقد أعطاني والدي ألفي جنيه إسترليني، وشاركني هو وأحد أقاربي في العمل الجديد، حيث كان لكلّ واحد منا تفكيره الخاص وعقليته التي تختلف عن الآخر.

لقد وصلت الليل بالنهارعملاً، كنت أعمل نحو ثماني عشرة ساعةً في اليوم وأقطع مسافة ستمئة كلم من أجل إتمام الصفقات والاطلاع على سير العمل فلم تمضِ سنوات قليلة إلا وقد فتح المجد لي ذراعيه، فأسّست المصانع والشركات المتعدّدة حتى أصبحت أملك أكبر شركة مقاولات، عمل فيها نحو عشرة آلاف عامل، ولأنني نجحت هناك إلى أقصى درجات النجاح فقد أطلقت في نيجيريا اسمي على عدّة شوارع.

ولكن الرياح دائما تجري بما لا تشتهي السفن، فبعد حصول انقلابين في نيجيريا قرّرت العودة إلى لبنان بعد أن أعطاني الله الخير الكثير، كانت الأمور تسير بشكل جيد والأعمال كثيرة، ونصحني بعض الأصدقاء بعدم العودة وقالوا لي: لماذا تريد أن تبدأ من الصفر بعدما حقّقت كلّ النجاح هنا. وكان جوابي دائماً: "لقد ناداني وطني ويجب أن ألبّي النداء".

ويتابع الجمال: إن حبّي لبلدي ولأهلي الطيّبين دفعني إلى ترك كلّ شيء لأكون جندياً في خدمته، فالعمر يمضي سريعاً، واغتراب خمسة وعشرين عاماً كان كافياً للعودة، حتى أنني رفضت السفر إلى السعودية وقتها بعدما طلب مني الأمير عبد الله بن عبد العزيز عام 1973 العمل فيها، فاعتذرت قائلاً: "إنه لم يعد لديّ حبّ للهجرة".

كنت مدركاً أن دور خدمة الوطن قد حان وأن أيّ تقاعس يعني الهروب من الواجب، وبخاصة أن بلدنا جميلٌ له مستقبل زاهر، ولأن الإمكانيات كانت متوافرة فقد أنشأت عدّة مشاريع سياحية مثل فندقين في محلّة الروشة وآخرين في مصر. ولكن، ولأن كلّ ذلك لا يخدم الناس، فقد قرّرت إنشاء مبرّة خيرية للرعاية الاجتماعية عام 1988، فاخترت جويا مكاناً لها حيث كانت باكورة عطائنا، وفيها مدرسة مهنية تستوعب ألفاً ومئتي طالب وتضم الآن خمسمئة طالب.

لقد اخترت مدرسةً مهنيةً وتحديداً في الجنوب لأن عدداً كبيراً من الشباب لا يستطيعون إكمال تعليمهم، فهذه المدرسة تهيّئ سبل العمل لكلّ واحد منهم كي يشقّ طريقه إلى الحياة ويعيش عيشاً كريماً، وأسعى لإنشاء مدارس تربوية عادية، والهدف كلّ الهدف من وراء ذلك هو دعم صمود

الجنوبيين في أرضهم لمواجهة المخطّطات الإسرائيلية الهادفة إلى تفريغ الأرض وجعلها محروقة من كلّ خير، وباعتقادي فإن أيّ مشروع يُقام في الجنوب هو أولاً وأخيراً لتنمية الجنوب وإفادة أهله.

وينصح الجمال الشباب الجنوبيين بالبقاء في أرضهم، لأن أرض الجنوب خيّرة ومعطاءة، وكلّما أعطوها دماءً وعرقاً أعطتهم تحريراً وخيراً ورزقاً. ويقول: الأرض أغلى من كلّ شيء، ويمكن الاستفادة منها واستثمارها لأن هناك مساحات شاسعة يمكن استصلاحها، وأريد أن أقول هنا: لدينا مشروع في البنك من أجل تمويل مشاريع حِرفية بنحو خمسين إلى ستين ألف دولار أميركي، وعلى اللبناني والجنوبي أن يعملا بجهد وجدّ من أجل تحقيق النجاح.

وأقول عن تجربة: "لو أن اللبناني أعطى نصف الجهد الذي يعطيه في بلد الاغتراب لكان حقّق كلّ ما يصبو إليه من نجاح واستغنى عن الغربة، مثال على ذلك الشاب الجامعي الذي يسافر ليدرس في الخارج فإنه لا يرى غضاضةً في العمل بمحطّة وقود، أما في لبنان فهو يخجل من هذا العمل لا لسببٍ سوى هذا "العنفوان الفارغ"، وأنا شخصياً مع الإنسان الذي يعمل أيّ شيء لأنه أفضل من أن لا يعمل".

وبرأي السيد علي الجمال أن للنجاح عوامل عديدة، فهو يرى أن الإنسان لا ينجح بالوحي أو بالأحلام، بل بالمثابرة على العمل وأن يكون واثقاً من نفسه، يمشي بخطى ثابتة دون أن ينظر إلى الفترة الزمنية، بمعنى أن عليه أن يسعى والتوفيق من الله.

ويوضّح: لقد اخترت القطاع المصرفي لأنني شعرت أنه يحقّق لي النجاح والثروة، ففي عام 1978 كنت عضواً في المصرف الباكستاني، وقد طلبوا مني المشاركة لأن إمكانياتي المادية كانت تسمح بذلك، وحبّ المعرفة والاطّلاع دفعاني إلى الإلمام بالعمل المصرفي الذي هو قطاع ثمين جداً، لأنك من خلاله تستطيع مساعدة كلّ محتاج لمساعدة.

فآمل أن يتطوّر العمل أكثر وبخاصة مع عودة الاستقرار والهدوء إلى لبنان، حيث تصبح فرص الاستثمار سانحةً أكثر بعد توفير الاحتياجات الضرورية في مسيرة البناء والإعمار.

بصمات على دروب النجاح

السيد ريمون عودة

عندما ينخرط المرء في الحياة المجتمعية لأول مرة، يشعر للوهلة الأولى بنوعٍ من الانبهار لكنه سرعان ما يزول هذا الانبهار بعد أن يتآلف مع الناس والمجتمع والعالم، ومهما ابتعد الإنسان عن بيئته ووطنه، يبقى هناك ما يشدّه إليه، غير الحنين والشوق لأنهما يزولان بمجرد العودة، بل هو ما يعرف بالانتماء.

والإنسان العربي معروفٌ بامتداد جذوره التاريخية إلى أزمان بعيدة، ومكان الولادة والنشأة يمثّلان بالنسبة إليه، ليس فقط الهوية، وإنما سمة من شخصيته ومن تفكيره.

وآل عودة المعروفون بجذورهم الصيداوية، حافظوا على هذه الجذور على الرّغم من اتّساع أعمالهم وتوزّعها بين لبنان والخارج.

فالسيد ريمون عودة رئيس مجلس إدارة بنك عودة، ورئيس مجموعةٍ من ستة مصارف منتشرة في الولايات المتّحدة الأميركية وفي أوروبا، انطلق في حياته العملية من خلال العمل المصرفي مع العائلة، ليقوم مع شقيقيه جورج وجان بتطوير المؤسّسة المصرفية التي أسّسها جدودهم والتي لا تزال تحمل اسم العائلة. بدأ به من صيدا ومنها انطلق إلى بيروت مع الحفاظ على مركز صيدا وتنشيطه بفرعين آخرين.

وعلى الرّغم من أن الوالد لم يترك لأولاده مالاً أكثر مما ترك لهم اسماً وسمعة طيبة، فقد تمكّن ريمون الابن من توظيف هذا الاسم وتطوير هذه المجموعة المصرفية.

وساعده طموحه وبعض الظروف على الخروج بهذا العمل إلى الكويت ومنها إلى دول أخرى، الأمر الذي تطلّب جهداً كبيراً وشقاءً ومسؤولياتٍ جساماً.

ولم يمنع هذا النجاح السيد عودة من التواصل والتفاعل مع وطنه لبنان ومدينته صيدا، بل جعل من هذه المدينة مركز الثّقل في عمله.

ويقول في ذلك: "على الرّغم من أننا كنا إبان الظروف الصعبة، التي مرّ بها البلد،

مضطرين للالتجاء إلى الخارج مما ساهم في اتّساع دائرة عملنا، لكننا بعد زوال هذه الظروف عدنا إلى مقرّنا الأساسي الذي نعتزّ به، ونعمل من أجل أن يعود أفضل مما كان".

واعتزازه هذا ينبع من حسّه الوطني، وشعوره بالانتماء إلى مدينته صيدا وإلى الجنوب بشكل خاص. حيث يقول: "لا يمكن لأيّ إنسان لديه ضمير أن يتجاهل أساسه وجذوره، ونحن جذورنا تكمن في هذه المدينة وتمتدّ في عمق هذا الجنوب. إننا نعتزّ بأننا من أبناء الجنوب الذي نحبّه وسنبقى متعلقين به، وسنكرّس هذا التعلّق في نفوس أبنائنا وأحفادنا..".

ورغم عدم التحاقه بالتعليم الجامعي، لا يواجه عودة أيّة عقبات في حياته العملية، فهو يرى أن الحياة هي الجامعة الحقيقية، وأن ثقافة أيّ إنسان تكمن في موهبته وإمكانيته لتنمية هذه الموهبة، ويشدّد على أهمية التعليم المهني في وقتنا هذا فيقول: "كثيرون حصلوا على الشهادة الجامعية وأصبح هناك تنافس وتضخّم بين حاملي مثل هذه الشهادات، بينما يختلف الأمر بالنسبة للمهنيين والذين برأيي لديهم فرص للرّبح وصنع المستقبل أكثر من غيرهم من المتعلمين".

ويُسجّل للسيد ريمون عودة إضافةً إلى عمله وإنجازاته في المجال المصرفي، اهتمامه بالشأنين الاجتماعي والتراثي، حيث كان من أبرز المساهمين في إحياء منطقة فقرا، وفي إنشاء مركز الرعاية الدائمة الخاص بمرضى السكري والتلاسيميا من الأطفال والذي تشرف عليه السيدة منى إلياس الهراوي. وكذلك مساهمته في إحياء التراث اللبناني من خلال أعمال ترميم بعض المعالم التاريخية في صيدا وغيرها من المناطق والحفاظ عليها، هذا فضلاً عن عمله الدؤوب الذي بذله من أجل إعادة تأهيل المتحف الوطني في بيروت ومساهمته في تنظيم وإنجاح معرض لبنان – الضفة الأخرى، الذي جرى افتتاحه في معهد العالم العربي في العاصمة الفرنسية باريس في تشرين الأول المنصرم.

هذا النشاط اللافت للسيد عودة في هذه المجالات، حدا برئيس الجمهورية آنذاك إلياس الهراوي إلى منحه وسام الأرز الوطني من رتبة ضابط.

ويستمدّ عودة الحكمة التي يقتدي بها من الجو العائلي المميّز الذي عاشه، إذ إنه يرى في التربية العائلية أساساً لتكوين شخصية الإنسان فيقول:

".. في الواقع، تعلّمنا من عائلتنا أن يكون الإنسان مستقيماً ويخاف ربّه، ويحافظ على

مبادئه، أما الحكمة الكبيرة فقد تعلّمتها من الحياة، وهي أن لا أخاف من شيء طالما أنني أستند إلى قناعتي بالعمل الذي أقوم به، ومهما واجهت من صعوبات وعقبات، فأنا أتأمّل الخير دائماً ولا أدع لليأس طريقاً، وبذلك يترسّخ إيماني بالحياة وبالمستقبل".

ويدعو السيد عودة الجنوبيين والشباب منهم، إلى العمل على الإيجابيات وليس على السلبيات فيقول: "لا يجب أن نصف أنفسنا بالمحرومين والفقراء والبؤساء، ففي الجنوب رجالاتٌ وطاقاتٌ وجالياتٌ كبيرةٌ من المغتربين الذين انطلقوا منه ورفعوا رأسه ورأس لبنان عالياً، ومهمّة هؤلاء ليس فقط أن يشيدوا القصور والمنازل الفخمة في مناطقهم، بل أن يساعدوا مجتمعهم ويساهموا في تأمين المدارس والمستشفيات وإنشاء المصانع والمؤسّسات التي من شأنها أن تنمّي هذه المنطقة وتؤهّلها للمستقبل".

بصمات على دروب النجاح

السيد هاني صفي الدين

في سير الرجال الكبار تبرز العصامية، ومن هذه السير على سبيل المثال سيرة الرئيس الأميركي إبراهام لينكولن.. فالرجل لم يولد وفي فمه ملعقة من ذهب، ولم ينشأ معتمداً على إرثٍ من مال وعقارات وشركات.. كان معدماً كوالده وسائر أفراد أسرته، وكان عليه أن يعمل الساعات الطوال، كلّ يوم، في نحت الأوتاد الخشبية ليبيعها لقاء

سنتات قليلة. مع ذلك أصبح يوماً رئيساً للولايات المتّحدة الأميركية.

من الصفر بدأ؟ نعم. ولكنه كان يملك ما يعادل الأرقام الكبيرة: الطموح والعزيمة والمثابرة. إذاً، فهو لم يبدأ من الصفر.

تلك بعض خصال الناجحين الكبار في العالم، وإن لم يكن المقصود أن أولاد الأثرياء لا يصلون...

بل إن فرص الوصول لديهم أكثر بكثير من تلك المتاحة لأبناء الفقراء!

ولكننا نتحدّث عن عصامية، لا عن مجرد النجاح.

والعصامية، في أبسط تعاريفها: نجاح باهر، هو نتيجة المثابرة والإصرار ومواجهة الصعاب، والاعتماد على الذّات، ومعرفة كيفية الاستفادة من الفرص المشروعة.

وتعريف العصامي: من شَرُف بنفسه لا بشرف آبائه فنال العلا بكدّه واجتهاده وذكائه وتحدّيه للصّعاب.

والإنسان الناجح هو الذي يجمع في ذاته الطموح والمثابرة والتحدّي للصعاب وفق هدف نبيل مخطط له، والإنسان المتحدي هو العصامي الفذّ وهذا ما

ينطبق على السيد هاني صفي الدين.

هاني صفي الدين، بدأ من الصفر!!!

بالمعنى الشائع المتداول: نعم، بدأ هاني صفي الدين من الصفر، لأنه حين خطا أولى خطواته في مسيرة الاغتراب والكدح، لم يكن يملك رأس المال الذي يوصله إلى ما هو عليه اليوم من ثراء.

وإذا نحن عرفنا أنه في بدايات هذه المسيرة الشاقة الطويلة كان يرزح تحت وطأة الديون، جاز لنا أن نقول إنه بدأ مما هو تحت الصفر.

وباختصار، كيف نفسّر نجاح هاني صفي الدين المالك اليوم مصرفاً مالياً وشركات ومصانع ومشاريع زراعية، هنا في لبنان، وهناك في نيجيريا حيث بدأت رحلة اغترابه وخسائره وأرباحه، فلو أنه ورث المصرف عن والده، ولم يتعب في تأسيسه، لقلنا: اختلف الأمر، ولكنه وقّع عقد شرائه بأصابع تحمل آثار الجراح والحروق التي أصابته وهو يسعى إلى مبتغاه.

والجواب بسيط: فقد بنى لنفسه منزلةً دعائمها التواضع، وما أندر الذين يحتفظون بتواضعهم عندما يبلغون القمم!

فهذا الرجل الطيّب طيبة أرض الجنوب، لا يزال ينظر في ذاته، يتحرّى فيها مكامن القوّة ومكامن الضعف. كما إن تواضعه يشكّل عنصراً من أهمّ عناصر شخصيته ونجاحه.

وهناك عنصر آخر لا يقلّ أهمية، تتحلّى به شخصية هاني صفي الدين هو: المبادرة إلى عمل الخير، مستوراً أو معلناً، يؤدّيه طلباً لمرضاة اللّه، والتزاماً منه بواجب.

فعمل الخير واجب من واجباته، يؤدّيه اقتناعاً منه بأن التكافل الاجتماعي منهجٌ يمليه الدِّين، وتمليه مصلحة المجتمع. والشاهد على ذلك أنه لم يؤثر عنه يوماً أنه قدم يد المساعدة لإنسان، أو لهيئة، ثم أشعره أو أشعرها بالمنّة. وهو الذي لو شاء لعرفت يده اليسرى ما تقدّم يده اليمنى.

وكذلك فإن ما يميّز هاني صفي الدين هو الوفاء للأصول، والأرض التي ولد فيها واحتضنت مرحلة الشباب من حياته.. إنها أرض الجنوب التي عاد إليها، ليشارك أهلها الحلو والمرّ، وليقيم

فوقها مشاريع استثمارية أرادها مجالات رزق وعمل لمئات العائلات الصامدة. ولو شاء الرجل أن يقيم مشاريعه في الخارج لما منعه مانع، ولو شاء أن يقيمها في المناطق الآمنة من لبنان لاستطاع.
ولكنّه الوفاء الذي يلخّصه هو بالمثل الشائع: "إن الشجرة التي لا تظلّل عروقها فقطعها حلال"، هذا ما يقوله هاني صفي الدين ويردّده، وقد صار هذا المثل دستور الحياة لديه، لأن علاقته بالجنوب تتعدّى المصالح المباشرة ومنطق الاستثمار: هذه العلاقة يلخّصها بقوله: "اخترت الجنوب ميداناً لمشاريعي الاقتصادية، الصناعية والزراعية، لارتباطي به برباط عاطفي. فأنا ابن هذا الجنوب الصامد، خُلقت فيه، وترعرعت فوق أرضه حتى بلغت الثانية والعشرين من عمري. وقد حملته معي إلى بلاد الاغتراب، في ذاكرتي وفي صدري، وكنت دائم الحنين إليه.

حتى إذا رجعت إلى لبنان بعد سنوات الكدح والثمار الطيّبة التي قطفتها، بدا لي أنه من غير الجائز إطلاقاً أن أنشئ مؤسّساتي في غير الجنوب، ولو كان الخطر الرئيسي يكتنفه من كلّ ناحية، وأتساءل دائماً: "إذا كان أهلنا في الجنوب يواجهون صعوباتٍ يوميةً يعجز عنها الإنسان العادي فمن غيرنا يعود إليهم ليوفر لهم فرص العمل؟!.

ولم يكتفِ هاني صفي الدين بالتساؤل، بل بادر إلى الفعل، وهذا ما يوضّحه هو مباشرة، بقوله: "انطلاقاً من هذه الرابطة التي تشدّني إلى الجنوب، وانطلاقاً من هذه القناعات، افتتحت في الجنوب مشاريع صناعية وزراعية، وافتتحت فيه أول فرع لـ"بنك المغترب". ولو أتيح لي أن أتوسّع في أعمالي في هذه المنطقة لفعلت من دون تردّد، يشجعني في ذلك مناخ التضحية والفداء السائد فيه. فما دام ابن الجنوب يضحّي ويفتدي الأرض فإن أضعف الإيمان هو أن نقدّم لأبنائه فرص العمل اللائقة".

ويضيف السيد صفي الدين: "يعمل في مؤسّساتي في الجنوب نحو مئتين وخمسين عاملاً وموظفاً، خصوصاً في الزراعة والصناعة وأنا أشعر بأنني أدّيت بذلك جزءاً من واجبي الكبير حيال المنطقة وأهلها، في ظروف الاعتداءات الإسرائيلية المتكرّرة، من قصفٍ ومحاولات اقتلاع للمواطن من أرضه. وهذا الموقف الذي أقفه ينبغي أن يكون موقف كلّ جنوبي يملك ما أملك من إمكانات، سيّان كان مقيماً أو مغترباً، وحسبي رائداً في ذلك قول مولانا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ثلاثة نحبّهم كثيراً: الطفل حتى يكبر، والغائب حتى يحضر، والمريض حتى يشفى. وهو قول ينطبق على الجنوب الذي يعاني من الاعتداءات الإسرائيلية ومحاولات العدو لاقتلاع أهلنا منه".

وهاني صفي الدين، الذي عاني الكثير في رحلة اغترابه، وعاش ظروفاً كفيلةً بأن تزرع اليأس في النفس فإنه على عكس ذلك لا يعرف اليأس، وينظر بتفاؤل إلى الحاضر والمسقبل.

وقبل أن نستعيد سيرة حياته وكفاحه، يحسن بنا أن نسجّل هنا هذا المنطق التفاؤلي الذي يهتدي به في عمله وفي نظرته للأمور. وهو منطق يتجلّى لنا في تقييمه لمرحلة الحرب وآثارها على البشر والحجر.

يقول السيد هاني صفي الدين: "إن حرباً دامت في لبنان خمس عشرة سنة ثم توقّفت في أربعٍ وعشرين ساعة، تعني أن اللبناني يحبّ الحياة ويميل إلى السلم والبناء. فعندما توقّفت حرب الشوارع، استطعنا، خلافاً للعديد من الدول والبلدان التي شهدت حروباً مماثلة، أن نستعيد حياتنا العادية بسرعة. والسلاح الأصلي والأبقى لدى اللبناني هو سلاح الدِّين، سيّان كان مسلماً أو مسيحياً. والإيمان الدِّيني وازعٌ يمنع الإنسان من السير في الضلال. وإننا، على اختلاف مذاهبنا الدِّينية يجمعنا الولاء للوطن، ويشدّنا هذا الولاء إلى بعضنا البعض. وها نحن نلتقي ونتعاون في الخير، وكأننا لم نخض هذه الحرب القذرة".

ويرى السيد صفي الدين أن البرنامج التربوي الذي كان سائداً في المدارس اللبنانية يتحمّل جانباً من المسؤولية أثناء الحرب التي قامت "فالتنشئة الوطنية كانت شبه معدومة. ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى إعادة تأهيلٍ للناشئة. يجب أن يرتفع مستوى المدارس ومستوى مناهجها، وأن يعاد تأهيل المعلم نفسه، عبر دورات مكثّفة. فالمعلم اليوم مسؤولٌ عن أجيال الحرب وعن إعادة تأهيل هذه الأجيال.

ولنتذكر أن الشعب الألماني الذي خرج من الحرب محطّماً، خضع لعملية تأهيلٍ مستمرة، ساعدته على نسيان الماضي. "وأنا أرى أن الدولة لا تزال مقصّرة إلى حدٍّ ما في عملية إعادة التأهيل. وليس المهمّ أن يقاس على ما تقوله الدول اليوم، المهمّ أن يقاس على ما تقوم به في هذا المضمار. ولتكن لنا وللدولة قدوة في ما فعله تشرشل في إنكلترا ما بعد الحرب. فلقد بادر قبل كلّ شيءٍ إلى إعادة تأهيل المدارس والمستشفيات، وجاءت حركة إعمار البيوت في مرحلة لاحقة. أما نحن فلا نزال حائرين في أمورنا.

فلنخرج من حيرتنا، ولنتوجّه إلى تأهيل البشر قبل الحجر، فالبشر هم الرصيد الأكثر أهمية، إنما الحجر فتبنيه الدولة لاحقاً".

وإعادة تأهيل البشر، في رأي هاني صفي الدين، تفترض اهتماماً أكبر بالمدرسة الرسمية، باعتبارها المدرسة التي توحّد اللبنانيين وتعزّز لديهم حسّ الانتماء الوطني. ولذلك فهو يرفض أن تكون المدرسة الرسميّة "زريبة".

ويقول: "لو كنت مكان الدولة لركّزت اهتمامي في الجنوب على المدارس المهنية والتعليم المهني. والواقع إننا شعبٌ متخمٌ بالعلم النظري، والدليل كثرة المحامين والأطباء والمهندسين، وهؤلاء نسبتهم إلى مجموع السكان كبيرة جداً. وإذا كنا فعلاً نريد بناء البلد وتطويره، فما علينا إلا تطوير قطاع التعليم المهني، فهو القطاع الكفيل بإعادة المواطن إلى أرضه بدلاً من هذه الهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة وتكوين أحزمة البؤس، علاوة على إعداد كوادر تستطيع إدارة المشاريع الصناعية والتجارية والمصرفية في الجنوب، وفي أيّة منطقةٍ ريفيّةٍ فيه. وإن الأمر يحتاج إلى إعداد البحوث والدراسات الكفيلة بتحديد الأولويات على هذه الصعد. وأنا شخصياً على استعداد لمساعدة أيّ إنسان يعكف على إعداد مثل هذه الدراسات، وعلى استعداد لمساعدته على تحقيق أيّ مشروع يريد تنفيذه في الجنوب".

والأمر عند هاني صفي الدين يحتاج إلى القرار والإرادة والمثابرة، وتجربته في المجال المصرفي مثال على ذلك، يقول: "لقد أنشأت البنك من الصفر، وخلال أربع سنوات أنشأت أربعة فروع. وليست العبرة في كبر المؤسّسة، بل هي في ما أفعله أنا مثلاً. فأنا أثابر على العمل أربع عشرة ساعةً يومياً، وأعزّز علاقاتي بجميع الناس الذين لهم علاقات مع بنك المغترب. إذاً، فالمسألة لا تحتاج إلى مجرّد الظروف الملائمة فحسب، لأن النجاح لا يقوم على هذه الظروف وحدها بل إن الشرط الأهمّ هو المثابرة والجهد المتّصل وعدم الاستسلام للملل. وحسبي أن أتذكّر أنني عندما بدأت كفاحي في أفريقيا كنت أرزح تحت ثقل دَيْنٍ مادي مقداره 450 ليرة إسترلينية، وكنت على مدى سنوات عاجزاً عن سداد هذا الدَّيْن لأصحابي. مع ذلك لم أسمح للإحباط بأن يسيطر عليّ. لقد بدأت فعلاً "من تحت الصفر"، وحسبي أن أكثر من أعرفهم هنا في لبنان، وهناك في أفريقيا، يرون أنني

من الرجال الأكثر عصاميّة".

ولكن لماذا يركّز هاني صفي الدين على إنجاح المؤسّسة المصرفية؟

يقول: "ركّزت على بناء بنك المغترب، لأنني أعتقد أن المصارف عصب الاقتصاد، علماً بأنني عملت في نيجيريا في مجال النقل وتوزيع المحروقات، وأنا لا أزال أملك 450 شاحنة. وقد كان لديّ حلم اسمه الصناعة، وقد أنشأت خمس مؤسّسات صناعية، حتى إذا عدت إلى لبنان تابعت تحقيق أحلامي وطموحاتي فأنشأت مؤسّسات صناعية ومؤسّسات زراعية، ولذلك فأنا من موقعي في هذه الميادين الاقتصادية أؤكد أن المصارف هي عصب تحريك عجلة الاقتصاد لا في لبنان فحسب، بل في العالم كلّه".

ويكرّر السيد هاني صفي الدين حديثه على ضرورة إعادة تأهيل عناصر المجتمع الخارج من حربٍ دامت خمس عشرة سنة، وعن ضرورة توفير فرص العمل، وتحقيق الاستشفاء المجاني، والتعليم المجاني لجميع المواطنين.

ويدعو السيد صفي الدين ابن الجنوب "إلى الاستمرار في عمله الزراعي، والعمل في مجال الصناعة إذا استطاع، والاهتمام أكثر بتعليم أولاده، وتوجيههم نحو المدارس المهنية".

وعَوْداً على بدء نتعرّف أكثر على هاني صفي الدين: "ولد في بلدة مجدل زون الجنوبية، في أسرة جنوبية سياسية، ونشأ وهو يطمح لدراسة الحقوق، بعد نيله شهادة الفلسفة الثانوية. كان ذلك طموحه الأول. غير أن والده عبد اللّه صفي الدين كانت له خطة أخرى. فالوالد كان له شقيق في نيجيريا، هو السيد محمود صفي الدين، وقد بدا له أن يبعث بابنه هاني إلى عمّه هناك، ليبدأ حياة لا علاقة لها بدراسة الحقوق ومزاولة المحاماة.

يوماً استدعى السيد عبد اللّه الشاب هاني، والبالغ من العمر واحداً وعشرين عاماً، ووضع يده على كتفه، وحدّق في عينيه وقال عبارةً واحدةً حازمةً: "أثبت لي أنك رجل رجل..." قالها بحزم،

وفتح أمام الشاب أبواب الطموح... ولكنها كانت أبواب المجهول.

كذلك قال الوالد: "اذهب إلى عمّك في نيجيريا، وساعده في أعماله، ثم خذْ مكانه ليرجع إلينا فنمضي بقيّة العمر معاً".

وكان القرار: ... فإرادة الوالد محترمة عند الابن الشاب. وأخبار الناجحين من اللبنانيين في نيجيريا تتوارد إلى أسماع الفتى. فلماذا لا يجرّب حظّه ويدلي بدلوه في بئر الحياة العملية الشاقّة، ثم يجني بعد ذلك الثروة والمجد والمستقبل الآمن؟.

حزم هاني صفي الدين أمتعته القليلة، وسافر إلى نيجيريا في الثاني عشر من تشرين الأول 1956 وكانت تلك خطوةً أولى. ولكنها كانت خطوةً صعبةً تكتنفها العقبات.

في مدينة إيبادان النيجيرية عاش مع عمّه محمود حتى العام 1960، وعمل عنده في شركةٍ للنقل يملكها. ولكنه عمل أجيراً براتب شهري، ومع ذلك ثابر على مضضٍ فلم يصارح عمّه بمعاناته، واكتفى بأن يتابع أحلامه وطموحاته الشابّة. فهو لم يأتِ إلى نيجيريا ليعمل أجيراً براتبٍ شهري. لقد أتى ليحقّق مبتغاه ويحتلّ مكانةً مرموقةً بين الناجحين من وطنه، وبسرعةٍ تعلّم الشاب اللغة الإنكليزية، الضرورية في الأعمال الاقتصادية في نيجيريا. ولكنه بدأ بدايةً طريفةً لا ينفك يرويها لمعارفه.

ففي أحد الأيام ألقى تحيّة الصباح بالإنكليزية على ضابط إنكليزي وزوجته كانا في ضيافة عمّه، وكان الوقت مساءً. وقد ضحك الجميع. ولكنها ضحكات كانت حافزاً له على تحصيل اللغة الإنكليزية بسرعة. وهكذا كان، فقد استطاع بعد شهرٍ واحد، أن يجالس الضيفين، الضابط وزوجته، وأن يحدّثهما بإنكليزية سليمة.

ولأن هاني صفي الدين موظفٌ في شركة عمّه، فقد كان مصيره رهناً بمصير الشركة. وكان عليه أن يواجه أولّ امتحانٍ قاسٍ فنيجيريا نالت استقلالها في العام 1960، أيّ بعد ثلاث سنوات من وصوله إليها. وخشي عمّه محمود أن تؤمّم الدولة الشركة فبادر إلى بيعها للدولة، ولهذا الحدث قصةٌ طويلةٌ، مختصرها أن الدولة اشترت الشركة بعمالها ومستخدميها. وبذلك صار هاني موظفاً لدى دولة نيجيريا. وفي أحد الأيام تلّقى صدمةً صعبةً، فقد بيعت سيارته الخاصة، في ظروف غامضة، ومن دون استشارته، والدولة كانت تشترط أن يكون الموظف لديها مالكاً سيارة، وواقعة بيع السيارة

جعلته يعدل في العام 1982 عن قرار زواج، جاء من أجل تحقيقه إلى صور في الجنوب. فقد اضطرّ إلى العودة بسرعة إلى نيجيريا، وأن ينتظر ثماني سنوات ليكمل نصفه الآخر بالزواج من السيدة ضحى دبوق وتأسيس الأسرة وإنجاب الأولاد.

في نيجيريا وجد هاني نفسه وسط الذئاب: لبنانيون وأجانب كانوا يكيدون له، ويخلقون له المتاعب، فكان عليه أن يتسلّح بشجاعةٍ استثنائية، وهو يؤسّس مع شريك أرمني وآخر نيجيري شركة لآلات التسلية المعروفة بـ"الفليبر" ولكنه وجد نفسه في مواجهة مدّعي عام الدولة الذي ناصبه العداء، واستدرجه إلى المحاكم، وقرّر أن يحطّم مشروعه بأيّ ثمن. وقد استطاع المدّعي العام ذلك إلا أنه لم يستسلم، بل استأنف كفاحه من جديد، متسلّحاً بالعزيمة وروح التحدّي، وعفّة النفس. وتابع العمل في مجال آخر هو مجال التجارة بالسيارات. ولكنه فشل مرّة أخرى حتى لاحت له بارقة أمل تمثّلت في شركةٍ إيطاليةٍ كانت تبني سداً، وكانت العائلات التي تعمل في إطارها، في منطقة السد البعيدة المعزولة، تضمّ نحو خمسمئة شخص. ولذلك قرّر هاني أن يبيع هذه العائلات ما تحتاجه من طعام ومرطبات، مستعيناً على ذلك بسيارة بيك أب قديمة. وقد وجد المساعدة لدى مدير الشركة الإيطالية، لقاء خدمة قدّمها له هاني، إذ ساعده على إدخال ولده في جامعة إيبادان.

وهنا كانت بداية عمل جديد، إذ شرع بمساعدة المدير الإيطالي بفتح متجر في منطقة المشروع. ولكنه لم يهنأ طويلاً إذ تلقّى ضربةً جديدةً كانت وراءها شركة يونانية تطمع في أن تحلّ محلّه في توفير الطعام للعمال الإيطاليين. ولذلك قصة تطول.

المهم أنه خاض بعد ذلك غمار التجارة في مجال آخر، هو مجال تصدير الكوكو من نيجيريا، واعتمد كالعادة على ديون من أصدقائه. ولكنه فشل أيضاً أمام ظروف قاهرة رغم إرادته حتى كان ذلك اليوم، وكان لبروزه في رياضة البولو فضل في وضعه من جديد على طريق النجاح.

كان عضواً في نادٍ للفروسية في مدينة إيبادان، وكان لا يملك جواداً، بل يمارس تدريباته لقاء أجرٍ يدفعه مقابل كلّ ساعة تدريب. وكتب له العون في شخص طبيبة إنكليزية استطاع إقناعها بشراء جواد، وقادته المصادفة واشتراكه في مباريات البولو، إلى لقاء سيدة سويسرية دعاها إلى الرقص، ونشأت بينهما ألفة، وقدّمته السيدة إلى زوجها الذي كان نائباً لمدير شركة البترول العالمية B.P. وعن طريقه استطاع الحصول على عقد يتيح له توزيع البنزين وقدّمت له الشركة قرضاً مكّنه من شراء عدد غير قليل من شاحنات الصهاريج وراحت الثروة تتكدّس بين يديه، فيشكر الله على نعمائه،

على قاعدة **{لئن شكرتم لأزيدنّكم}**. هكذا قطف هاني صفي الدين ثمار صبره وروح التحدّي فيه، حتى أصبح مالكاً لأسطولٍ من الشاحنات تعداده 410 شاحنات إضافة إلى مصانعه في قريةٍ بضاحية إيبادان باتت تُعرف باسم "قرية هاني صفي الدين"، وقد أنشأ فيها ثلاثة مصانع هي: مصنع البلاستيك الرئيسي ومصنع الأحذية البلاستيكية ومصنع الكراسي البلاستيكية إضافة إلى مساهمته في شركةٍ للكبريت، وترؤّسه مجلس إدارتها فترة من الزمن، قبل أن يستقيل لضيق وقته من المنصب والشركة على السواء.

وفي العام 1982 آلمه ما حلّ بالجنوب بسبب الاجتياح الإسرائيلي، فعاد إليه وراح يخطط لمشاريع توفّر فرص العمل للعديد من الجنوبيين وخاصة في ميدان إنقاذ المواسم الزراعية، واشترى لهذه الغاية العديد من البساتين بعدما كانت مهدّدة بالبوار والكساد وها هم العمال والمستخدمون العاملون في مؤسّساته الزراعية والصناعية والمصرفية، يزداد عددهم يوماً بعد يوم، وها هو يتابع في الجنوب مسيرة الإنماء، ويخطط لمزيد من المؤسسات، ودافعه إلى ذلك توفير فرص العمل للشباب. وهي مسؤولية كبرى فهو في قلب المعركة الدائرة في الجنوب. ثم أليس الصمود سلاحاً من أسلحة هذه المعركة؟ وهل يكون الصمود بغير توفير شروط البقاء في القرى والعمل في الحقول والمؤسّسات؟

إن أعظم ما في هاني صفي الدين ذاكرته، فهو وإن كان واحداً من أبرز الناجحين في لبنان، لا ينسى البدايات، ولا ينفك يتذكّر الخطوة الأولى في رحلة الألف ميل. وقد كانت رحلةً شاقةً!

هاني صفي الدين سليل العائلة الهاشمية العربية، كأترابه من أبناء الجنوب شديد الالتصاق بأرض عامل أرض الجنوب المعطاء على مدى التاريخ يبذل كلّ ما بوسعه لإنعاش هذه الأرض ويرفض أيّة مهانة تتعرّض لها وقد زرع في العديد من زواياها حزنه وألمه، فرحه وسعادته.

من نصائح هاني صفي الدين إلى الشباب: الصدق والأمانة والمثابرة على العمل، أهمّ شروط النجاح. فعلى أيّ شاب يريد خوض غمار العمل، وتحقيق مبتغاه، أن يتحلّى بالصبر والإرادة والتمسك بروح المثابرة إذا كان فعلاً يريد النجاح في أيّ مشروع يقدم عليه وفي رأس ذلك كلّه تحديد الهدف بدقّة ووضع المخطّط العملي لمسار التنفيذ.

بصمات على دروب النجاح

السيد أبو حاتم عاشور

عندما تُسدّ أبواب الرزق في وجه الإنسان، يطرق أبواب الهجرة طلباً لهذا الرزق... وهي ميزة فطر الله الناس عليها، وأثبتت أهميتها في تحسين أوضاع المهاجرين.

ولبنان الذي اتّسم منذ القدم بأنه بلد التجارة، قصد أبناؤه ولا يزالون أصقاع العالم، فعملوا واجتهدوا وصبروا ليثمر صبرهم وعملهم خيراً يعود عليهم وعلى بلدهم..

و"أبو حاتم عاشور" واحد من أبرز الرحالة الجنوبيين الذين حفروا مستقبلهم في الصخر، فقام على أساس متين زاد من صلابة ومتانة أساسات بناء هذا الوطن..

جنوبي بامتياز.. صاحب أعمال ناجحة كان لها الأثر البارز في الحركة الاقتصادية اللبنانية اليوم...

بدأ "محمود عاشور" الشاب حياته العملية مع والده المزارع عام 1946 في بلدتهما "شقرا" قضاء بنت جبيل، وكان عمره يومها ستة عشر عاماً، توجّه حينها إلى مدينة حيفا في فلسطين حيث امتهن عملاً بدائياً استمر فيه حتى تاريخ نكبة فلسطين في العام 1948، فعاد إلى لبنان بحراً عن طريق عكا – الناقورة ليعيش وضعاً صعباً، حتى كان العام 1950، يوم انتقل إلى بيروت ليعمل في إحدى المطاحن...

ويصف عاشور عمله في تلك المطحنة بالأشغال الشاقة حيث فكر بالانتقال

إلى عمل آخر يليق بكرامته بعد أن كان "شوال" الطحين أو القمح لا ينزل عن ظهره، فيقول: فكّرت في امتهان التجارة كبائع متجوّل في جبل لبنان، وقد أعانني الله سبحانه وتعالى على هذا العمل... ثمّ استأجرت باصاً من راشد حبلي في صيدا وآخر من غيره، وعملت معاوناً عليه لمدّة 4 سنوات، إلى أن تمكّنت بمعاونة أحد الأشخاص من شراء باص خاص لي، ما لبثت أن سلّمته لأخي، واشتريت محلاً تجارياً في سوق "العازارية" في العاصمة، شاركني فيه شخص دفع مبلغ خمسمئة ليرة قيمة الديكور من أصل خمسة آلاف ليرة هي ثمن المحل حيث دفعت أربعة آلاف وخمسمئة ليرة..

ويتذكّر "أبو حاتم" بدايته في ذلك المحل فيشير إلى أنه بقي وشريكه طيلة عشر سنوات دون أن يتحاسبا، بل اكتفيا بقسمة الأرباح... إلى أن باعه الشريك حصته من المحل طالباً منه أن يدفع على مهله، وعندما تتوافر لديه الأموال، محدّداً ثمن حصته بثلاثين ألف ليرة واتفقا على ذلك.

وهكذا... وسّع "أبو حاتم" أعماله لتشمل الملابس، وتعامل مع تاجر "جوخ إنكليزي". لم يعجبه هذا النوع من البضائع في بداية الأمر كون "الجوخ" بحاجة إلى كوي، لكنه زاد من تمرّسه في المهنة ومن حماسه، فشارك في مصنع في تل الزعتر واشترى محلاً تجارياً في الجبل.. غير أن الظروف جرت بما لا يشتهي، وضاقت الأحوال مجدداً لتعيده إلى نقطة الصفر نتيجة أحداث لبنان..

يقول أبو حاتم: "عندها فكّرت في الاغتراب، وسافرت إلى الخليج، لكني رأيت أنني سأكون ضعيفاً في عملي، فتوجّهت إلى زائير بعد أن أمّن لي بعض الأصدقاء "الفيز" للعائلة..".

(ويتذكّر تلك اللحظة جيداً، حين وضع أحد الأصدقاء مبلغ خمسمئة دولار في جيبه ففرت دمعته عندما قال له صديقه لا تهتم، عندما يصبح معك مال تعطيني المبلغ...)

ويتابع "أبو حاتم" وقد بدت عليه ملامح التأثّر: "صرفت هذا المبلغ في مطار مدريد، حيث اضطررنا لتخفيف الوزن في رحلتنا بالطائرة إلى مطار زائير.. ولا أنسى كيف تفرّقت عائلتي على منازل المعارف والأصدقاء، حيث نام كلّ اثنين منا في منزل... لكنني عملت بكدّ حتى أستعيد ما فقدته من كرامتي.. وتمكّن أفراد عائلتي من تحسين أوضاعهم مجدداً بعدما تعلّموا من الظروف التي مرّوا بها واستفادوا من التجربة.. عدت بعدها إلى الكويت حيث كانت المحطة التالية..".

ومن الكويت شحن "أبو حاتم" أربعين طناً من البضائع ونقلها بواسطة طائرة استأجرها إلى أفريقيا، فكان أن بارك الله له في تجارته، وبدأ الحظّ يبتسم له.

ويتابع "أبو حاتم" متذكّراً: خلال إقامتي في زائير، كنت أتردّد على لبنان، كوني شغلت حينها منصب عضو المجلس البلدي في بلدتي "شقرا" لكني كنت أسعى لأن أحسّن وضع بلدتي أكثر، وأطوّر بلدي نحو الأفضل، لذلك كان أوّل عملٍ قمت به هو بناء جناح لمدرسة مؤلف من ثلاث طبقات، وطلبت من وزارة التربية أن تعطيني ترخيصاً بالتعليم الثانوي، لكن طلبي رُفض بسبب عدم توافر الميزانية اللازمة للمدرسين، فتكفّلت بتأمين المدرسين على مدى ثلاث سنوات، وافقت بعدها

الوزارة وأعطتني الترخيص"..

غير أن الأمر لم يخلُ من عقباتٍ كانت بمثابة صدمات لأبي حاتم وذهبت في كثير من الأحيان بكلّ ما يملكه نتيجة فقدان العملة لقيمتها أو مصادرة البضائع أو نتيجة ترحيل المغتربين بسبب الأحداث المتلاحقة في بلاد المهجر، لكنه بقي صامداً وثابر حتى وصل إلى الهدف الذي يصبو إليه...

وبعد العام 1980، عاد أبو حاتم إلى وطنه واستكمل بناء المدرسة قبل أن يبني بيته.. ثمّ بنى نادياً حسينياً للنساء في البلدة مع ستة محال تجارية جعل ريعها للحسينية، مع بيت سكن لخادمها ومصلّى لـ"الجبّانة".

ويختصر أبو حاتم وصف ما أنعم الله عليه به حينها فيقول: ".. وفاضت نعمة ربي.. وطرح عليّ أهالي البلدة إنشاء لجنة للبلدية، حيث لم يكن هناك مياه أو كهرباء، فاقترحت إقامة صندوق تنمية للبلدة يشترك فيه أغنياؤها، وهكذا تمكّنا من جمع مبلغ مئة وستين ألف دولار في سهرة واحدة..".

ولأنه لا يحبّ الإمعان في الحديث عن أعماله الخيّرة. لا نعرف إلا القليل القليل مما قام به من إنجازات للبلدة..

ويشرق وجه أبو حاتم حين يتحدّث عن عودة الدولة والأمن والاستقرار للبلد بعد العام 1990، وقد تمّ تكليفه منذ ذلك التاريخ برئاسة لجنة البلدة في شقرا..

وهكذا استمر في خدمة بلدته وأبنائها وما يزال، حتى انتُخب رئيساً لبلدية شقرا عام 1998، متوّجاً بذلك أعماله الخيّرة التي يشهد له بها كلّ من يعرفه، حيث لا يترك فرصةً سانحة لخدمة أحدٍ إلا وكان سبّاقاً، وبهذا جعل من بلدته شقرا قلعة للصمود في وجه العدو الإسرائيلي باعتبارها متاخمة للشريط المحتل..

وهو لا يترك مناسبة دون أن يحاول فيها وصف حبّه لأرضه ولبلدته وللجنوب فيقول: "قمنا بكلّ ذلك رغم وجود الاحتلال الإسرائيلي على مرمى حجر منا، لأننا نحبّ أرضنا ونتمسّك بها، وكلّ ما نقوم به لا يوازي حبّة تراب تؤخذ عنوةً من هذه الأرض.. وقد كانت لنا العبرة في ما حلّ بفلسطين

وأهلها..".

ولدى أبو حاتم نصيحة يتوجّه بها دائماً لجيل الشباب بأن لا يملّوا من العمل وأن يثابروا ويسيروا على الطريق المستقيم محصّنين بالطموح، معتبراً أن الإنسان عندما يصمّم على هدفٍ يصل إليه، وأن للتربية الصالحة دوراً أساسياً في تنمية المجتمع كونها رأسمال كلّ إنسان يريد بناء وطنه ومستقبله.. ولا يخفي أبو حاتم سراً أن كلّ هذا الجهد والإمبراطورية والنشاط والسمعة، لم تكن لتتحقّق لولا وقوف زوجته وأولاده إلى جانبه وتكامل الجوّ العائلي مع أجواء العمل، فكان عليه أن يبذل من جهده ووقته وصحّته الكثير، إضافةً إلى أنه فقد ولدين عزيزين جداً على قلبه.

ويقول أبو حاتم: رغم كلّ ذلك، كان تضافر ووحدة العائلة هما الأساس في النجاح الذي حقّقته، وفي وضع ركائز هذه الإمبراطورية من المؤسّسات. فليس هناك أعظم من تماسك العائلة، خاصة عندما يكون أفرادها واعين لقيمة ودور كلّ منهم في هذه العائلة. كما كان لفقداني ولديّ الشابّين أثرٌ عميقٌ في نفسي، فرحيلهما كان نكبةً كبرى وصدمةً للعائلة، لكنني لم أجعل ذلك يؤثّر على تماسكي أمام عائلتي، بل زاد العائلة تماسكاً، وحمدت الله على كلّ شيء..".

وهكذا تمكّن أبو حاتم من الاستمرار مع عائلته، وزادت اهتماماته بالعمل الخيري وشؤون بلدته، إلى جانب نجاحه الذي كان يترجم عبر أعماله المصرفية التي اتّسعت بجهوده وجهود أبنائه الشباب حيث شمل نشاطهم ولا يزال المجالات المالية والاقتصادية والمصرفية، وحتى الرياضية، من خلال تأسيس وإنشاء النوادي الرياضية، ذلك أن إدراك الأبناء لمسيرة الكفاح التي خاضها والدهم، زاد من تضافرهم كأسرة، وانعكس إيجاباً على عملهم المتكامل، على الرّغم من كلّ المصاعب.

ويدعو أبو حاتم الشباب المغامرين لأخذ العبرة من سيرته الذاتية التي شهدتها مسارح تغرّبه في القرن الأفريقي إلى بلدان الاغتراب الأخرى، والتي مكّنته من إقامة إمبراطورية واسعة من المؤسّسات المصرفية والاقتصادية..

أما حكمته في الحياة فهي الصدق والأمانة والخطّ المستقيم، حيث يقول: "الإنسان لا يُذكر بماله بل باستقامته وصدقه وعمله".

بصمات على دروب النجاح

السيد مصطفى الحريري

قد لا يكون بوسع الواحد منا تحديد معالم مستقبله وما سيكون عليه هذا المستقبل، لكنه بالتأكيد يستطيع أن يعمل لهذا المستقبل ويصنع نجاحه بيديه..

والمعروف عن الشاب الجنوبي أنه إنسان مكافح من الدرجة الأولى. وهو ما أثبتته التجارب والمحن التي اعترضت حياة الجنوبيين على مرّ

التاريخ الحديث، لا سيما ما عانوه من حروب واجتياحات ومآسٍ وإهمال الدولة، فاستطاعوا أن يستفيدوا من هذه التجارب الماضية لحاضرهم ولمستقبل أفضل لأبنائهم.

ولأنه مواطن جنوبي، شقّ السيد مصطفى الحريري "أبو نادر" طريقه في الحياة معتمداً على الله تعالى ثمّ على نفسه، وعلى مهنته التي أحبّ، في تخصص الهندسة الفنية للأجهزة الإلكترونية، والتي امتهنها بعد مرحلة الدراسة في المدارس الرسمية.

وأثبت مهارة عالية في هذا المجال سواء في مدينة صيدا، أم في المملكة العربية السعودية التي قضى فيها ست سنوات، افتتح بعدها مشروعاً زراعياً صغيراً بدأ يكبر شيئاً فشيئاً ليصبح مزارع واسعة تساهم، حالياً، في سدّ حاجة السوق المحلّي من المواشي والدواجن ومشتقاتها والخضر والحمضيات والزراعات المحمية.

ويروي أبو نادر حادثة جرت معه أثبت خلالها كفاءته في مهنته الأولى، حين طُلب إليه إصلاح نوع جديد من التلفزيونات التي لم يكن هناك من يقدر على

إصلاحها في ذلك الوقت.

ويقول عن تلك الحادثة: "تحدّيت الجميع وصمّمت على إصلاح التلفزيون وحرصت على تسليمه في اليوم التالي، مما اضطرني إلى المبيت خارج المنزل، فقلق عليّ أهلي وظنّوا أنني خُطفت، إلى أن وجدوني صباحاً في مؤسّستي".

ويعلّق السيد "أبو نادر" آمالاً كبرى على ثقة الشعب اللبناني بنفسه وبدولته فيقول: "نحن في

لبنان لم نفقد يوماً الثقة بالحياة والعيش الكريم، فبفضل الله وبفضل مسؤولينا ودولتنا التي أرسى دعائمها عهد الرئيسين إلياس الهراوي ورفيق الحريري، حيث بدأ لبنان يستعيد موقعه الاقتصادي والتجاري والسياحي بين دول المتوسط، بفضل توجهات الرئيس الحريري والسياسة التي كان ينتهجها في مسيرة البناء والإعمار. وأهم ما في الأمر هو الاستقرار والأمن اللذان بتنا نتمتّع بهما في وطننا حيث أصبح بإمكاننا الذهاب إلى أيّة منطقة في لبنان، طبعاً باستثناء المنطقة المحتلة التي نأمل أن تُحرّر في أقرب وقت، بفضل صمود الجنوبيين ومقاومتهم للمحتل".

ويضيف: "إننا نتطلّع إلى المستقبل بنظرة تفاؤلية، لأن حياتنا السابقة كانت صعبة ولكنّ الصبر كان زادنا إلى أن منَّ الله علينا ورزقنا فعدنا إلى الوطن لنقيم المشاريع ونساهم في نهضته".

ويرى أبو نادر أن على الشاب أن يتحلّى بالأخلاق والإيمان بالله والمثابرة الدائمة في العمل. ويقول: "يجب أن يتعلّم كلّ إنسان من فشله، فكلّ واحد منا يمرّ بمراحل من الفقر والحرمان والتعب، لذا علينا أن لا نيأس، وأن نتفاءل كلّما نظرنا في عيون شبابنا الذين نرى فيهم المستقبل المشرق".

بصمات على دروب النجاح

الدبلوماسي عبد المولى الصلح

العمل الإنساني جزء لا يتجزّأ من شخصية الإنسان التي فطره الله عليها، ومتى وُجدت هذه الميزة وأخذ المرء دوره الطبيعي في ممارستها، قدّم بها المثال الأسمى للإنسانية.

والأستاذ عبد المولى الصلح، شخصية صيداوية لها مكانتها في مجال العمل الإنساني وبأعلى مستوياته، حيث شغل عدّة مناصب دولية

في هيئة الأمم المتحدة كان آخرها منصب المدير الإقليمي لمفوضية الأمم المتحدة في الشرق الأوسط.

هو عبد المولى عمر الصلح، كان والده تاجراً من تجار صيدا اتّسم بالعصامية والتمسك بالمبادئ، واستطاع أن يتيح لأولاده فرص التعليم والعيش الكريم.

المرحلة الدراسية بالنسبة لعبد المولى الصلح بدأها في مدارس المقاصد في صيدا، وانتقل منها إلى مدرسة الأميركان، ليدخل بعدها جامعة القاهرة قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية.

بعد تخرّجه عمل مع بعثة إيرفد الفرنسية التي وفدت إلى لبنان في مجال الدراسات الإنمائية، بعد التحاقه بمعهد للتدريب في المجال ذاته ونال دبلوماً في التنمية.

وشارك الصلح في وضع العديد من الدراسات الميدانية الإنمائية لمعظم المدن والمناطق اللبنانية، وبخاصة منطقة الجنوب.

وبدأت الحرب الأهلية في لبنان والتي كان للصلح معها أكثر من حادثة. ويقول عن تلك المرحلة: "الحرب الأهلية لم تكن حرباً طائفية كما كان يحلو للبعض تسميتها ولا حرباً بين لبناني ولبناني، بل كانت في أساسها مشكلة اجتماعية واقتصادية يعانيها لبنان".

قبل تلك الفترة كان الصلح قد اطّلع على كافة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والإنمائية لعددٍ من المناطق اللبنانية والتي سبّبت له ولزملائه في "الفرق المتعدّدة النشاطات" التابعة لوزارة

التصميم صدمة كبيرة بعد أن لاحظوا أن دراساتهم كافّة واقتراحاتهم تمّ إخفاؤها في أدراج وزارة التصميم فقدّموا استقالةً جماعيةً احتجاجاً على عدم الأخذ باقتراحاتهم الخاصة بالتنمية الشاملة ثمّ انتقل إلى دار المعلمين في صيدا، عُيِّن بعدها مستشاراً للشؤون الاجتماعية في رئاسة مجلس الوزراء. ثمّ عُيِّن رئيساً لمنطقة الجنوب التربوية. وبعدها انتقل للعمل في الأمم المتحدة في جنيف، ثمّ نائباً للمدير الإقليمي لمفوضية الأمم المتحدة في الشرق الأوسط وكان مركزها في بيروت، حيث كان يشرف على أعمال الإغاثة للمهجّرين وتقديم المساعدات إليهم وإعادة بناء ما دمّره الاجتياح الإسرائيلي آنذاك. حيث قام بتنفيذ أكبر برنامج لإعادة تأهيل وإصلاح المؤسّسات الاجتماعية والإنسانية والمهنية التي تضرّرت إثر الاجتياح الإسرائيلي عام 1982 ابتداءً من مؤسّسة موسى الصدر المهنية في صور ومروراً بعدّة مؤسّسات إنسانية ومهنية واجتماعية في صيدا وصولاً إلى مؤسّسة الكفاءات ومؤسّسة الدكتور محمد خالد لتأهيل الصمّ والبكم في الأوزاعي، وكلّف هذا البرنامج أكثر من مليوني دولار، وتعاون مع وزير العمل آنذاك الدكتور عدنان مروّة في تنفيذه حيث تمّ إعادة تأهيل المعدّات وذلك بدفع شيكات للمؤسّسات بدل تقديم المعدّات مما وفّرالكثير، وساعد على عودة العمل سريعاً إلى هذه المؤسّسات الإنسانية.

ومن الصعوبات التي واجهها الصلح والتي كادت تقضي على حياته أثناء الاحتلال سعيه عند وصول باخرة محمّلة بالمواد الغذائية إلى ميناء صيدا ترفع علم الأمم المتحدة وكان آنذاك عشرات الآلاف من المهجّرين في مدينة صيدا وضواحيها محتاجين إلى المواد الغذائية، وأثناء اتصالاته لتأمين وصول الباخرة تعرض له جنود الاحتلال بالإهانات والتهديد ومنع وصول الباخرة، وكونه ممثلاً للأمم المتحدة وبسبب إصراره مع رئيس بلدية صيدا آنذاك المهندس أحمد الكلش تمكّن من تفريغ الباخرة ومدّ المهجّرين بالمساعدات. وأثناء عبوره "حاجز باتر" الواقع قرب جزين وهو يقود سيارته الدبلوماسية التي ترفع علم الأمم المتحدة وعند وصوله إلى حاجز اليهود عند الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر أقفل اليهود المعبر بوجهه فتقدّم بسيارته رغم إنذار جيش العدو بإطلاق النار عليه، فقال لهم أنا من الأمم المتحدة ولا يزال هناك نصف ساعة على موعد إغلاق المعبر ومن حقّي أن أدخل، وحصل جدالٌ بينه وبين الجندي عند المعبر كاد ينتهي بإطلاق النار عليه، ولكن شجاعته وأهميّة دوره في مساعدة النازحين مكّناه من الدخول بعد أن رضخ العدو لأمره.

وفي العام 1986، تعرّض الصلح في بيروت لحادثةٍ سُرقت خلالها سيارته التابعة للأمم المتحدة من قبل قوى الأمر الواقع آنذاك، وأُطلِق عليها الرصاص فأُصيب بشظايا في ساقيه لا تزال

آثارها ظاهرة حتى اليوم.

واستمرّ الصلح في تأدية مهمته الدولية في الوقت الذي كان فيه الكثير من خبراء الأمم المتحدة يخشون العمل في لبنان، وقام الصلح بتمثيل الأمين العام للأمم المتحدة في لبنان عند غياب الممثل الأصيل، وكان منسّق المساعدات الإنسانية للمنظّمات الدولية حيث أدّى دوراً فاعلاً في مساعدة المهجّرين والتخفيف من مأساتهم، وقد كرّمته الحكومة اللبنانية ورئيسها رشيد كرامي بمنحه وسام الأرز الوطني، وهو أول وسام يُمنح لموظّف دولي لبناني إثر انتهاء مهمّته في لبنان أواخر عام 1986.

بعد ذلك جرى نقله إلى القاهرة مديراً إقليمياً لمنطقة الشرق الأوسط ومسؤولاً عن الجامعة العربية.

وإبان حرب الخليج بين العراق والكويت طُلب منه السفر إلى الخليج للإشراف على أعمال الإغاثة هناك. ومن ثمّ عُيِّن ممثلاً إقليمياً لمفوضية الأمم المتحدة في المملكة العربية السعودية، حيث قام بتنفيذ أكبر برنامج في العالم لمساعدة اللاجئين إثر حرب الخليج، وأُحيل على التقاعد في نهاية عام 1989 وتمّ اختياره مستشاراً للشؤون العربية والإسلامية.

يرى عبد المولى الصلح أن منطقة الشرق الأوسط عموماً ولبنان خصوصاً، يعانيان من محدودية الوظائف مما دفع بآلاف الشبان إلى الهجرة والسفر لكسب المال وصنع المستقبل.

ويقول في ذلك: "لديّ ولدان في الخارج، أتمنّى أن يعودا للعمل في لبنان وخدمة وطنهما، لكن وللأسف مجالات العمل هنا لا تكفي. وأعتقد أنه أصبح لدى الشباب اللبناني من الوعي ما يمكّنهم من معرفة مصلحتهم".

ويشدّد الصلح على أهمية الاختصاصات المهنية فيقول: "أعتقد أن صنع المستقبل في لبنان بحاجة إلى اختصاصات عملية وليست نظرية، وهنا لا بدّ من التنويه بمشروع المعهد الجامعي للتكنولوجيا في صيدا الذي يقدّم الكثير من الاختصاصات المطلوبة في مسيرة النهوض بهذا الوطن".

ويؤمن السيد عبد المولى الصلح بالحكمة القائلة "اعمل منيح وارمِ في البحر".

كما أنه يؤيّد الحكمة القائلة "اتّقِ شرَّ من أحسنت إليه".

وهو ينصح كلّ إنسان بالعمل لمساعدة مجتمعه مهما كانت العقبات ويرى أن عقلية الناس تغيّرت وأصبحت أكثر مادية. بينما العمل الإنساني هو جزء من طبيعة الإنسان، وعلينا تحريك النزعة الإنسانية لأن مجتمعنا بحاجة ماسّة إلى التكافل والتعاون.

بصمات على دروب النجاح

المهندس يوسف النقيب

جميل أن يرى الإنسان ثمار جهده وتعبه على مدى سنوات حياته العملية، ناضجةً تؤتي أُكُلها، والأجمل أن يجيّر ما حقّقه من نجاح لخدمة الناس والوطن...

والإنسان الناجح ينظر إليه الناس نظرة إعجاب وتقدير، وخاصة إذا اطّلعوا على مسيرة حياته التي تزخم بالنضال والكدّ والمناقبية في العمل...

كثير من الأشخاص الناجحين، يقودهم نجاحهم إلى تبوّؤ مراكز هامّة إن على الصعيد الرسمي، أو على صعيد العمل الاجتماعي. فكيف إذا جمع أحدهم بين أكثر من مركز وعلى أكثر من صعيد؟!

أحد هذه النماذج المشرقة في العمل الرسمي والاجتماعي والرياضي، المهندس يوسف النقيب، رفيق درب رئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري، والذي يترأس عدّة هيئات أهمها: هيئة "أوجيرو"، "جمعية المقاصد الخيرية في صيدا"، "النادي الأهلي الرياضي – صيدا" و "هيئة شؤون الحج"، إضافةً إلى عضويته في مجلس إدارة المعهد الجامعي للتكنولوجيا في صيدا..

فالمهندس النقيب، شخصية صيداوية معروفة لبنانياً وعربياً، ومقاصدي عريق تدرّب في مدارس المقاصد منذ مرحلة الروضات وحتى المرحلة الثانوية التي أكملها في "مدرسة الفنون الإنجيلية" في صيدا، وكان اسمها في ذلك الوقت "مدرسة الجدار"..

بعد ذلك سافر النقيب إلى الولايات المتحدة الأميركية لدراسة الهندسة

الصناعية، حيث تخرّج من جامعة كاليفورنيا بشهادة في هندسة الصناعة والتخطيط، عاد بعدها إلى لبنان ليعمل في أحد مصانع البلاستيك، ومن ثمّ في "شركة لحود" للهندسة، وبعدها مديراً لغرفة التجارة والصناعة في صيدا والجنوب...

يتذكّر النقيب مرحلة الدراسة المليئة بحماسة الشباب فيقول: "في السنوات الثلاث الأخيرة من الدراسة، أنشأنا اتحاداً للطلبة في الجنوب كان يضمّ طلاباً من حوالي أربع وعشرين مدرسةً وكلّيةً

جنوبيةً، فكنت أحد الناشطين في العمل الطلابي، في الوقت الذي انطلقت فيه المقاومة الفلسطينية حيث كنا ندعم هذه المقاومة بشكل واضح وصريح..".

ومن أولى المراحل الصعبة التي اجتازها المهندس النقيب في بداية حياته العملية، يوم أنشأ مصنعاً للبلاستيك و"الفيبر غلاس"... كان ذلك في عزّ الأحداث عندما قُصف المصنع من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي واحترق بشكلٍ كلّي، فخسر النقيب كلّ ما جناه وجمعه من والده وإخوته لإنشاء هذا المصنع، مما دفعه إلى التفكير بالسفر...

في ذلك الوقت، تعرّف المهندس النقيب إلى دولة الرئيس رفيق الحريري الذي عرض عليه العمل في لبنان أو في الخارج، فقبل بذلك وكانت ثمرة أول تعاون بينهما معملاً للحجارة على الطريقة الحديثة وكان الأول من نوعه في الجنوب.

ويقول النقيب في ذلك: "بالنسبة إلى دولة الرئيس الحريري، كان هذا المعمل شيئاً صغيراً ومتواضعاً، أما بالنسبة لي وفي بداية حياتي العملية، فكان شيئاً كبيراً ومهّماً، حيث ركّزت جهدي وإمكانياتي على إنجاح هذا المشروع وإعادة تشغيل مصنع البلاستيك..".

ومرّت الأيام والشهور، فطلب الرئيس الحريري من النقيب أن يكون معه في المملكة العربية السعودية ويعمل في أمور صناعية، وهكذا كان، حيث تسلّم معملاً لصناعة الرخام في أكبر معامل المملكة وبقي فيه سنتين قبل أن يتسلّم مسؤولية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف...

أما مصنع البلاستيك، فبعدما أعاد النقيب بناءه وتجهيزه، تعرّض للنهب من قبل القوّات المحلّية المتحاربة آنذاك، فأقفله بعدما كان يعيل عشرات العائلات..

وهكذا، ركّز المهندس النقيب عمله في السعودية، وتطوّر فيه مديراً عاماً تنفيذياً لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الذي كان إنتاجه بحدود العشرة آلاف نسخة في الساعة، وعمل في شركات متعدّدة شقيقة لشركة "سعودي أوجيه" وتولّى الإشراف على هذه الشركات...

لكنه وعلى الرغم من كثرة انشغاله في العمل في السعودية، لم يقطع اتصاله بوطنه الأم، رغم أن الوضع في لبنان كان قاتماً ولا يدعو إلى التفاؤل.

ويقول في ذلك: "الشخص الذي أعاد لنا ثقتنا بوطننا وكان يثبت إيماننا به ويجعلنا نؤمن بعودته إلى سابق عهده من الازدهار، هو دولة الرئيس الحريري الذي كان يقول دائماً بأن لبنان سيعود...".

وللمهندس النقيب نظرة واقعية للحياة، فهو يرى أن الإنسان يجب أن لا يأخذ بالمظاهر والكلام والشعارات، لأن هذه الأمور كثيراً ما تكون مضلّلة...

ويضيف: "كلما استطاع الإنسان أن يرى الحقيقة، كلما تمكّن من صنع مستقبل أفضل... فنحن عايشنا شعارات كثيرة، ولكن هذه الشعارات كانت أحد أهم أسباب تدمير لبنان.. لبعدها عن الحقيقة".

وعن تشعب اهتماماته ومسؤولياته يقول المهندس النقيب: "الإنسان الناجح في عمله بإمكانه أن يكون ناجحاً أيضاً في أمور أخرى.. وخاصة على الصعيد الإنساني والاجتماعي. طبعاً هذا الأمر يتطلّب جهداً كبيراً ومتابعةً ووقتاً من حياة الإنسان ربما على حساب أسرته وأولاده.. ولكن يبقى للمجتمع حقٌّ علينا لا بدّ أن نجسّده انتماء ومشاركة حقيقية لهموم الإخوة الآخرين في مجتمعنا..".

وفي ما يتعلّق بعمله على رأس "هيئة أوجيرو"، يرى النقيب أن هذا العمل

وحدة متكاملة يتعاون فيها كرئيس لمجلس الإدارة مع حوالي ثلاثين مدير قسم وألفين وخمسمئة موظف.

أما المقاصد فيخصّص لها يوماً في الأسبوع، فيما استقطب النادي الأهلي أكثر وقته حتى تمكّن من إيصاله إلى مرتبة هامة بين الفرق الستة الأولى في الدرجة الأولى..

ويعتبر المهندس النقيب أن المثابرة والجهاد في العمل هما سبيل المرء للوصول، وأن طالب العلم يجب أن يرى حاجة سوق العمل ويتخصّص فيما يتطلّبه السوق.. ويقول في ذلك: "من المهم جداً أن نتّجه إلى التعليم المهني، لأنه منذ الآن وعلى مدى السنوات العشرين المقبلة هو التعليم الأفضل الذي يوفّر العمل للطالب في مختلف المراحل التعليمية.." وهذا التوجّه أخذت به مؤسّسة الحريري التربوية في المرحلة الأخيرة من نشاطاتها وعطاءاتها.

ويشدّد النقيب على أن لبنان لا يقوم إلا بسواعد بنيه، ولذا فهو يدعو جميع المغتربين للعودة

إلى وطنهم والعمل فيه..

وكأيّ جنوبي مخلص لأرضه ووطنه، يشغل الجنوب حيّزاً كبيراً من اهتمامات المهندس النقيب، نظراً للمعاناة التي يعيشها الجنوبيون في ظلّ الاحتلال الإسرائيلي، وهو يعتبر أنهم يمثّلون خطّ الدفاع الأول عن العرب والمسلمين بصمودهم وممانعتهم ونضالهم، وأن هذا الأمر هو فخرٌ وعزٌّ لهم، متمنّياً أن يزول الكابوس الإسرائيلي وتتحرّر الأراضي المحتلة في الجنوب والبقاع الغربي..

ويؤمن المهندس النقيب بالحكمة القائلة: "خير الناس أنفعهم للناس"، ويرى أن هذه الحكمة تنطلق من تجارب كلّ إنسان يرفض الأنانية هدفاً وسلوكاً في حياته ويؤمن بمشاركة الإنسان لأخيه الإنسان في الآمال والآلام مهما كانت.

بصمات على دروب النجاح

السيد حسين علي طعان

لقد حدّثني أكثر من صديق عن تلك الحديقة التي يملكها شخص يدعى حسين طعّان في منطقة "المصيلح" والتي يجمع فيها الطيور النادرة وبعض الحيوانات الأليفة. وقال محدِّثي: يزورها الناس من كلّ أنحاء لبنان جنوباً وشمالاً ساحلاً وجبلاً. وكانوا يصطحبون أولادهم وأطفالهم بغية تخفيف الهموم والمشاكل التي كانت تلفّ البلاد والعباد في تلك

الحقبة المريرة والمشؤومة من تاريخ الوطن. حروب وويلات كانت تجوب البلاد وتنشر الرعب والفساد بسلاح مذهبي وطائفي وإقليمي، تصبّ حممها فوق الناس دون تفريق ولا تمييز ودون حسيب أو رقيب. من هنا كانت البداية وكان عندي إصرار على مقابلة هذا الرجل المدعو حسين طعّان والتعرّف عليه عن قرب، لكنني وبكلّ أسف لم أوفّق بسبب للظروف القاسية التي كانت تمرّ بها البلاد كما ذكرت أعلاه، كان ذلك في العام 1987 وحتى العام 1998 الحالي حيث التقيت السيد حسين في مكتبه بالمصيلح.

والحقيقة أنني فوجئت عند مقابلته للمرّة الأولى، لأنني كنت أتوقّع أن أرى أمامي رجلاً كبيراً وضخماً عاركته السنين وأضناه الجهاد في بلاد الاغتراب، وإذ بي أمام إنسان ممتلئ بالحيويّة والشباب، يرتدي ملابس رياضية ويتكلّم بهدوء وبجدّية.

غادر طعّان لبنان في العام 1958 إلى أفريقيا وكانت هجرته يومذاك قسريّة حيث كان والكثيرون من رفاقه أيام الدراسة ينتمون إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي، وكانت الحرب الأهلية يومها في أوجها والمدّ الناصري الذي كان مسيطراً على الشارع اللبناني والإسلامي بشكل خاص، وكلّ من لا يؤمن يومها بهذا الاتجاه كان أمامه خياران: القبول بما هو سائد وموجود أو الرحيل. وقد اختار طعّان الخيار الأخير وسافر إلى أفريقيا، وأصبح مقتنعاً بالمثل القائل "ربّ ضارّة نافعة".

وبعد هذا الغياب القسري عاد طعّان إلى الوطن وانخرط بالعمل التجاري والزراعي الذي أخذ حيّزاً كبيراً من وقته وجهده لأنه متعلق بالأرض والطبيعة والتراب لدرجة العشق، وهو لا يزال حتى

اليوم عاشقاً ومغرماً بهذه الأرض الطيّبة.

يفتح باب شرفة مكتبه المطلّة على وادٍ سحيقٍ يمرّ وسطه نهر الزهراني ومروج خضراء تتماوج وتتراقص أغصانها فوق تلك الهضاب المترامية الأطراف، كأنها العرائس ليلة الزفاف. قائلاً: هذا هو حسين طعّان ألا يكفي أن ترى كلّ هذه اللوحات الجميلة أمام ناظريك وكأن يد الخالق قد رسمتها وأتقنت الرسم والإبداع.

ويضيف: لقد أغنيت بتعبي وكفاحي وصمودي هذه اللوحات المنتشرة في كلّ أنحاء المزرعة وعلى امتداد الطريق من الزهراني حتى نهاية حدود المصيلح، ولا بد لي في هذه المناسبة أن أذكر بالشكر ما قدّمه الرئيس نبيه بري من إغناء لهذه المنطقة علاوة على وجوده فيها من خدمات كبيرة.

يرى حسين طعّان أن المرحلة التي تعيشها البلاد دقيقة للغاية وأنها قد تحتاج إلى منجّم ليرسم المستقبل الذي ينتظرنا، والحالة التي قد تنتج عن كلّ هذه المعاناة التي تفوق الاحتمال؛ المصاعب المعيشية والاجتماعية؛ والصناعية والزراعية والاقتصاد بشكل عام، البلد شبه مفلس إن لم يكن قد أفلس وانتهى.

ويقول: الناس كلّ الناس وأخصّ بالذكر النخبة الذين يحملون الشهادات العالية، يبحثون عن عمل في بعض الأحيان أدنى بكثير من المستوى الذي يتناسب مع إمكاناتهم وكفاءتهم العلمية ولكن دون جدوى. أنا لا أريد الخوض في القطاع التجاري أو الصناعي وإنما أكتفي بكلمة عابرة عن القطاع الزراعي، لأنني أهتمّ بهذا المجال وأنا واحد من المزارعين اللبنانيين الذين فقدوا الأمل بكلّ شيء له علاقة بالعمل الزراعي على صعيد الدولة. وإنني لا أخفي عليك سراً بأن الزراعة في لبنان قد دخلت مرحلة اليأس أيّ الغيبوبة وهي تنتظر الموت المؤكّد، وعن المزارعين فمنهم من قضى ومنهم من ينتظر، والحال هي الحال والدولة هي الدولة والإهمال سيّد الموقف. إذاً الوطن والمواطن يسيران معاً باتجاه انحداري لا يعلم إلا اللّه وحده والراسخون بعلم الفلك أين ستستقرّ بهم هذه الحالة المأساوية الضارية. وكلّ آتٍ قريب.

ويتوجه طعّان إلى أبناء الجنوب بأن يتوكّلوا على اللّه وحده لأن ما تقدمه الدولة من خدمات هو غير كافٍ ولا يتناسب مع ما يقدّمه هذا الجنوب من تضحيات وما يعانيه من إذلال في بعض الحالات، ويطلبون منه الصمود. ويقول: بماذا يصمد وقد أرهقته سنون الحروب الماضية، وتعب

أبناؤه من النزوح والعودة والكرّ والفرّ، وإسرائيل العدو الأبدي السرمدي تطلّ كالأفعى وتتربص بنا، وترسل إلينا تحياتها اليومية بمدافعها وطيرانها وعدوانها اليومي صباحَ مساءَ. وقد رضخت ولكن بعد مرور عشرين عاماً واعترفت بالقرار الدولي رقم 425، وإذا جاز هذا الكلام فإن الفضل يعود أولاً وآخراً إلى المقاومة البطلة التي أربكت العدو، وقضّت مضاجعه وأرغمته على هذا الاعتراف. وبهذه المناسبة أوجّه من هنا، من المصيلح، ومن الجنوب المقاوم تحيّة إكبارٍ واعترافٍ إلى كلّ مقاومٍ، حمل السّلاح في وجه العدو المغتصب. وإننا ننتظر تحت وطأة العمل الجهادي المبارك، انسحاب إسرائيل الكامل عن أرضنا الطاهرة العربية المحتلّة في كلّ الوطن العربي الكبير.

وعن سبب عدم ترشّحه للانتخابات النيابية يقول طعّان: أنا أفضّل ألف مرّة الجلوس تحت السنديانة ولقاء المزارعين الذين يعملون في مزرعتي، نتناول الشاي ونتبادل الأحاديث الزراعية حيناً والبلدية والسياسية أحياناً، في هذا المكان وتحت هذه الشجرة أجد نفسي وشخصيتي، أفضّله على الجلوس في المقاعد الأمامية في المجلس النيابي. ولا ينطبق ذلك على ما يقوله البعض "حصرم رأيته في حلب"، وإنني عندما أقول ذلك فلا أقصد التقليل من قدر المجلس النيابي وما يمثّله من قيمة وطنية وشعبية، إنما هذا رأيي الشخصي ولي الحقّ أن أعبّر عنه بحرية. وأنا أصلاً لا تستهويني السياسة المحلية ولا تشدّني بأيّ شكلٍ من الأشكال.

أما ما قدّمته لوطني بشكل عام ولأبناء منطقتي بشكلٍ خاص، فهذا أمر لا أريد الحديث عنه بل أترك ذلك لكلّ من عرفني كبيراً كان أم صغيراً، فقيراً أم غنّياً. وبالنتيجة الغنيّ هو اللّه الذي أنعم عليّ من فضله وإحسانه، وأحياناً تعمل خيراً وتحصد شراً، وهذا أمرٌ يحصل غالباً، ولكن عليك أن تتحصّن بكلام الشاعر حيث يقول:

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه — فلا يضيع جميلٌ أينما زُرعا

ورغم أن لديه مسكناً في العاصمة بيروت، يتواجد طعّان باستمرار في مزرعته في الجنوب ويوضّح سبب ذلك بقوله: من تتهيّأ له هذه الظروف، وهذه الأجواء، وهذه الطبيعة الجميلة الخلاّبة،

وتطأ قدماه هذه المنطقة بالذّات، ويرى ما تراه أمامك، مروجاً من الطيّون والزعتر، وبينهما شقائق النعمان، تفترش هذه الهضاب المنبسطة أمامك، تتناغم مع شجيرات اللّوز والدّراق، وتكسوها ألوان زاهية بيضاء ومرجانيّة، تلعق النّدى وتفرز رائحةً شجيّةً، بعد أن تمتزج مع رائحة زهر الليمون الذي يغطي مساحاتٍ كبيرةً في هذه المزرعة، فيزيد الجمال جمالاً، ويكون سبباً كافياً لبقائي هنا في الجنوب، رغم أن بيروت هي عاصمة بلادي وأجمل عواصم العالم.

ويأمل حسين طعّان أن يفرّج اللّه عن لبنان وأن يحطّم تجبّر إسرائيل وينصرنا عليها ويبارك اللّه المقاومة كلّ المقاومة، لتتمكّن من تكبيد العدو الغاصب الخسائر الكبيرة وتكبح جماحه وتقضي على عنجهيّته التي يحاول ابتلاع الكون من خلالها، إن اللّه قادرٌ على كلِّ شيءٍ وهو بكلِّ شيءٍ عليم.

بصمات على دروب النجاح

عندما ينجح المتمرّس في مهنة ما، في التخفيف من آلام الآخرين وفي مساعدتهم على تخطّي المحن والمآسي، يغدو بممارسته لهذه المهنة صاحب رسالة إنسانية.

والمهن التي تتّسم بهذه السمة كثيرة، منها المحاماة التي ترتكز إلى قوانين العدل والحرية، التي أوصت بها الأديان السماوية، وتكفلتها الشرائع والأعراف الدولية وشرعة حقوق الإنسان.

تلك هي نظرة المحامي محمد شهاب إلى مهنة المحاماة، وهي نظرة تكاد تتّسم بالشمولية لدى الرأي العام.

أما شجون وهموم هذه المهنة فتختصرها مسيرة حياة المحامي شهاب بكلّ ما حفلت به من زخم ومن أحداث.

فهو ابن الطبيب المعروف الدكتور رياض شهاب، مقاصدي عريق انطلق طالباً من كلية المقاصد الإسلامية في صيدا وكان من المجلّين في اللغة العربية وآدابها.

تابع المحامي شهاب الدراسة الحقوقية في جامعة القاهرة، ونال منها الليسانس في العام 1957، وحاز على شهادة الحقوق اللبنانية من جامعة القدّيس يوسف عام 1958. ليتابع بعدها دراساته العليا في القاهرة وينال دبلومين، في القانون الخاص والقانون العام.

بدأ عمله كمحامٍ متدرّج عام 1959 في مكتب المحامي المرحوم شفيق لطفي، وبعد عامين أصبح محامياً بالاستئناف، وعُيّن مندوباً لنقابة المحامين في منطقة صيدا، وكان أصغر المحامين سنّاً في ذلك الوقت.

تقلّب في عضوية المجلس الإداري لجمعية المقاصد ومنصب نائب الرئيس قبل أن يتولّى رئاسة المجلس بسبب غياب الرئيس.

أما نقابة المحامين في بيروت فبدأ فيها عضواً لمجلس النقابة في العام 1974، ثمّ أميناً للسرّ فنقيباً للمحامين عام 1983، ودامت عضويته في نقابة المحامين تسعة عشر عاماً وهي أطول فترة في تاريخ النقابة، ويشغل حالياً منصب أمين سرّ النقابة.

وعلى الصعيد الدولي، انتُخب شهاب نائباً وطنياً لرئيس الاتحاد الدولي للمحامين عام 1982، وشارك في العديد من المؤتمرات العربية والعالمية.

وشغل شهاب في أواخر الستينيات أمين سرّ لجنة أصدقاء القدس، ومقرّراً للجنة إنقاذ القدس..

يرى المحامي شهاب أن المحاماة رسالة قبل أن تكون مهنة، لأنها تسهم في الخدمة العامة وتشكّل الركيزة الموازية للقضاء في تحقيق العدل والعدالة.

ويقول: "لا شك في أن من يرغب الانتساب إلى هذه المهنة، لا بدّ وأن تواجهه بعض الصعوبات، لا سيما في تأمين مكتب يتدرّج فيه، نظراً لكثرة الراغبين في الانتساب. علماً أن وضع المحاماة تأثّر بالعدد المتزايد من المحامين، والذي هو الأكبر في لبنان بالمقارنة مع عدد المحامين في دول عربية وأجنبية أخرى، ومن شأن ذلك التأثير على مستوى المهنة، بسبب ضيق سوق العمل والوضع الاقتصادي الذي يعانيه الناس".

ويعتبر شهاب أن مواجهة هذا الواقع تتطلّب تخطيطاً تربوياً وتوجيهاً للطلاب نحو التعليم

المهني والتقني، بعد أن زاد أصحاب المهن الحرّة من أطباء ومحامين ومهندسين عن حاجة البلد. ولذا فهو يحرص على توجيه الشباب فيقول: "على ضوء تجربتي في الحياة المهنية والاجتماعية، أرى أن على الشباب والأجيال الصاعدة، التمسك بالأخلاق والقيم، والصبر في مواجهة أوضاع الحياة، والمثابرة الحثيثة للوصول إلى الغاية المنشودة دون استعجال".

ويدعوهم إلى التحلّي بالصدق والاستقامة في المعاملة، والجدّ المتواصل في العمل ومواكبة التطوّرات العلمية والثقافية للحاق بركب القرن الحادي والعشرين، وأن لا يتوانوا عن خدمة مجتمعهم وبلدهم ووطنهم بإخلاص مجرّدٍ عن الأنانيات.

أما الحكمة التي يؤمن بها فهي: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً" و"القناعة كنز لا يفنى".

بصمات على دروب النجاح

المحامي محمد رياض شهاب

عندما ينجح المتمرّس في مهنة ما، في التخفيف من آلام الآخرين وفي مساعدتهم على تخطّي المحن والمآسي، يغدو بممارسته لهذه المهنة صاحب رسالة إنسانية.

والمهن التي تتّسم بهذه السمة كثيرة، منها المحاماة التي ترتكز إلى قوانين العدل والحرية، التي أوصت بها الأديان السماوية، وتكفلتها الشرائع والأعراف الدولية وشرعة حقوق الإنسان.

تلك هي نظرة المحامي محمد شهاب إلى مهنة المحاماة، وهي نظرة تكاد تتّسم بالشمولية لدى الرأي العام.

أما شجون وهموم هذه المهنة فتختصرها مسيرة حياة المحامي شهاب بكلّ ما حفلت به من زخم ومن أحداث.

فهو ابن الطبيب المعروف الدكتور رياض شهاب، مقاصدي عريق انطلق طالباً من كلية المقاصد الإسلامية في صيدا وكان من المجلّين في اللغة العربية وآدابها.

تابع المحامي شهاب الدراسة الحقوقية في جامعة القاهرة، ونال منها الليسانس في العام 1957، وحاز على شهادة الحقوق اللبنانية من جامعة القدّيس يوسف عام 1958. ليتابع بعدها دراساته العليا في القاهرة وينال دبلومين، في القانون الخاص والقانون العام.

بدأ عمله كمحامٍ متدرّج عام 1959 في مكتب المحامي المرحوم شفيق لطفي، وبعد عامين أصبح محامياً بالاستئناف، وعُيّن مندوباً لنقابة المحامين في منطقة صيدا، وكان أصغر المحامين سنّاً في ذلك الوقت.

تقلّب في عضوية المجلس الإداري لجمعية المقاصد ومنصب نائب الرئيس قبل أن يتولّى رئاسة المجلس بسبب غياب الرئيس.

أما نقابة المحامين في بيروت فبدأ فيها عضواً لمجلس النقابة في العام 1974، ثمّ أميناً للسرّ فنقيباً للمحامين عام 1983، ودامت عضويته في نقابة المحامين تسعة عشر عاماً وهي أطول فترة في تاريخ النقابة، ويشغل حالياً منصب أمين سرّ النقابة.

وعلى الصعيد الدولي، انتُخب شهاب نائباً وطنياً لرئيس الاتحاد الدولي للمحامين عام 1982، وشارك في العديد من المؤتمرات العربية والعالمية.

وشغل شهاب في أواخر الستينيات أمين سرّ لجنة أصدقاء القدس، ومقرّراً للجنة إنقاذ القدس..

يرى المحامي شهاب أن المحاماة رسالة قبل أن تكون مهنة، لأنها تسهم في الخدمة العامة وتشكّل الركيزة الموازية للقضاء في تحقيق العدل والعدالة.

ويقول: "لا شك في أن من يرغب الانتساب إلى هذه المهنة، لا بدّ وأن تواجهه بعض الصعوبات، لا سيما في تأمين مكتب يتدرّج فيه، نظراً لكثرة الراغبين في الانتساب. علماً أن وضع المحاماة تأثّر بالعدد المتزايد من المحامين، والذي هو الأكبر في لبنان بالمقارنة مع عدد المحامين في دول عربية وأجنبية أخرى، ومن شأن ذلك التأثير على مستوى المهنة، بسبب ضيق سوق العمل والوضع الاقتصادي الذي يعانيه الناس".

ويعتبر شهاب أن مواجهة هذا الواقع تتطلّب تخطيطاً تربوياً وتوجيهاً للطلاب نحو التعليم

المهني والتقني، بعد أن زاد أصحاب المهن الحرّة من أطباء ومحامين ومهندسين عن حاجة البلد. ولذا فهو يحرص على توجيه الشباب فيقول: "على ضوء تجربتي في الحياة المهنية والاجتماعية، أرى أن على الشباب والأجيال الصاعدة، التمسك بالأخلاق والقيم، والصبر في مواجهة أوضاع الحياة، والمثابرة الحثيثة للوصول إلى الغاية المنشودة دون استعجال".

ويدعوهم إلى التحلّي بالصدق والاستقامة في المعاملة، والجدّ المتواصل في العمل ومواكبة التطوّرات العلمية والثقافية للحاق بركب القرن الحادي والعشرين، وأن لا يتوانوا عن خدمة مجتمعهم وبلدهم ووطنهم بإخلاص مجرّدٍ عن الأنانيات.

أما الحكمة التي يؤمن بها فهي: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً" و"القناعة كنز لا يفنى".

بصمات على دروب النجاح

القنصل مصطفى خليفة

ساهم الاغتراب اللبناني منذ عشرات السنين في نهضة البلدان التي حلّ فيها لأنه كان معروفاً بحسن المعاملة واحترام القوانين والأنظمة، ولذلك فقد تمكّن المغتربون اللبنانيون من نقل صورة وطنهم الحضارية إلى مختلف أصقاع العالم، فكوفئوا من الدول التي حلّوا فيها بأن عُيّنوا في مراكز ومواقع مرموقة عادت وتعود بالنفع على وطنهم الأم مادياً ومعنوياً..

والقنصل الفخري لجمهورية ساحل العاج في لبنان مصطفى الحاج رضا خليفة واحد من أولئك الذين عملوا على وضع مدماكٍ للعلاقة اللبنانية الأفريقية، ورفع اسم بلده عالياً، حيث كان صلة الوصل المتينة بينه وبين إحدى أهمّ الجمهوريات في القرن الأفريقي..

ونظرة قصيرة إلى بداية القنصل خليفة العملية، تمكّننا من استخلاص أنصع صورة للاغتراب اللبناني والعمل الدبلوماسي بشكل عام. فهو وبعد نيله شهادة الليسانس في العلوم السياسية انتخبه الطلاب العرب رئيساً للنادي العربي – البلجيكي من العام 1958 وحتى العام 1960، وبعدها رئيساً لدائرة المراقبة في وزارة الإعلام اللبنانية عام 1961، واستمرّ في هذه الوظيفة حتى العام 1982 حيث عُيِّن بعدها مستشاراً في سفارة جمهورية ساحل العاج، وتمكّن خلال سبعة وعشرين عاماً من إقامة علاقات مميّزة بين لبنان وساحل العاج بفضل علاقاته المختلفة مع مسؤولي "الكوت ديفوار"، والتي من أبرزها علاقته مع رئيسها الراحل فليكس هوفيت بوانييه.. وتُوِّجت هذه العلاقات بتعيين خليفة قنصلاً عاماً فخرياً لساحل العاج في لبنان في العام 1990، وما زال حتى الآن في هذا الموقع يحظى بمكانة هامّة لدى العاجيين دفعت برئيس جمهورية البلاد إلى منحه وسام الاستحقاق من رتبة فارس، تلت ذلك مبادرة مماثلة من قبل رئيس الجمهورية اللبنانية إلياس الهراوي الذي منحه وسام الأرز الوطني من رتبة فارس لجهوده في مجال العمل الدبلوماسي ورفعه اسم لبنان عالياً.

يقول القنصل خليفة: "من أسباب نجاح أيّ إنسان الاستقامة في العمل والإخلاص له،

إضافةً إلى نظافة الكفّ التي تشكّل عاملاً مهماً في نيل ثقة المسؤولين. وأنا حالياً مستقرٌّ في وظيفتي لحماية ما حقّقته من علاقاتٍ مميّزة بين لبنان وساحل العاج وجمع شمل الجالية اللبنانية هناك، هذه العلاقات التي كانت دائماً حسنة بفضل الرئيس الراحل لجمهورية "الكوت ديفوار" المغفور له "فليكس هوفيت بوانييه" والتي ما زالت مستمرّة بفضل العلاقة المتينة مع الرئيس الحالي هنري كونان بيديه. ولقد أضفت زيارة فخامة رئيس الجمهورية إلياس الهراوي إلى ساحل العاج للاشتراك في تشييع الرئيس الراحل بوانييه صفحةً مهمةً في ترسيخ هذه العلاقات بين البلدين..".

ويرى خليفة أن هذه العلاقات المميّزة بين البلدين أعطت المغتربين اللبنانيين فرصةً لتثبيت وجودهم هناك، وبخاصة أن لهؤلاء المغتربين دوراً مهماً في اقتصاد ساحل العاج من خلال التصاقهم بهذا البلد حتى في عزّ الأزمة الاقتصادية التي مرّ بها، مما منحهم الاحترام الكلّي من جانب المسؤولين العاجيين، حيث بقي اللبناني يعمل ويبني ويفسح المجال لغيره من اللبنانيين والعاجيين في العمل..

ويمكننا الإطلالة على شخصية القنصل خليفة من خلال حكمةٍ يؤمن بها وهي: "من اعتزَّ بغير اللّه ذلّ" حيث يقول: "أؤمن بهذه الحكمة مع الحفاظ على كرامتي والإيمان بوطني وإيماني باللّه، والإخلاص في وظيفتي لخدمة وطني والإنسان فيه، وإقامة علاقات مميّزة بين الشعوب بطرقٍ مختلفةٍ وبما يحقّق السلام والمحبّة فيما بينهم..".

وينصح القنصل خليفة الشباب بأن يرسم في حياته دوراً وهدفاً يسير نحوه بخطى ثابتة، ويحدّد سبل الوصول إلى هذا الهدف بالاستقامة والتواضع والعمل على زرع المحبّة في قلوب أبناء الوطن بعيداً عن الطائفية والمذهبية ليعمّ السلام والمحبة بين الجميع..

بصمات على دروب النجاح

السيد نجيب يوسف

جميل أن يرتقي إنسان مركزاً أو موقعاً سياسياً أو اقتصادياً هاماً في بلدٍ غير وطنه، لكن الأجمل أن يوظّف هذا المركز وهذا الموقع لخدمة الوطن، ولا يمكن لهذا الأمر أن ينجح إذا لم يكن مقترناً بحس الانتماء الوطني لدى الإنسان..

هذا الكلام قد تختصره شخصية لبنانية الانتماء، جنوبية المنشأ.. إنسان عصامي عاكسته

الظروف في مقتبل حياته، كما عاكست كثيرين من أبناء جيله، لكنه أبى إلا أن يكون أقوى من هذه الظروف.. وباختصار قرّر أن يغامر حيث المغامرة طبع من أطباع اللبنانيين، فطرق أبواب القرن الأفريقي ثم أوروبا، وعاد بعد ثلاثة عقود من الزمن رافعاً راية النهوض ببلده..

نجيب يوسف، اسم أضاء عالم الاغتراب اللبناني في القارة السوداء.. ولد في قرية "عيتيت" إلى الشرق من حاضرة التاريخ صور التي تربى في أحضانها وأقام فيها.. أحبّ العلم فتنقّل طلباً له بين مدرستين: "قانا في المرحلة الابتدائية" و"صور خلال المرحلة المتوسطة وحتى البكالوريا" وكان عمره وقتها ستة عشر عاماً..

لم يكن بإمكان أيّ شاب جنوبي في ذلك الوقت أن يبني مستقبلاً داخل وطنه، ذلك أن الظروف الاقتصادية كانت صعبةً للغاية، فلم يجد نجيب يوسف الشاب أمامه سوى الهجرة مثله مثل العشرات من الشباب الذين هاجروا إلى مختلف بلدان العالم طلباً للرزق والحياة الكريمة والبحبوحة..

".. كان ذلك في 18 كانون الأول من العام 1966.. ولم تكن هجرتي هروباً من الوطن.." يقول المغترب يوسف.. فالضائقة المعيشية كانت خانقة على الجنوبيين بسبب ضآلة الإمكانيات وانعدام الخدمات كالطرقات والكهرباء والمياه..

يتذكّر نجيب يوسف تلك الحقبة فيقول: كان تطلّعنا أن نخلق مجتمعاً ومستوى لائقين بحياة اجتماعية أفضل.. وكانت العاصمة بيروت هي الملتقى ومركز العمل يقصدها الجنوبي ليعمل في

البناء أو في حمل السلال في الحسبة أو مسح الأحذية أو بيع الياناصيب.. لكننا ونحن في عمر اثنتي عشرة سنة كنا نرفض هذا الأمر، لأننا كنا على يقين من امتلاكنا القدرة والذكاء والكفاءة للعطاء أكثر من ذلك..

ويرى يوسف أن الدولة في ذلك الوقت كانت غنية كأفراد وليس كمجتمعات، الأمر الذي اضطر عنصر الشباب، وبخاصة المتعلم منه، إلى الهجرة. ولكن بوجود المؤسّسات أو استحداث المؤسّسات يكون حلّ المشكلة.

وتعود به الذاكرة إلى أيام الحماسة والثورة على الواقع حين شارك مع زملاءٍ له في إضراب وإقفال طريق من أجل فتح صيدلية في مدينة صور سنة 1965..

وعلى أبواب القرن الأفريقي، لا يزال المغترب يوسف يذكر كيف فتحت تلك البلاد أبوابها أمام المهاجرين اللبنانيين، لا سيما ساحل العاج وأبيدجان عاصمتها.. وكيف أن رؤساءها وقفوا معهم في محنتهم، وخاصة إبان عهد الرئيس السابق "أوفووي بواي" الذي كان يحبّ اللبنانيين ويعتبرهم هبة منَّ اللّه بها على شعبه، ويعاملهم كما يعامل أولاده...

وكما في كلّ غربة، كانت البداية صعبة ومحفوفة بالعقبات.. وهذا ما يصفه المغترب يوسف بـ"التحدي للواقع وللنفس" فيقول: "لم أفكر يوماً بالرجوع إلى لبنان من دون تحقيق النجاح الذي أطمح له.. فاجتزت الكثير من المصاعب، بدءاً من عدم دفع الإيجار، مروراً بالنوم عند الأصدقاء، ووصولاً إلى عدم التكيّف مع الغربة.. لدرجة أنني لم أستطع تركيب جهاز تكييف إلا بعد مضيّ عشر سنوات من غربتي على الرّغم من الطقس الحار الذي تتّسم به دول أفريقيا".

ولأنه لبناني محبّ لأرضه ووطنه، شعر بالواجب والمسؤولية تجاه هذا الوطن وضرورة مساعدته للنهوض بعد الحرب الطويلة، فعاد إليه، على الرّغم من حيازته للجنسيتين الأفريقية والفرنسية. وعلى الرّغم من أنه كان له بيت وممتلكات في فرنسا..

ويقول المغترب يوسف: فكرت كثيراً، فوجدت أن أولادي الستة، إذا ما استقرّيت في فرنسا، لن يعرفوا بلدهم أبداً، لذلك عدت وهم برفقتي حتى يتعلّقوا بأرضهم كما تعلّقت أنا بها، كما أن

زوجتي عربية من أصل لبناني، وقد عرفتها على لبنان وأُعجبت به كثيراً..

يعتبر المغترب يوسف أن الوضع اليوم في لبنان يختلف كثيراً عما كان في حقبة الستينيات، وأنه لو عمل اللبناني في بلده بالطاقة نفسها التي يعمل بها في الخارج، فإنه ينتج ويكسب أكثر..

إلا أن المغترب يوسف ينظر أيضاً إلى الجزء الملآن من الكوب وليس فقط إلى الجزء الفارغ، فيرى أن الجنوب اليوم يشهد حالياً ثورة في المدارس، وعلى صعيد الخدمات في المدن والقرى، ويعتبر أنّ على الشاب أن يثابر وينجح.. "فليس من السهل شقّ الطريق إن لم يتوافر رأس المال" يقول يوسف..

وللجنوب في عقل وقلب المغترب يوسف مكانة تتّسع حتى تصبح بحجم الوطن، فهو مصدوم بإهمال العالم الغربي للشعور بالانتماء للأرض والتفكّك العائلي، حيث لا يعنيان لهم شيئاً..

وهو يقول في ذلك: نحن كشرق –أوسطيين– أيّ البلاد العربية والإسلامية، نتعلّق بأرضنا كما نتعلّق بأهلنا وأبنائنا. وكلّ شتلة أو غرسة في الأرض تعني لنا شيئاً..

ويضيف: رغم الخطر الداهم في الجنوب، ستبقى هي أرضي، وليس لي وطن آخر..

وللمغترب يوسف نظرة تفاؤلية وجرأة صريحة حيث يقول: نحن لا نهاب "إسرائيل" لأننا أصحاب حقّ.. وإن سقطت شهيداً سيكمل غيري الطريق.. وإن دُمّر بيتي –وقد حدث فعلاً أن دُمّرت بعض ممتلكاتي– فلن يكون أغلى من قطرة دم تسقط من شهيد..

ولأنه يرى في الشباب أمل الوطن، فإن المغترب يوسف يحثّ المغتربين على العودة إلى وطنهم، حتى ينشأ أولادهم في حضن هذا الوطن ولا يتأثّروا بالعقلية الغربية –وحسب رأيه– لا تهتم لعم أو لجد أو لبلد.. بينما لدينا العكس هو الصحيح، حيث يحمل الواحد منا همّ الجميع، بعيداً عن أي تفكّك عائلي..

وللمغترب يوسف حكمة يردّدها دائماً وهي "أن تعمل".. فهو يقول: أوصانا اللَّه سبحانه وتعالى بالجهاد.. وللجهاد معانٍ كثيرة.. منها العمل.. كأن تعمل لتطعم عائلتك، وأن تعمل بصدق..

بصمات على دروب النجاح

المهندس أحمد الكلش

تتقاطع في حياة كلٍّ منا ظروفٌ وأحداثٌ تساهم إلى حدٍّ بعيدٍ في رسم ملامح هذه الحياة. بمعايشاتها اليومية ومفاجآتها وانتقالها بالمرء من وضع إلى آخر ومن موقع إلى آخر.

وبقدر ما كانت الظروف التي يعيشها الإنسان قاسية، بقدر ما كانت استفادته منها أكبر، على أساس أن الحياة هي المدرسة الكبرى والمعلم الأول والأخير..

ومن هذا المنطلق، حفلت حياة المهندس أحمد الكلش بالكثير من الأحداث والتطورات التي مضت به إلى موقع المسؤولية في أكثر من مجال.

فهو ابن عائلة تعمل في حقل التجارة، بدأ حياته الدراسية من على مقاعد المقاصد ثمّ مدرسة الأميركان في صيدا، إلى أن التحق بكلية الهندسة في الجامعة الأميركية في بيروت وتخرّج منها مهندساً في العام 1957.

بدأ عمله كموظف في شركة خاصة مدّة ستة أشهر، انتقل بعدها إلى مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت على مدى عامين. ومنه إلى مصلحة مياه الليطاني بين عامي 1959–1964.

أما تجربته الأولى مع السفر، فكانت في العام 1964 موظّفاً في شركة سعودية مديراً لمشروع، لكنه لم يستمرّ في هذا العمل سوى عام واحد، عاد بعدها إلى لبنان ليستأنف نشاطه في قطاع المقاولات من خلال مكتب افتتحه في العاصمة.

وفي تلك الفترة تعرّض المهندس الكلش لحادث سير منعه من مزاولة عمله مدّة عام، ثم عاد فاستأنف نشاطه مهندساً في مكتبه في صيدا، لتبدأ مرحلة جديدة من حياته، هي مرحلة الأحداث اللبنانية والاجتياحين الإسرائيليين الأول والثاني ليعيشها رئيساً للجنة القائمة بأعمال بلدية صيدا في

أواخر العام 1978.

يتحدّث المهندس الكلش عن بداية مسيرة عمله في رئاسة البلدية أوائل عام 1979 فيشير إلى الأحداث والحروب الأهلية التي كان يعيشها الوطن خلال السبعينيات، وإلى الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام 1978، ويقول: "هي أجواء مشحونة خلفت أوضاعاً غير مستقرّة ألقت بأثقالها على إدارات الدولة ومنها البلديات التي تقرّر تفعيل عملها باللجوء إلى تعيين لجان بلدية للبلديات ذات المجالس المنحلّة ومنها بلدية صيدا، والتي كان تعييني في أواخر عام 1978 رئيساً للجنة القائمة بأعمالها برفقة أعضاء من خيرة أبناء المدينة مفاجأة غير مرتقبة، اعتبرتها تكليفاً لتأدية واجب وطني وتحمّل مسؤوليات كبيرة في ظلّ مرحلة وطنية دقيقة تستدعي الجرأة وبُعد النظر في معالجة الأمور، كما كان تعيين اللجنة مفاجأة للفاعليات الصيداوية التي ما لبثت أن رحّبت بهذا التعيين بعدما اطمأنّت إلى أن إدارة الشؤون البلدية تتولاها نخبة كفؤة تستحقّ ثقة المجتمع المحلي الصيداوي.

أما انطلاقة العمل البلدي، بعد الاستلام الرسمي للمهام، فيشير المهندس الكلش إلى أنها تركّزت على دراسة الأوضاع البلدية من الداخل لجهة تفعيل أدوات العمل مع أجهزة بشرية وآليات، كما تركّزت على التخطيط لاحتياجات المدينة من المشاريع العامة المحلية ضمن الإمكانيات المتوافرة والتي يقتضي توفيرها.

ويصف المهندس الكلش هذه المرحلة بالمهمّة جداً لأنها رسمت صورة صيدا المستقبل حيث سعت اللجنة البلدية مذاك للعمل إلى تحقيق المشاريع الإنمائية للمدينة، بعضها تمّ تنفيذه، والآخر في طريقه للتنفيذ.

ويضيف: "إن مرحلة الانتقال تلك، اصطدمت بجدار الاجتياح الإسرائيلي في حزيران 1982 الذي أصاب دماره جميع المرافق الحياتية في صيدا، وتحوّلت على إثره مهام البلدية من النهوض بالمدينة مجدّداً إلى الضياع والدمار، ولعلّها تجربة عمل جديد في النطاق البلدي، تُعتبر

سابقة فريدة ومميزة، تخوضها البلدية في صيدا التي كانت الهيئة الرسمية الوحيدة الموجودة على الأرض تتحمّل مسؤوليتها تجاه المواطنين بالتعاون مع كافّة فاعليات المدينة، التي تتطوّع للعمل من أجل مسح الجراح عن وجه المدينة، والثّبات في مواجهة الضغوطات التي مارسها الاحتلال آنذاك لإعاقة عملية إزالة آثار الدماء".

ويسجّل المهندس الكلش للرئيس رفيق الحريري دوره الوطني البارز في التجاوب السريع لنجدة أبناء مدينته صيدا، بتقديم العون والمساعدة لهم، مادياً ومعنوياً لاستعادة مدينتهم من بين الأنقاض وإعادة بناء ما دمّره الاحتلال من مرافق حياتية ومساكن ومباني إدارات رسمية ومراكز دينية، متعاوناً مع بلدية صيدا وداعماً لها لتأدية مهامّها وخدماتها للمواطنين، مما أعاد إلى مدينة صيدا وجهها الحضاري في فترة زمنية تُعتبر قياسية في حياة المدن ولم تشهد مثلها أيّ من المدن اللبنانية المماثلة.

ويُشير المهندس الكلش إلى أن فترة ما بعد الاحتلال تُعتبر مرحلة إعمار حقيقي لمدينة صيدا شهدت خلالها مشاريع إنمائية على أكثر من صعيد، وهي مشاريع جرى تنفيذها بتخطيط من بلدية صيدا وتمويل وتنفيذ من مؤسّسة الحريري ومن خلال الهيئة التي جمعت الطرفين تحت اسم "هيئة مشاريع بلدية صيدا" واستمرّت طيلة الفترة بين عامي 1982–1990 وحقّقت للمدينة نقلة نوعية في طراز خدماتها المحلية فشهدت، بصورة أساسية، شقّ الطرق الجديدة وتأهيل الطرق الموجودة، وتنفيذ مخطّط منطقة الضمّ والفرز في محلّة الوسطاني وإنشاء المرافق الخدماتية كالحسبة الجديدة وتقويم مجاري المياه الطبيعية ومشاريع التشجير للساحات العامة والشوارع.

ويقول: "إن السنوات الأخيرة الماضية ومنذ عام 1990 حفلت بالعمل الجاد المتواصل الذي بذلته اللجنة البلدية لتحقيق المزيد من المشاريع الإنمائية للمدينة ومنها، على سبيل الذكر لا الحصر، مبنى المسلخ الحديث، وترميم وتجهيز القصر البلدي وتأهيل الملعب البلدي، وإنشاء طرقات منطقة الضمّ والفرز، وتحديث عمليات جمع النفايات في المدينة، وترقيم الشوارع والأبنية، واستصدار مرسوم تنظيم مدينة صيدا بتعديل عامل استثمار المناطق وإدخال خرائطها على الكمبيوتر واستحداث موقع خاص لمدينة صيدا على شبكة الإنترنت. هذا إضافةً إلى فتح صفحة من العلاقات الخارجية مع منظمات عربية مثل منظمة المدن العربية وأخرى دولية كالاتحاد الأوروبي –المدن المتحدة، منظمة ميدي– بيرنييه، ومع بعض المدن الأوروبية في إسبانيا وإيطاليا وفرنسا والبرتغال لعقد صفقات

تعاون معها والاستعانة بخبراتها مادياً ومعنوياً في تحقيق بعض المشاريع العامة في المدينة مثل شبكات البنية التحتية لمدينة صيدا ومشروع ترميم القشلة".

ويضيف المهندس الكلش: "كما جرى إعداد الدراسات لمحطّة تكرير مياه الصرف الصحي والمجمّع الرئيسي للمجارير وتقديم الأرض اللازمة لإنشاء مبنى قصر العدل، ودراسة الواجهة البحرية لمدينة صيدا، ومشروع التخلّص من النفايات، وتخصيص عقار البلدية لإنشاء حديقة عامة".

ويشير إلى أن ضميره مرتاح لما قدّمه لأبناء مدينته على مدى السنوات العشرين التي أمضاها على رأس المجلس البلدي فيقول: "نستطيع القول بأننا تمكّنا من القيام بمسؤولياتنا على أكمل وجه في أدقّ الظروف وأصعبها".

ويرى الكلش أن لبنان اليوم نجح في النهوض من ركام الحرب وأننا بحاجة إلى كلّ الطاقات لنعيد بناء وطننا. ويركّز في هذا المجال على دور التعليم المهني والتقني ناصحاً الشباب بالتوجّه إلى هذا النوع من التعليم. ويقول: "بعد الحروب عادت الدولة تعمل على بناء نفسها، والعنصر الأساسي في بناء اليوم هو التعليم المهني الذي يجب على الشباب التوجه إليه لسدّ النقص الحاصل في الكفاءات والاختصاصات المهنية. والمطلوب لذلك، توجيه الجيل الصاعد حتى يتمكّن من القيام بهذا الدور".

ويعتبر المهندس الكلش أن للشباب المغترب دوراً في بناء وطنه كما للشباب المقيم. وأن هذا الدور يشمل الجوانب الوطنية الاقتصادية والاجتماعية والمهنية.

ولا ينسى المهندس الكلش أهالي الجنوب الصامدين فهو يعتبر أنهم تحمّلوا ولا يزالون الكثير من أجل بقاء الجنوب وبقاء لبنان. ويقول: "الجنوب هو خط الدفاع الأول والأخير عن لبنان وعن الأمة العربية، إلى جانب المقاومة التي تواصل نضالها ضدّ المحتل حتى التحرير الكامل إن شاء الله.

صمات على دروب النجاح

السيد حسين أسعد قشور

"من يزرع يحصد" مثل شائع نتناقله في حياتنا اليومية ونتّخذه عنواناً لتجاربنا العملية. لكن بيادر الحصاد لا تخلو من الأشواك ومن دونها لا نحسّ بطعم النجاح.

إنها طريق طويلة متشعبة المسارب ومليئة بالمفاجآت والحواجز والصعوبات لكن من يجتازها بنجاح، يكون صاحب إرادة قوية وعزيمة صلبة

وقدرة على التغلّب على المحن حيث لا مكان لديه لليأس والقنوط..

من صور أو "أليسار" كما يحبّ تسميتها، انطلق الحاج حسين أسعد قشور رئيس بلدية صور، في حياة صخبة مليئة بالأسفار وبالأحداث بعدما نشأ وترعرع في عائلة متوسّطة الحال هي نموذج للعائلات الصورية آنذاك، عائلة محافظة رأسمالها عزّة النفس.

كان عمره ستة عشر عاماً عندما طرق أبواب الهجرة وسافر من أجل تأمين حياة أفضل والحصول على رأس مال يكفل له هذه الحياة، وكان حلمه أن يدير مصنعاً أو شركة أو أيّ عمل يستطيع من خلاله أن يوفّر فرص عمل لأكبر عددٍ من أبناء منطقته ووطنه.

يقول الحاج حسين قشور: "خوفي من الحرمان والفقر، دفعني للمغامرة فسافرت إلى أفريقيا حيث كان لي بعض الأقارب هناك. لكن الغربة صعبة، والعقبات كانت كثيرةً وكأنني أبدأ حياة جديدة. فالبيئة مختلفة، والعادات غير العادات، والمناخ حارٌّ جداً، والتعامل مع الناس صعبٌ وبخاصة أنني لم أكن أُجيد اللغة الفرنسية ولا اللغة الأفريقية المحلية.." .

وهكذا، بدأ قشور الشاب يتعلّم اللغة الفرنسية على أساس أن الحاجة أمّ الاختراع، فاستعان بمدرّس، كان يتعلّم ليلاً ويعمل أثناء النهار، ولم يفكّر يوماً بالتخلّي عن فكرة السفر والعودة إلى الوطن خالي الوفاض.

ويقول في ذلك: "لم أجعل لليأس طريقاً إليّ، فوضعت نصب عيني هدفاً أردت تحقيقه،

وهو أن أصبر عدّة سنوات وأكوّن رأسمال قبل أن أعود إلى بلدي لأحقّق حلمي الكبير. لكن الطمع يجعل الإنسان يريد الكثير والكثير".

ولم تمضِ عشر سنوات، إلا وكان حسين قشور ابن السادسة والعشرين رجلاً مرموقاً يتمتّع بعلاقاتٍ حميمةٍ مع رئيس جمهورية "غينيا" آنذاك "أحمد سوكوتوري"، وبعده رئيس جمهورية أفريقيا الوسطى "بوكاسا" الذي أصبح إمبراطوراً وقرّبه منه ليصبح مستشاره الخاص في الاقتصاد.

ليس هذا فحسب، بل لقد كان قشور ممثّلاً لأفريقيا الوسطى في اتحاد دولها، وفي الجمارك وعلىالحدود. وبعد الانقلاب على "بوكاسا" عاد قشور إلى وطنه حيث كانت الحرب تشرف على نهايتها، فوقف إلى جانب أهله الصامدين والمقاومين في الجنوب، يسهم في صمودهم ومقاومتهم مادياً ومعنوياً.

ويتحدث قشور عن تلك الفترة فيقول: "لا شكّ أن النجاح يجعل الإنسان أكثر قدرة على الصبر حتى يحقّق نجاحاً أكبر، فقد كنت أعمل ليلاً ونهاراً حتى أساعد أهلي، خاصة بعدما رأيت الحالة المزرية التي وصل إليها أبناء الجنوب من تهجير وحرمان، فأصبحت مهتماً أكثر بالحصول على المال لأفتح لهم مجالات العمل. فكلّ حنوبي عليه واجب الاهتمام بهذه الأرض. وعلى هذا الأساس لا أستطيع التخلّي عن وطني ولا عن أرضي وأهلي، أحسست أنني معنيٌّ بكلّ جنوبي، وما جعلنا نبقى واقفين صامدين هو سواعد أهلنا التي تعمل للنهوض بالوطن..".

ويرى قشور أننا مهما قدّمنا للوطن، يبقى قليلاً عليه، وهو يرى أيضاً أن موقعه في رئاسة بلدية صور، سيجعله يكرّس حياته للخدمة العامة وتأدية الواجب الذي اختاره الناس له. فهو يعمل عشرين ساعةً في اليوم يقضيها في البلدية متابعاً معاملات الناس ومشاكلهم الخدماتية والبيئية والصحية حتى يعيد لمدينة صور صورتها القديمة بمساعدة أعضاء المجلس البلدي وبمساعدة المواطنين والشرفاء في هذا البلد.

ويعِد قشور أهله ومواطنيه بأنه سيعمل ما بوسعه لتأمين حياة أفضل للناس والأهل الذين يعانون، وهو ينصح الشاب بأن يعمل في مهنة حرّة دون أن يتخلّى عن العلم لأنه ضروري، ويرى فيه سلاحاً ناجحاً في هذه الحياة. ويقول: "علينا الأخذ بعين الاعتبار حاجة البلد والسوق المحلية بالنسبة للمهن والوظائف، وأن نفتّش عما هو مطلوب، ولذا فأنا أُشجّع المهني".

ورغم نجاح تجربته في الغربة إلا أن قشور لا ينصح الشاب هذه الأيام بالسفر، معلّلاً ذلك بأن الوطن بحاجة إلى سواعد الجميع وبقوله: "على الإنسان أن لا ييأس، فإذا كان الوضع الاقتصادي قد غيّر نفوس الناس، والظروف غيرت تفكيرهم، فإن هذا استثناء وليس قاعدة، لأن هناك الجيد وهناك السيّئ، والمجتمع كما تزرع فيه تحصد منه".

أما كلمته للشباب فيحدّدها بأن يكونوا واعين للمجتمع ولتحديات العصر فيقول: "الإنسان يجب أن يعيش واقعه حتى يتعب، وأن لا يقلّد غيره. مهمّتنا أن نزرع شيئاً للبلد ونكون مخلصين لأهلنا ووطننا، فلا يقول الواحد منا إنه لا يملك شيئاً في هذا البلد، لأن لكلّ واحد دوراً في بناء بلده. علينا أن نصبر وأن لا نيأس لأن اليأس يولّد الدمار والانهيار، ويبقى الإيمان بالله ثمّ بالوطن هما سبيل النجاح والخلاص..".

بصمات على دروب النجاح

الأستاذ حبيب خليفة

العمل العام حلقة متكاملة يطلّ منها الإنسان المحبّ لهذا العمل على الناس فيجنّد نفسه لخدمتهم دون أن ينتظر مقابلاً، وبقدر ما يكون عمله نافعاً ومفيداً للناس، بقدر ما يحظى بمحبّتهم وتأييدهم، فلا يتورّعون يوماً عن إيفائه بعضاً من خدماته لهم بأن يختاروه لمنصب عام يتيح له خدمتهم بشكلٍ أكبر وعلى نطاق أوسع.

والمحامي حبيب خليفة رئيس بلدية الغازية الذي أُعيد انتخابه في الدورة الأخيرة، ورث حبّ الخير وخدمة الناس من والده الرئيس السابق لبلدية الغازية ومختارها قبل أن يكون رئيساً للبلدية، فإذا بالابن يشكّل امتداداً لوالده في مجال الخدمة العامة.

بدأ المحامي حبيب خليفة حياته العملية في العام 1966 بعد تخرّجه حيث تدرّج في مكتب المحامي المرحوم رضا التامر حوالي سنة ونصف السنة، انتقل بعدها إلى مكتب المحامي عبد الله نجيب حيدر، قبل أن يستقلّ في مكتب خاص له، في مدينة صيدا في العام 1970.

الإطلالة الأولى للمحامي خليفة على العمل العام كانت إبان تولّي والده رئاسة البلدية فكان يساعده كمستشار قانوني في التعاطي بالشأن العام على مستوى الخدمات الشخصية للناس.

ويقول في ذلك: "كانت العادة المتّبعة في القرى أن يتعاون الجميع مع بعضهم البعض، ويتكّل الأهالي على المسؤول في قضاء معاملاتهم، فأيّ شخص له طلب أو قضية في المحكمة أو الدوائر الرسمية كان يقصد المسؤول في البلدة فيتحرّك هذا الأخير تلقائياً ودون "تربيح جميلة". وبطبيعة الحال كان الناس متواجدين في بيتنا على مدار الساعة ولم أذكر يوماً أن الوالد اهتم بدراستي بل كان يكتفي بالقيام بواجبه كتسجيلي في المدرسة ودفع القسط، وذلك بسبب انشغاله في قضايا البلدة والجوار".

ويتذكّر المحامي خليفة محطّاته الدراسية في مدرسة دير مشموشة في جزين عام 1950، ومدرسة الأميركان في صيدا عام 1955، لا سيما إبان ثورة العام 1958 حيث كان مؤيّداً للثوّار في

صيدا، وتسبّب هذا الأمر بطرده من المدرسة، بعد أن كان يسدّ بوابة المدرسة أمام الطلاب ويمنعهم من الدخول داعياً إياهم إلى الإضراب وساعده على ذلك "بنيته الجسدية".

أما عمله في المحاماة، فكان إحدى صور حبّه للعمل العام وخدمة الناس، حيث كان يترافع عن الناس مجاناً ودون أن يتقاضى أيّ أجر. حتى إن عشرات القضايا كان يدفع رسومها من ماله الخاص، ورغم ذلك لم يفكّر يوماً في إقفال مكتبه.

ويقول في ذلك: "كلّ قضية كنت أترافع فيها كان يجب أن أربحها، ومرّة حصلت حادثة مع رجال شرطة في البلدية فرفعت عليهم دعوى جزائية ترافعت فيها، وتسبّب ذلك في حصول مشادّة بيني وبين القاضي الذي كان صديقاً لي، فحذّرني من الاستمرار في العمل بهذه الطريقة بأن ذلك سوف يؤثّر على صحّتي، معتبراً أنه يجب الفصل بين المحاماة وبين العواطف".

وابتداءً من العام 1974 بدأ المحامي خليفة عمله البلدي حيث عُيّن رئيساً للبلدية خلفاً لوالده، وهو ما زال في هذا المنصب بعد إعادة انتخابه الصيف الماضي، ويُعتبر من أنجح رؤساء البلديات، ذلك أنه تبنّى قضايا الناس ولا يزال، فعمل من أجل القضاء على العصبية العائلية التي اشتهرت بها بلدة الغازية قديماً ولا تزال نسبياً، وركّز عمله على خدمة بلدته وازدهارها اقتصادياً وعمرانياً باعتبارها المنطقة الثانية بعد صيدا في هذا المجال.

ولدى المحامي خليفة نظرة خاصة للغربة فيقول: "الغربة ليست للسياحة بل هي للعمل، وأنا أدعو جميع المغتربين إلى إفادة أهاليهم ووطنهم من ثرواتهم ولأن يعودوا إلى الوطن لأنه بحاجة إليهم. كما أتوجّه إلى الشباب بأن يثابروا على العمل لأنهم مفتاح المستقبل، وهم سلاحنا في وجه الاحتلال الإسرائيلي الغاشم لجنوبنا الغالي، بهم نصمد ونقاوم وننتصر، فلدى الشاب الجنوبي طاقات تميّزه عن الطاقات الموجودة لدى أيّ مواطن عربي"..

ويفتخر المحامي خليفة بثقته بالمجتمع اللبناني وبالجنوبي خاصة ويضم صوته إلى أصوات الداعين لاعتماد التعليم المهني بنسبة عالية لا سيما في منطقة الجنوب باعتبار أن سوق العمل بحاجة إلى مهنيين.

وسياسياً لا يحبّذ المحامي خليفة أن تكون القوى السياسية طرفاً مع الشعب في العمل الشعبي والاجتماعي والبلدي منعاً للانقسام في الرأي والموقف، ويعتبر هذا الأمر أداة تمزيق للشعب ووسيلة لإخضاعه لأمور غير مقتنع بها، وهو يتمنّى على السياسيين الالتقاء والتفاهم على القضايا والمصالح الشعبية، فيقول: "المجتمع والشعب هما القضية وليس الحزب أو الجهة السياسية".

أما الحكمة التي يؤمن بها فهي الصدق مع الناس، والثقة بالنفس.

بصمات على دروب النجاح

السيد يحيى محمد جوني

الحياة طريق متشعّبة المسالك، منها ما هو معبّد سهل يجتازه الإنسان بسرعة، فيصل إلى هدفه دون عناء أو مشقّة.. ومنها ما هو مزروع بالأشواك ومحفوف بالمخاطر والصعوبات، فلا يقوى على اجتيازه إلا من تمتّع بالصبر والعزيمة والطموح.. لكن المعاناة من أجل الوصول لها طعم خاص وفرحة أكبر عند الوصول إلى الهدف المنشود، ويكون النجاح بالتالي أكبر ومثمراً أكثر..

لم تكن طريق مؤسّس جمعية تجّار الزهراني وعضو الهيئة الإدارية للمجلس الوطني للاقتصاديين اللبنانيين يحيى محمد جوني معبّدة وسهلة المسالك، بل كانت كما كلّ الطرق التي سلكها رجال الأعمال الناجحون، تشوبها العقبات والأشواك، لكنه رغم ذلك مشاها محصّناً بالصبر والإصرار على النجاح..

فـ"يحيى جوني" ابن الزهراني المولود في الثالث من تشرين الثاني عام 1958، عاش طفولته في ضيعته "رومين" قبل أن تفرض ظروف عمل الوالد على العائلة الانتقال إلى "الغازية" حيث تابع الابن "يحيى" دروسه الابتدائية والتكميلية في مدرسة البلدة، ومن ثمّ التحق بالمهنية العاملية في بيروت..

واختياره للتعليم المهني، يعتبره جوني خطوة هامّة في حياته، لأنه يرى في المهنيين صنّاع الكون كلّه، وفي الوقت نفسه تسنّى له أن يتحمّل جزءاً كبيراً من العبء الملقى على عاتق الوالد نظراً للوضع المادي الصعب الذي كانت تمرّ به العائلة..

ويتذكّر جوني الابن مرحلة الدراسة المهنية فيقول: "كنت أقرأ على ضوء الشمعة والسراج فأنقّر عيني بالقراءة إبان التحاقي بالقسم الداخلي في المهنية، وأحيانا كنت أضطرّ لركوب الشاحنة فوق البضائع كي أوفّر بعض النقود، مع أن الوالد كان مكافحاً ليلَ نهارَ وقدّم لنا أقصى ما يستطيع ولم يجعلنا نحتاج أحداً طوال حياته.. فضلاً عن أنني ورفاقي كنا نمشي مسافةً طويلةً من المهنية إلى قصر رياض الصلح في "الحرش" كي نوفّر ليرةً واحدةً هي أجرة الانتقال..".

ويتابع جوني: "وفي العام الأخير لي في المهنية، كان أخي الذي يكبرني، قد سافر إلى

المملكة العربية السعودية، وجنى بعض المال، فاستعنت به ليساعدني كما استعنت بوالدي وجمعت مبلغاً من المال تمكّنت به من مشاركة أحد الأشخاص في مشروع صغير... ثم قدّمت على الشهادة الرسمية وحزت على البكالوريا الفنية – القسم الثاني في اختصاص الميكانيك العام، التحقت بعدها بمهنية صيدا كمدرّس لمدّة عام دراسي واحد.. وفي الوقت نفسه شاركت شخصاً في محل للحديد الصناعي، لكن هذه الشراكة لم تكن بالمستوى المطلوب، فاستقلّيت بعملي..".

ويحدّد جوني الهدف الذي وضعه نصب عينيه منذ البداية بـ"تكوين مركز مالي لا بأس به وآخر اجتماعي" لكي يكون عنصراً مهماً في صلب المجتمع وهو صغير السن، وحتى لا يتعب في حياته عندما يكبر، ويتفرّغ لخدمة الناس، لكن هذا الأمر كان صعباً عليه، وذلك أنه كان يسعى لتحصيل كلّ ذلك بصدق وأمانة ووفقاً للقانون، وليس بطرق غير مشروعة.. وعن تلك المرحلة يقول جوني: "كنت أشرف على عملي بنفسي وأقود الشاحنات وألاقي المشقّات والمخاطر أياماً وليالي، سافرت بعدها إلى السعودية وإلى عدّة دول أوروبية وخاصة الشرقية منها، لأنني لم أكن أملك إمكانيات كبيرة، حيث عملت باستيراد آلاف الأطنان من الحديد غذّيت بها الأسواق اللبنانية وبأرخص الأسعار.. وحتى أحقّق هذا النجاح، كنت أمضي وقتي بكامله على "البور" أثناء عقد الصفقات وتنفيذها، وليس كما يفعل التجار أو مديرو الشركات الذين يقضون الوقت في الفنادق والمكاتب..

ويصف جوني هذا العمل بـ"رحلة الشقاء والتعب وتسلّق الجبال العالية لتحصيل الرزق وتحقيق الهدف المنشود.." وهو لذلك سعى إلى علاقات متينة مع التجار وغرف التجارة والمجالس الاقتصادية، فانتسب إلى "المجلس الوطني للاقتصاديين اللبنانيين" الذي يضم نخبة من كبار التجار، وعمل على تنسيب عدد كبير من الاقتصاديين إلى هذا المجلس، حيث تمكّن من تكوين كتلة قوية أو صلته إلى مجلس الإدارة، لتمرّ سنوات التعب والمعاناة في لحظات..

وأخذ جوني موقعه بين التجار أيضاً فأسّس جمعية تجّار الزهراني، كما أنه يعمل حالياً من خلال "هيئة دعم المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى" التي هو عضو فيها.. وحاز على ثقة الناس عندما انتُخب رئيساً لبلدية رومين في 6 حزيران عام 1998.

واستطاع جوني أن يحقق مقدرات عالية لشركات لها سمعة طيّبة، ليتحقّق بذلك حلمه بالاكتفاء الذاتي وهو لم يتجاوز الأربعين بعد..

وهو يعيد كلّ ما حقّقه إلى التشجيع الذي كان يلقاه من والدته باستمرار والتي حرصت عليه منذ الصغر أن يكون صَلب العود، متّكلاً على نفسه، يملك مساحة كبيرة من الحرية في اتخاذ الكثير من القرارات التي تعنيه أو تعني بالعائلة، كاختيار التعليم المهني في العام 1975، تاركاً الغازية متوجّهاً إلى بيروت ملتحقاً في القسم الداخلي متفرّغاً لدراسة الميكانيك العام، وكان هذا الاختيار منطلقاً من إيمانه وثقته بأن التعليم المهني يمكن أن يحقّق المركز والمقام والثروة والسمعة الطيّبة.. فتخرّج في العام 1980 والتحق بمهنية صيدا الرسمية أستاذاً لبعض المواد الفنية لمدة عام، سافر بعدها إلى السعودية ومن هناك انطلقت رحلة التعب، فبعد عودته كان لبنان والجنوب بشكل خاص يكتبان تاريخاً بمداد من دماء رافعَيْن رأس الأمة العربية، خالقَيْن مساحةً لتنشّق الحرية برئة الأغلبية الساحقة من الشعوب العربية.

في ظلّ هذه الظروف الأمنية والاقتصادية الصعبة شقّ جوني طريقه متعاوناً مع إخوته الذين وضعوا خطاهم على الطريق نفسه ناشدين الأهداف نفسها، منطلقين من التعليم المهني الذي يوفّر عائداتٍ للدولة اللبنانية وخاصة بعد أن ينتشر المتخرّجون في سوق العمل المحلّي أو الخارجي، ويساهمون في بناء المصانع والنهوض بالقطاع الصناعي في البلد والذي يشكّل حاجةً ملحّةً وماسّةً للبنان. وذلك لأن لبنان لا يملك ثروةً طبيعيةً ولا توجد لديه موارد أخرى سوى السياحة والخدمات اللتين يمكن أن تنهارا عند حدوث أيّة نكسة أمنية.

ويعتبر جوني أن التخصّص المهني سلاح عادي لدى الفرد للدفاع عن النفس في وجه الفقر وسلاح ثقيل لاقتصاد الدولة بشكل عام.

وللوقت عند يحيى جوني قيمة كبيرة، فهو من أنصار مقولة "لا تؤجّل عمل اليوم إلى الغد فإن للغد عملاً آخر" كما يقول.. وهو يعطي وقتاً كبيراً لعمله ولواجباته الاجتماعية في آن، معتمداً في ذلك الصدق منهجاً، لأنه يعتبره مفتاحاً للمجالات والعلاقات المتنوّعة، ومدخلاً لكسب ثقة التجار..

صفة أخيرة تطبع شخصية يحيى جوني هي العصامية التي يعتبرها صفة لا يمكن إلا أن توصل صاحبها إلى أعلى مركز، وهو يدعو دائماً كلّ إنسان لأن يكون صادقاً مع نفسه ويصدق الناس في تعامله معهم ولا يتهرّب من مسؤولياته تجاههم مهما كانت العواقب..

بصمات على دروب النجاح

السيد أبو علي زرقط

إذا كان الدهر هو المعلم الأكبر، فإن الحياة مدرسة مفتوحة على كلّ المجالات، يتعلّم فيها الإنسان ما لم يتعلّمه في بيت أو في مدرسة أو جامعة..

تلك هي سنّة الكون، حيث يخرج الواحد منا إلى معترك الحياة مكتشفاً إياها، متعرّفاً على وجوهٍ جديدةٍ ونفسيّاتٍ جديدةٍ وأمكنةٍ جديدةٍ...

و"أبو علي" زرقط، مواطن جنوبي من بلدة الزرارية – قضاء صيدا، خرج إلى مدرسة الحياة صغيراً، بعدما تابع دروسه الأولى على يد شيخ من البلدة، ولم يتمكّن والده من توفير استكمال دراسته نظراً لعدم وجود مدارس في القرى المحيطة..

يقول زرقط متذكّراً: "تعلّمت من الدّهر ما لم أتعلّمه في المدرسة، حيث عشنا في منطقةٍ تفتقر إلى أيّ شكلٍ من الخدمات، فلا مدارس ولا طرقات ولا كهرباء ولا ماء.. وكنّا نتعاون في نقل المياه من الينابيع القريبة. أما وسائل العيش فكانت مقتصرة على الحبوب كالقمح والزيتون، حيث لم تكن الأوراق النقدية متداولة، فكان البيع والشراء يتمّان بالمقايضة والمبادلة..".

ويذكر أبو علي زرقط أنه تزوج بـ"جهاز" بسيط للعروس كما كانت حال الكثيرين في ذلك الوقت..

ويقول: "أنجبت ثمانية أولاد أصبحوا شباباً، وبدأت بتأسيس مصلحة كبيرة، فاشتريت "تراكتورين" وأنشأت مقلعاً نقّالاً للحجارة. بسبب عدم توافر التجهيزات الحديثة، كما أنشأت معملاً للباطون، حيث كنا نبيع نقلة الرمل الواحدة بسبع ليرات، هذا إن وصلت سليمة بسبب رداءة الطرقات آنذاك..".

لكن العمل بدأ بالتراجع بعد منع الدولة مرور الشاحنات وسحب الرمول، ففقد زرقط كلّ شيءٍ ما عدا سيارته، مما اضطره إلى العمل عليها رغم أنها كانت خصوصية، ثم لبيعها بمبلغ أربعمئة

ليرة..

وفي العام 1969، سافر أبو علي زرقط إلى أفريقيا ليؤسّس محلاً تجارياً صغيراً عمل فيه طيلة ثماني سنوات كانت صعبةً بلياليها ونهاراتها، حيث كان يضطر للسير مسافات طويلة لتوفير أجرة التاكسي، إلى أن جاء العام 1974 لتتحسن الأمور قليلاً، فأرسل في طلب زوجته وأولاده وأخذهم إلى ساحل العاج..

وعن الصعوبات التي واجهته يقول زرقط: "لقد عشت الحرمان في وطني وفي غربتي، فلم يكن لدي رأس مال، ولم أكن أعرف أحداً يمكن أن يساعدني، إضافةً إلى عدم إلمامي بأيّة لغة أجنبية.. ومما زاد في هذه الصعوبات –يتابع زرقط– أنني لم أفكّر يوماً بسلوك الطرق الملتوية للوصول، كما أنني تعرّضت لصدمات نفسيّة وانتكاسات صحيّة عديدة بسبب وفاة أخي وبعض أقاربي في لبنان، وخاصة في العام 1976 حيث كان مطار بيروت مقفلاً بسبب الأحداث، فاستقلّيت طائرةً إلى مصر ومنها إلى سوريا فلبنان، بعد أن اقترضت تكاليف السفر..".

وخلال عمله في ساحل العاج وجد زرقط أن صناعة الأحذية البلاستيكية رائجة وجيّدة، فاستدان مبلغ ثلاثة ملايين فرنك ليشتري آلةً لصنع هذه الأحذية. ولكنه لم يستطع تركيبها وإخراجها من الجمارك، فاضطر للاستدانة ثانية. وبقي على هذه الحال فترة عام، حتى استقرّ في عمله رغم أن "موديلات" الأحذية التي كان يصنعها لم تكن تلقى رواجاً في بعض الأحيان.

ولم يفكّر زرقط بالعودة إلى لبنان لأنه لم يكن يجد بديلاً فيه، لا سيما وأنه لا يعقل أن يعود بعد سنوات الغربة الطويلة خالي اليدين..

وهكذا، تابع أبو علي زرقط عمله في أفريقيا، فكان يحوّل كلّ ما يجمعه من مالٍ إلى لبنان ليشتري به أرضاً، الأمر الذي جعله عرضة لسلسلة من الانتقادات على أساس أن الأوضاع في لبنان

آنذاك لم تكن تشجّع على شراء أيّ شيء..

وفي الثمانينيات، عاد زرقط إلى وطنه ليشهد أبشع مجزرة نفّذتها قوات الاحتلال الإسرائيلي بحقّ أبناء بلدته الزرارية في آذار من العام 1985، ليساهم بعدها مع أبناء البلدة في تشكيل لجنة لمساعدة عائلات ضحايا المجزرة وإيواء النازحين منهم، وذلك من منطلق قناعته بأن اللّه تعالى هو الذي يرزق الإنسان المال ويبارك له فيه إذا أنفقه في خدمة الآخرين..

وينصح أبو علي زرقط كلّ مغترب بالعودة إلى وطنه فيقول: "كلّ شيءٍ يذهب إلا الأرض، ونحن في لبنان لا يمكننا استيعاب الشباب الجامعيين والمتخرّجين مما يضطرهم إلى الهجرة والابتعاد عن أرضهم طلباً للعلم والعمل..".

ويرى زرقط أنه لم يمرّ على لبنان دولة أفضل من الدولة الحالية، وأن هذه الدولة بحاجةٍ إلى ثقة الناس بها، لا سيما أولئك الذين لم يتعودوا على النظام والقانون في السابق..

ويقول: "ستون في المئة من أبناء الزرارية مغتربون، وللأسف الشديد قسم كبير منهم لا يعرف شيئاً عن بلده. والإسلام أوصى بأن يبدأ الإنسان بالقريب ثم بأهل بلدته ثم بأهل وطنه.. لذلك يجب أن نتعاون معاً، لأن الدولة لا تستطيع أن تفعل كلّ شيء، فهي تقوم بتأمين البنى التحتيّة، ولكن لا يمكنها أن تبني لنا بيوتاً على سبيل المثال. فعلى المتموّلين أن يدعموا أبناء منطقتهم..".

ويتابع زرقط: "في ظل الوضع الاقتصادي الراهن، نحن بحاجة إلى مشاريع للفقراء وفقاً للآية الكريمة: **{والذين في أموالهم حقٌّ معلومٌ، للسائلِ والمحروم}**.. وإنني رغم كلّ ما قدّمته وأقدّمه، أجد نفسي مقصراً، لأن أموالي زادت وبالتالي يجب أن يزيد عطائي. فالإنسان لا يأخذ معه

سوى عمله الصالح. واللَّه سبحانه وتعالى أعطاني فيجب أن أعطي الآخرين..".

هذا العطاء الذي تفانى السيد زرقط في تقديمه للآخرين ظهرت ثمرته بانتخابه رئيساً لبلدية الزرارية من قِبل أهل البلدة الذين أحبّوه ومنحوه ثقتهم..

ويردّد أبو علي زرقط نصيحة والده بأن لا يكذب ولا يسرق ولا يلعب القمار ليكسب مرضاة اللَّه، معتبراً أنه بالمثابرة والإيمان يطرح اللَّه للإنسان البركة ويجزيه أجره خير جزاء..

بصمات على دروب النجاح

السيد سليمان علي أحمد

يُعرف الإنسان بعمله، وبأثرٍ يتركه أينما حلّ.. وكلما كان العمل خيراً والأثر ناصعاً، كلما تمكّن صاحبه من الوصول إلى قلوب الناس وعقولهم..

ورئيس بلديّة حاريص سليمان علي أحمد، واحد من الصامدين على خطّ المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي، بحكم إيمانه بقضيّة الجنوب، وبحكم موقع بلديته على تماس مع مواقع الاحتلال..

عمل سليمان علي أحمد في بداية حياته في حراثة الأرض وزراعة التبغ وحصاد محصول القمح.. وقد نشأ يتيماً وهو في الثانية عشرة من عمره، حيث عمل بيوميّة قدرها نصف ليرة، فيما كان أشقاؤه لا يزالون صغاراً..

وفي العام 1954، هاجر سليمان علي أحمد إلى أفريقيا وأمضى فيها ثماني سنوات، عاد بعدها إلى لبنان ليجد المنطقة الجنوبية تعاني حرماناً مزمناً وينقصها الكثير من مستلزمات الحياة، فأصرّ على البقاء في بلدته حاريص رغم أنها كانت معدومة الخدمات وطرقاتها ترابية..

وفي العام 1965، انتخب رئيساً لبلدية حاريص بالتزكية، حيث بدأ مرحلة من التعاون مع أبناء المنطقة، أثمرت عدّة مشاريع منها: مستشفى تبنين الحكومي الذي كان علي أحمد عضواً في لجنة دعمها، ومستوصف حاريص الذي كان يدفع تكاليف حضور الطبيب إليه. ومن ثم وقف إلى جانب مزارعي التبغ وقام بتسهيل أمورهم من خلال عضويته في مصلحة "الريجي".

ومع وصول قوّات الطوارئ الدولية إلى الجنوب في العام 1978، تمكّن سليمان علي أحمد من تأسيس علاقات متينة مع هذه القوات، في الوقت الذي فتح فيه قنوات اتصال عديدة مع المغتربين

الجنوبيين من أجل إنعاش المنطقة..

وعلى الرغم من وجود قوات الاحتلال الإسرائيلي على مقربة من البلدة، لم يفكّر علي أحمد مرّة في ترك المنطقة. ويقول في ذلك: "حبّي لبلدتي وأرضي، حال دون تركي لهما، لأنني إذا تركت بلدتي سيتركها الكثير من المواطنين، ذلك أن ثقتهم بي كبيرة هناك.. وهكذا بقيت في البلدة على الرّغم من تعرّض منزلي للقصف الإسرائيلي ثلاث مرّات، كنت في إحداها داخل المنزل. وأتذكّر أنه جاءني حينها ضباط من القوّات الدولية عرضوا عليَّ إصلاح المنزل، وكذلك فعل مجلس الجنوب، لكنني رفضت مساعدة أحد، وقمت بإصلاح منزلي بنفسي.. ومكّنني حبّي لأرضي من الصمود الذي هو المقاومة الحقيقية..".

ويتذكّر سليمان علي أحمد بعض العقبات التي واجهته في معترك حياته، لا سيما عندما تلقّى رسائل تهديد من القوات المشتركة في العام 1976..

ويرى علي أحمد أن لا شيء يأتي بالهيّن، وأن المستقبل بحاجة إلى عمل وجهد وصدق مع الناس. وهو ينصح الشباب بأن يتمسّكوا بأرضهم ويعملوا أيّ عمل شريف. ويقول: "الحياة تحتاج إلى كفاح وجهاد وتنازل عن الكبرياء، فيجب أن نعمل لوطننا، لأن العمل ليس عيباً مهما كان، لكن العيب أن نمدّ أيدينا إلى الناس..".

ويؤمن سليمان علي أحمد بأن الإنسان يجب أن يكون محباً للناس، صادقاً معهم، حريصاً على مساعدتهم.

ويقول في ذلك: "عندما كنت مريضاً دعوت اللّه أن يشفي كلّ مريضٍ حتى يشفيني، فالإنسان يجب أن يذكر غيره قبل أن يذكر نفسه.. وأنا والحمد اللّه إذا قصدني أحد لا أدعه يخرج من

عندي خالي اليدين، حتى وإن كان عطائي قليلاً، فمن الواجب على الإنسان أن يساعد أخاه الإنسان..".

ولا يحبِّذ علي أحمد الترشّح مجدداً لرئاسة البلدية، لكنه يرضخ لقرار أهل البلدة إذا لم يكن هناك من بديل.

ويقول: "إنني بعد خمسة وثلاثين عاماً من الخدمة، لا أريد الترشّح مجدداً.. فالمنصب لا يعني لي شيئاً، لأن الإنسان يكبر بعمله وليس بمنصبه..".

وهكذا جدّد سكان بلدة حاريص انتخاب سليمان لرئاسة البلدية تأكيداً لثقتهم بهذا العصامي الذي حرص دوماً على وحدة البلدة وخدمة أبنائها بكلّ صدق وإخلاص.

بصمات على دروب النجاح

السيد رشيد القطب

يقولون إن معادن الناس لا تُعرف إلا في أوقات الشدّة. وهو قول لا غبار عليه، حيث حاجة الناس لبعضهم البعض تفرضها ظروف ومراحل قد يمرّ بها أيّ إنسان. والثقة عامل مهم في مثل هذه الظروف على الرغم من وصولنا إلى مرحلة فقدت فيها هذه الكلمة الكثير من مصداقيتها..

والثقة أساس في المعاملات المصرفية كما

يعتبرها التاجر المعروف رشيد القطب، كون إيمانه بهذه الكلمة حقّق له المركز والموقع اللذين كان يصبو إليهما على مدى مسيرة عمله في حقل الصيرفة..

بعد أن تابع دراسته أولاً في مدرسة الفرير ثمّ في مدرسة المقاصد في صيدا، اضطر القطب لأن ينتقل إلى بيروت ليكمل الدراسة بسبب مرض والده الذي كان صرافاً صغيراً في صيدا ويملك أرضاً وعملاً زراعياً، حيث عمل القطب الابن مع والده براتب شهري قدره 250 ليرة لبنانية..

وهكذا بقي رشيد القطب يدرس في مركز الدراسات التجارية في بيروت ويزاول العمل مع والده كونه ابنه الوحيد.

ولكن عمله في حقل الصيرفة في صيدا بقي محدوداً، ورغم ذلك تمكّن من تكوين علاقات محلّية وخارجية بفضل الثقة التي كان الجميع يوليه إياها.

وهو يقول عن تلك المرحلة: "كنا حريصين على سمعتنا، وقانعين بأيّ عمل يأتينا ضمن الأطر السليمة والقانونية. لأن همنا كان ثقة الزبون بنا. فيكفينا فخراً أن العالم يولينا هذه الثقة عبر الهاتف، وخاصة إبان فترة الاجتياح الإسرائيلي، حيث لم نكن مضطرين لإرسال "تلكس" كما هي العادة في المعاملات

المصرفية. فنحن شعب موثوق به في العالم"..

وينصح القطب كلّ مستثمر وصاحب رأس مال بالتعامل مع المصارف اللبنانية لتميّزها بالسرية المصرفية مثلها مثل مصارف "اللوكسمبورغ وسويسرا"..

ويقول: "طالما أن المصارف اللبنانية أثبتت أنها من أنجح المصارف في العالم، فإني أنصح المواطنين بأن يستعيدوا الثقة بمصارف وطنهم ويتعاملوا معها، فلبنان بلد خدمات، وأهمها الخدمات المصرفية، واللبناني ناجح في هذا المجال. كما نلاحظ أن عدّة بلدان عربية فيها مديرو مصارف من اللبنانيين، وهم يفضّلون اللبناني عن غيره لتميّزه وخبرته في هذا المجال"..

ويتذكّر القطب بعض العقبات التي كانت تواجه عمله، لا سيما مشكلة المضاربات، فيقول: "كانت بعض المضاربات تكلفني بيع قطعة أرض من أراضي والدي، فكنت أتضايق. لكن الوالد كان يهوّن عليّ. وبعد ذلك أصبحت أقنع بالربح والخسارة. وبقي والدي هو مثلي الأعلى. لذلك أرى أن على الشاب أن لا ييأس، ويستمرّ في عمله مهما كانت الصعوبات. ومن العقبات التي كانت تواجهنا خلال الحرب الاتصالات الهاتفية والخدمات مثل الفاكس، لأن العمل المصرفي يعتمد على الاتصالات حيث كنا ننتظر ساعات لتأمين خط من صيدا إلى بيروت أو من صيدا إلى العالم، أما الآن فنحمد الله بأن الدولة وفّرت لنا الاتصالات اللاسلكية بمختلف أنواعها خصوصاً في هذا العهد الجديد، وفي ظلّ هذه الحكومة أصبح لبنان مثل باقي الدول المتطوّرة بالاتصالات والكهرباء والطرقات، خصوصاً وأن الأمن أصبح متوافراً على الطرقات، وهذا ما كنا نعانيه أثناء الأحداث من عمليات سطو على السيارات التي تنقل المال بين المصارف، لأن لبنان بلد خدمات مصرفية يعتمد على الأمن أكثر من أيّ بلد آخر"..

ويضيف القطب "بأنه أثناء الاحتلال الإسرائيلي حاول العدو فرض العملة الإسرائيلية علينا والتعامل بها فرفضنا ذلك وتعرّضنا بواسطة عملائهم للتهجم والتهديد بإقفال المؤسّسات المصرفية، ورغم كلّ التهديدات صمدنا والحمد لله ولم

نرضخ لمطالب العدو".

ويثمّن القطب تعلّق اللبنانيين بأرضهم، عاتباً على غياب التخطيط الرسمي للقطاع الزراعي فيقول: "نحاول من خلال الدراسات أن نغيّر من واقع الوضع الزراعي الذي نعيشه، لكن الدولة لا تهتم ولا تساعد، فيجب أن يكون هناك ترشيد زراعي ومراعاة لمصالح المزارعين وتوعيتهم على المواد

الزراعية وتزويدهم بها"..

ويرى القطب أن الإنسان اليوم لا يستطيع أن يعتاش فقط من أرضه، مما يدفع بالكثير من الشباب لأن يسافر من أجل تحصيل العلم والرزق..

ويقول في ذلك: "يجب أن لا ننسى أن هناك احتلالاً إسرائيلياً لا يزال يؤثّر على حركة العمل والحياة في بلدنا.. وبعض المغتربين الذين أعرفهم أبلغوني بأنهم مستعدون للعودة إلى لبنان وتحويل التراب إلى ذهب بمجرّد زوال هذا الاحتلال.

وأحد هؤلاء كان يرسل لصيّادي صور كلّ عام من 50 إلى 100 ألف دولار، وهو مستعد لأن ينقل كلّ ثروته وأعماله إلى لبنان.. فنتمنّى أن يزول الاحتلال ونتعاون مع بعضنا البعض لما فيه مصلحة وازدهار هذا الوطن..".

ويشدّد القطب على ضرورة أن لا نؤجل عمل اليوم إلى الغد، وأن نعمل في المجال الذي نحبّه وبالطرق القانونية، وهو يعتبر أن ثقة الناس والاستقامة والمثابرة هي من أهم سبل النجاح.

أما حكمته في الحياة فهي:

"اعمل وكأنك ترى الله، فإن لم تكن تراه، فهو يراك..".

ويقول القطب: "العشرة والتآلف عاملان مهمان جداً في الحياة، لكن وللأسف، وصلنا إلى مرحلة باتت الثقة فيها قليلة جداً فيما بيننا، لذلك أنا في الوقت الحالي أفضّل العمل مع الأشخاص الذين أعرفهم سابقاً على العمل مع أشخاص جدد لا أعرفهم..".

بصمات على دروب النجاح

السيد محمود فؤاد حلاوي

يهوى مدينة صور ملعب طفولته، ومسقط رأس آبائه وأجداده، ويحرص مع محبّي صور على العمل الدؤوب لتعود المدينة إلى لعب دورها الرائد وتاريخها الحضاري المجيد.

وإذا كان العدو الإسرائيلي الجاثم على صدر الجنوب يعيق تطوّر المدينة ونهوضها، إلا أن الهمم والطاقات تتحفّز للعمل وتحضّر له بعد التخلّص من آثار الاحتلال الإسرائيلي.

إنه محمود حلاوي، ابن التاجر المرحوم فؤاد حلاوي، الذي كان أحد تجار مدينة صور البارزين والنشيطين في مجال الخدمة المجتمعية، والذي كان نائباً لرئيس بلدية صور وقائماً بأعمال الرئاسة في غياب الرئيس، ووافاه الأجل عام 1978 إثر نوبة قلبيّة وهو يقوم بواجبه الوطني.

ترك محمود حلاوي المدرسة وهو في ربيعه التاسع عشر ليتابع رسالة والده، ويتولّى إدارة مؤسّساته، في ظروفٍ صعبةٍ، كان لبنان خلالها يخوض أصعب مراحله، بدءاً من الاجتياح الإسرائيلي وانتهاءً بالأحداث التي توالت بعد الانسحاب.

وهو أخذ عهداً على نفسه أن يكون كوالده عضواً فاعلاً في خدمة منطقته، فاهتم بتطوير قطاع المال، ونجح في جعل مؤسّسته نموذجاً تقتدي به المؤسّسات في كلّ المناطق اللبنانية، بما امتازت به من صدق المعاملة وكفاءة الأداء ونوعيتها.

رفض حلاوي أثناء الاجتياح الإسرائيلي عام 1982 التعامل في مؤسّساته بالعملة الإسرائيلية، رغم تهديدات العدو، مؤمناً بأن رفض التعامل بالعملة الإسرائيلية جهاد ضد الاحتلال.

وهكذا زاول حلاوي أعمال الصيرفة وسط ظروفٍ أمنيّةٍ صعبةٍ وغيابٍ كاملٍ للسلطة، رغم أن مهنة الصيرفة تحتاج إلى الأمن لتتمكّن من نقل الأموال، مما جعل مؤسّساته عرضة لأكثر من عمليّة سطو، لكنه كان بعد كلّ عمليّة سطوٍ يبحث عن الثغرات التي جعلته عرضة لهذا الأمر، فيغيّر خطّة نقل الأموال.

وبعد زوال الأحداث وخروج المحتلّ من مدينة صور، وعودة الشرعيّة إلى المدينة اختارته جمعية تجار صور، التي كان نائباً لرئيسها وعضواً فاعلاً فيها، لتمثيلها في غرفة التجارة والصناعة، فكان أميناً للمال بحكم خبرته في هذا المجال.

وأثبت حلاوي جدارته في استثمار أموال الغرفة، والحفاظ على قيمة المال نتيجة تدنّي سعر صرف الليرة اللبنانية، وطوّر أنظمة المحاسبة في الغرفة.

كما نجح مع مجموعة من الصرّافين في إنعاش النقابة، فأعيد تأسيس مجلسها الذي اختاره أميناً للسر فنائباً للرئيس، ثم بويع بالرئاسة في العام 1997.

حرص حلاوي على نقل خبرته إلى الشباب، وأخذ بيد الشاب الجنوبي الذي يتمتّع كما يقول، بذهنيّة صافية وقدرة خلاّقة على العطاء، ويتمتّع بقراءة نفسيّة ومصداقيّة تؤهّلانه لمواصلة مسيرة النهوض بالمؤسّسات الأهلية اللبنانية.

وهو يعطي القدوة للشباب بأن طريق النجاح يتمثّل بالصدق والإخلاص، لأن الإنسان الذكي في نظره هو الإنسان الصادق، وإحدى الحِكَم التي يردّدها دائماً أمام الشباب: الصدق أقصر طريق للنجاح.

ونصيحته لشباب وطنه: لا تتركوا الوطن إلا سعياً لطلب العلم، وعليكم أن تعودوا إلى لبنان لأن الوطن بحاجةٍ إليكم، والاعتماد يكون بعد اللّه على الشباب.

بصمات على دروب النجاح

السيد محمد حسن صالح

قد تدفع الظروف الإنسان أحيانا إلى اليأس والتسليم بالواقع وتتمكّن منه إذا كان فاقداً للإرادة والطموح.. أما الإنسان القوي وصاحب الإرادة الصلبة، فلا يستسلم لأية ظروف مهما كانت قاسية..

ومحمد حسن صالح الذي يترأس حالياً "تجمع صناعيي الجنوب" ويشغل منصب نائب رئيس غرفة التجارة والصناعة والزراعة في صيدا والجنوب

ومدير عام شركة الأنابيب البلاستيكية ومدير عام الشركة المحدودة للصناعة والتجارة ومدير عام شركة G C C ومدير عام شركة محمد صالح وشركاه وأيضاً عضو المجلس الوطني للاقتصاديين اللبنانيين.. صنع من هذه الظروف نجاحه ومركزه، فكان نموذجاً يُحتذى في المناقبية والعزيمة والتصميم.

وإطلالة صغيرة على مسيرة حياته منذ الطفولة، كافية لإضاءة العديد من جوانب شخصيته التي تكوّنت ونضجت مع خروجه إلى ميدان العمل في سن مبكرة.. فهو ابن مدرسة رسمية ومن عائلة كادحة، وواحد من بين تسعة أشقاء أثقلت معيشتهم وتعليمهم كاهل الوالد ولذلك لم يتمكّن محمد الابن من متابعة دروسه التكميلية بعد ما حصل على شهادة السيرتيفيكا، فالتحق بمهنية صيدا عام 1954..

ويتذكّر صالح تلك المرحلة فيقول: "كنا نقطع مسافة عشرة كيلو مترات يومياً للوصول إلى المدرسة، ومثلها في طريق العودة. وفي أكثر أيام الشتاء كنا نصل مبلّلين بالمطر وكان الوالد يشتري لكلّ واحد منا حذاءً للموسم كلّه، وينتهي به العام بلا كعب.. ثمّ وصلنا إلى مرحلة أكثر ضيقاً.. فبعدما كنا نأخذ خمسة قروش مصروفاً يومياً، أصبحنا نأخذها في أسبوع.. وبعد ذلك لم يعد باستطاعة

الوالد أن يؤمن لنا كسوة الشتاء من ثياب وخلافه..".

ويتابع صالح: "هذا الواقع المأساوي اضطرنا لأن نجتهد ونتفوّق ونكون من الأوائل، في "الخراطة والبرادة" حيث صنعت بواسطة "المبرد والمقدح" مسدساً 14 ملم و"نكلته"، فكان أول إنجاز

لي منحني مدير المدرسة لأجله خمسين ليرةً شهرياً. في الوقت الذي كان راتب الدركي الجديد في الخدمة لا يتعدّى الخمس وسبعين ليرةً في الشهر..".

والخمسون ليرة التي تحدّث عنها صالح، كان من شأنها أن تغيّر حياته.. فهو استمرّ في تفوّقه ونال الشهادة المهنية التي تعادل البريفيه الصناعية، ليعمل بعد ذلك في إحدى شركات المحركات الصناعية في العاصمة ويدرس خلال الليل حتى نال البكالوريا الصناعية بعد أن عمل لمدّة عامين في بيروت..

في هذا المفصل التاريخي من حياته بدأ محمد حسن صالح يستقلّ بعمله في صيانة المعدات الصناعية، حيث كانت أيام ولياٍل يصفها بـ"الصعبة" نظراً لأنه كان يدرس اللغة الأجنبية ليلاً.. وعلى الرغم من العقبات التي كانت تعترضه، بدأت أمنيات صالح تتحقّق واحدةً تلو الأخرى، وقد كانت بمجملها أمنيات متواضعة، لكن تحقيقها بالنسبة إليه كان يعني الكثير، كأن يكون لديه درّاجة هوائية تريحه من المشي أحد عشر كيلو متراً صباحَ مساءَ، ولما تحقّقت هذه الأمنية وحصل على الدرّاجة الهوائية تمنّى درّاجة نارية ثم سيارة وحصل عليهما بسرعة، وكان عمره وقتها لا يتجاوز السبعة عشر عاماً..

ويختصر صالح الواقع الذي كان يعيشه بحادثة يقول إنه لا ينساها أبدأ عندما كان والده يعمل مزارعاً عند أحد الأشخاص في صيدا، فطلب منه الابن أن يعمل أيام العطلة، فأعطاه عملاً في توزيع سماد الشجر..

وتعود به الذاكرة إلى تلك الحادثة فيقول: "كان موسماً مثلجاً بشدّة على الساحل، وكنا نوزّع السماد والبرد يقرصنا.. وحتى نستطيع الاستمرار في العمل كنا نفتح أكياس السماد ونضع أرجلنا فيها مرّة كلّ ربع ساعة حتى تمكّنت من

إنجاز عملي مقابل مبلغ أربعين ليرة اشتريت بها كسوة العيد..

وأتذكر أيضاً أن أصدقاء لي كانوا يريدون زيارتي في العيد فادّعيت بأني مريضٌ طوال أيام العيد حتى لا يأتوا ويشاهدوا حالنا..".

وفي العام 1958، قام صالح بأول مشروع تجاري لحسابه الخاص، وقد بدأت في ذلك

الوقت تتفتّح أمامه آفاق تطوير العمل ويقول في ذلك: "علمت في حينه بأن عملية بيع لمخلّفات الجيش البريطاني تجري في قبرص، وكانت لغتي الأجنبية ضعيفة، فاشتريت قاموساً "عربي – إنكليزي" وسافرت على متن مركبٍ لشحن الخضار والفواكه، وعندما وصلت إلى قبرص تعلّمت كيف أتعامل مع الناس الأجانب إذا أردت شراء شيء..".

ويضيف: "لم يكن معي سوى ألف دولار، مع العلم بأن الصفقة كانت كبيرة، فاتفقت مع أحد التجار الإيرانيين على أن يعطيني مبلغ خمسة آلاف لير قبرصي مقابل عدم دخولي المزاد، ففعلت بعد أن فرضت عليه ثلاثة مولّدات كهربائية شحنتها إلى لبنان..".

ويرى صالح أن هذه الأمور علّمته كيف أن على الإنسان أن يكافح ويعمل، كون الحياة صعبة فيقول: "أنصح كلّ شاب في بداية حياته بأن يصمد ويبني، لأنه عندما يكبر لن يعود بإمكانه أن يبني شيئاً.. فأنا بدأت أعمل وأبني من صغري لأن أهلي كانوا يعيشون الحرمان من كلّ شيء.. وأنا عشت محروماً حتى سن السابعة عشرة. ثم بدأت ألبس وآكل ما أريد..".

وبرأي صالح، أنه لا يوجد شيء اسمه مستحيل أمام الإنسان عندما يخطّط لمستقبله، فيصل على الأقلّ إلى تسعين بالمئة من الأمور التي خطّط لها..

ويضرب مثلاً على ذلك فيقول: "كان لدي صديق يملك والده فندقاً، ورغم ذلك فهو عمل "كومي" في فندق إنكليزي في لندن، وبعد أربع سنوات أصبح نائباً لرئيس الفندق. وحتى أنه عندما طلب منه أن يعمل في تنظيف الصحون لم يرفض، ولكن قام بالعمل واضعاً نصب عينيه هدفاً..". حتى صار مدير الفندق ومالكه.

وعن مرحلة العمل والنجاح يقول صالح: "في العام 1975 كنت الوحيد في الجنوب الذي يحظى بتسهيلات من بريطانيا (ما يعادل مليوني جنيه إسترليني) وذلك لصدق معاملتي معهم.. وبدأت بفتح الاعتمادات والدفع نقداً، ولما ارتاحوا لمعاملتي معهم ولأفكاري، أخذوا بها وقدّموا لي تسهيلات كبيرة.. فأنا أقوم بكلّ أعمالي بثقة ودون الحاجة إلى فتح اعتمادات، حيث لا أطالب بترتيبات للدفع، المهم الصدق في التعامل..".

ورغم تفتّح آفاق العمل والنجاح أمامه وتلقّيه عروضاً كثيرةً من بلدان أوروبية لفتح مؤسّسات ضخمة، لم يفكّر صالح في ترك منطقة الجنوب، علماً بأن ثلاثة أرباع ثروته ضاعت خلال

الأحداث.

وكانت أولى الضربات التي تلقّاها في مرفأ بيروت في العام 1975 حيث خسر مبلغ مليون دولار.. لكنه لم ييأس وبقي محبّاً لبلده وأعطى كلّ ذي حقٍّ حقّه..

وكذلك فعل عندما سُرقت محالة التسعة عام 1978 في "الصيفي" وفيها بضائع بثمانمئة ألف دولار، وفي "الدورة" عام 1979 عندما سُرقت مؤسّسته بفعل الأحداث الطائفية، وقد كلّفته نصف مليون دولار..

وهكذا بقي صالح متماسكاً ومصراً على النجاح والعمل فأسّس عمله من جديد في صيدا والغازية، وظلّ يعمل في أحلك الظروف وتحت القذائف..

ويؤمن محمد حسن صالح بحكمة مضيئة وهي أنه ليس هناك من شيء مستحيل فيقول: "الخوف لدي أمرٌ مرفوضٌ رفضاً باتاً، فيجب أن يبقى لدى الإنسان الأمل مهما ضاقت الظروف، لأن أيّة مشكلة تبدأ كبيرة وتنتهي صغيرة، والوقت كفيلٌ بحلّ كلّ المشكلات لأنه عامل جيد..".

ولدى صالح نصيحة يحبّ التوجّه بها إلى الشباب بأن لا يقول الواحد منا "أنا ابن فلان"، بل يقول أنا أعمل كذا وأنتج كذا" لأن العائلات لا تستقرّ على حال، وأن على الشباب أن يعتمد على نفسه وليس على العائلة..

بصمات على دروب النجاح

الدكتور أسامة حجازي

على مرّ العصور، حقّق اللبنانيون في بلاد الاغتراب إنجازات كثيرة على صعيد العلم والأدب والتاريخ والثقافة وغيرها من المجالات، فأضاءوا جنبات التاريخ بأبحاث واختراعات ونظريات غيّرت الكثير من المعادلات وأغنت الحضارة بما أبدعته.

ولا زال التاريخ الحديث يحفل بأسماء لبنانية كبيرة غزت العالم بطموحها وإنجازتها...

ورئيس مجلس إدارة المعهد الجامعي للتكنولوجيا الدكتور أسامة حجازي رائدٌ من روّاد البحث العلمي والرياضيات، اغترب من أجل العلم وضحّى في سبيله بأكثر من 25 عاماً من حياته قضاها في جامعات فرنسا وكلياتها طالباً ثم أستاذاً ثم باحثاً..

فمنذ بلغ سن الخامسة عشرة، شعر أسامة الفتى بشيء يشدّه إلى العلوم النظرية كالرياضيات والفيزياء، (رغم أن ظروفه لم تكن تسمح له بهذا الاتجاه)..

وبدأ أسامة دراسته الأولى في مدرسة المقاصد الابتدائية وتابع المرحلتين المتوسطة والثانوية في ثانوية المقاصد حيث اختار فرع الرياضيات حبّاً بهذا العلم..

وفي سن التاسعة، بدأت درجاته المدرسية تتغيّر نحو الأفضل إلى أن أصبح في عداد الأوائل وهو يرى أن لذلك سبباً وجيهاً فيقول: "من الضروي أن تُتاح الفرصة للشاب لكي يرغب في العلم، فعندما تتوافر الرغبة والدافع لديه يحقّق نجاحاً ويزداد جهده.

فالأهداف والخطوط العريضة لا تتبلور في الصغر وفي عمر الشباب، لكن من الضروري توافر الطموح نحو العلم حتى يحقّق الإنسان شخصيته ونظريته في الحياة..".

وهكذا، بدأت الصورة تتّضح أمام أسامة مع وصوله إلى صف البريفيه، حيث برز ميله إلى الرياضيات على الرغم من أنه لم تكن لديه أيّة فكرة عن المراحل التعليمية الأخرى، وذلك لعدم توافر الكتب التي تشرح هذا الأمر..

وراح أسامة يدرس ويعمل في آن، مستغلاً الوقت بكامله..

وبلغ تفوّقه مرحلةً لم يعد معها يداوم في الصف لأنه كان لديه من الإلمام بالرياضيات ما ساعده على الاستغناء عن الحصص الدراسية..

ويتذكّر الدكتور حجازي اليوم تلك المرحلة مسجّلاً عتبه على المجتمع الذي لا يقدّم أيّة مساعدة لأصحاب الكفاءات والإمكانيات العلمية العالية وغير العادية.. فلا توجيهات ولا تشجيع.. ومع هذا كله، يرى حجازي أن الثانويات الرسمية في لبنان لعبت دوراً هاماً وأساسياً خلال فترة الستينيات والسبعينيات في تربية جيل كامل وصل إلى مراحل يفتخر بها الجميع، وأن التعليم الرسمي سمح لمحدودي الدخل بالتعلم..

أما هدفه فكان دائماً البحث في مادة الرياضيات، حيث كان لديه رغبة أكيدة عندما يهم بقراءة كتاب في الرياضيات بأن يحضّر لها مسبقاً، فيخلق مسائل رياضية غير موجودة رغم عدم توافر مكتبة أو مراجع للمستويات العليا لكي يتابع دراسته فيها.. لكنه تابع الدراسات العليا في هذه المادة عندما سافر إلى فرنسا.

المحطة الأهم في حياته يقول عنها: "في تلك الفترة لم يكن هناك في لبنان أيّة منحة على الرغم من أنني كنت الأول في صفي. حاولت الالتحاق بالجامعة الأميركية، لكن الأقساط كانت مرتفعةً جداً. وبالصدفة عرفت أن ابن جيراننا سافر إلى فرنسا، وأن هناك مجالاً للتعلّم والعمل في الوقت نفسه، فضلاً على أن تكاليف العلم في فرنسا أرخص منها في بريطانيا وأميركيا.. فاضطررت لتغيير لغتي من الإنكليزية إلى الفرنسية [حيث الرغبة في العلم تصنع الهدف] وهكذا سافرت وعملت في العطل والإجازات الصيفية كي أستطيع متابعة دراستي، ولم أصل إلى مرحلة اليأس رغم كلّ الصعوبات التي واجهتني ومنها اختلاف المجتمع وصعوبة التأقلم واستيعاب أسلوب جديد للحياة.

ثمّ انتقل حجازي من مرحلة التعلّم إلى مرحلة التعليم ومنها إلى مرحلة الأبحاث التي نال على أساسها شهادة الدكتوراه، قبل أن يعود إلى وطنه حاملاً مشاريع لدعم البحث العلمي النظري في لبنان ويُعيّن رئيساً لمجلس إدارة المعهد الجامعي للتكنولوجيا في صيدا..

ويرى الدكتور حجازي أن على كلّ شاب أن (يعرف ماذا يريد وأن لا يقلّد الآخرين)، بل أن يعرف ما هو قادر على ابتكاره. أما طريقه إلى النجاح فيحدّده الدكتور حجازي بقوله: "إن ما

يعطيني القدرة على أن أكون قوياً، هو صدقي مع نفسي، وأن يكون ضميري مرتاحاً وأركّز في عملي، فالصدق والتركيز يمكّنان صاحبهما من قول كلمته بثقة..".

ويرغب الدكتور حجازي بأساس تربوي أكاديمي وتكنولوجي للتعليم في لبنان بشكل يستطيع معه أصحاب الكفاءات القيام بدورهم وتهيئة جيل جديد متعلّم وواثق بنفسه، لكنه يرفض ربط النواحي الأكاديمية بالسياسة لأنه يرى أن السياسة ضرورية فقط لتنظيم الحياة الاجتماعية والعامة.. ويعتبر أنه من الضروري التخطيط لما يحتاجه سوق العمل وإفساح المجال أمام الأبحاث التي من شأنها تطوير المجتمع..

ويعلّل الدكتور حجازي رجوعه للعمل في لبنان إلى أنه يريد استعادة ثقة الجيل الجديد بالعلم فيرسم الشباب المتعلّم خطّاً لحياتهم ويطوّروا خططهم عاماً بعد عام.

ويقول في ذلك: "إن التطوّر السريع يتطلّب تخطيطاً مسبقاً إلى أجل قصير، لأن هناك مهناً واختصاصات كثيرة تظهر تباعاً حسب حاجة البلد إليها..".

بصمات على دروب النجاح

السيد أبو ظافر الحسيني

قد يبلغ الإنسان من العفوية والواقعية في كلامه وتصرفاته ما يحبّبه إلى قلوب الآخرين، فكيف إذا اجتمعت هاتان السّمتان مع حبّه لخدمة الناس وحلّ مشاكلهم باذلاً في سبيل ذلك كلّ ما يملك من إمكانيات وعلاقات تربطه بعلية القوم وقادتهم..

فلا شكّ أن لشعبيّة الإنسان الناجح سبباً غير النجاح، سبباً قد يكون متصلاً بشخصيّته وبالاحترام

الذي يلقاه من الجميع نظراً لمواقف وأعمال مشرفة يعتمدها للتخفيف من شجون وهموم المواطنين وإيصال المساعدات إليهم إبان الشدّة والأزمات..

وليس بكثير على إنسان يتحلّى بكلّ هذه المواصفات أن ينال كلّ هذا الاحترام والتقدير، خاصة إذا كان في موقعٍ كموقع الحاج عبد المحسن الحسيني "أبو ظافر" الذي أسّس لجنة إنماء صور ومنطقتها وأطلّ من خلالها على العمل الاجتماعي والخدماتي في سبيل نهضة المدينة..

مواطن عادي نشأ في كنف عائلةٍ مزارعةٍ مؤلفةٍ من اثني عشر شخصاً، وتملك محلاً تجارياً في صور، حيث توزّع أبناؤها بين الدراسة والعمل..

عندما بلغ سنّ الثانية عشرة، بدأ عبد المحسن الحسيني العمل مع والده في المحل التجاري وفي الحقل، وكان حينها قد أنهى دراسته الابتدائية.

ولأن مجال العمل في لبنان كان ضيقاً، اختار الحسيني الفتى أن يجرّب السفر ودون علم والده، حيث عمد إلى تزوير أوراقه باسم الوالد وقدّمها إلى المختار الذي كشفه ولكنه قرّر مساعدته،

فحصل الحسيني على "الباسبور" وسافر براً وعلى مدى أربعة أيام إلى الكويت التي عمل فيها خلال الأشهر الثلاثة الأولى عاملاً، تعلّم بعدها مصلحة "السنكرية" وعمل فيها مدّة سنة واحدة قبل أن يوظّف في مصلحة الشؤون الاجتماعية في الكويت ولفترة ستة أشهر. انتدب إثرها لاستقبال الضيوف الأجانب وتأمين الإقامة لهم..

وهكذا، أمضى عبد المحسن الحسيني عامين ونصف العام في الكويت ليعود بعدها إلى لبنان فيستقرّ عاماً ونصف العام ومن ثمّ يسافر إلى ساحل العاج في أفريقيا.. وقد كان ذلك في العام 1956 حيث امتدّت إقامته هناك سبعة عشر عاماً..

وكأيّ مغترب لبناني لا بدّ من أن يواجه عقبات في الأشهر الأولى لاغترابه، واجه أبو ظافر صعوبة التكيّف مع اللغة وصعوبة الإقامة التي لم يستحقّها إلا بعد ستة أشهر من وصوله وبمساعدة شقيقه..

ويتذكّر أبو ظافر الكثير من المواقف التي حصلت معه في تلك الفترة فيقول: "أتذكّر أننا كنّا نسبح مرّة في النهر، وقد كان يوم عيد، وأثناء سباحتي سمعت صراخ الجميع من حولي بعدما رأوا تمساحاً يسبح خلفي، فأسرعت إلى صخرةٍ في وسط النهر وأفلت منه في آخر لحظة.. كما أتذكّر أننا وخلال انتقالنا من مكان الإقامة إلى مكان العمل اللذين تفصل بينهما مسافة ثلاثمئة كيلو متر، وقرابة الثانية فجراً فوجئنا بغزالين يقفان في وسط الطريق، فقلت للسائق: قف حتى ألتقط أحد هذين الغزالين.. فصرخ السائق رافضاً، لكني كنت قد اقتربت من الغزال لألتقطه فركلني ورماني مسافة خمسة أمتار إلى الخلف..

وأثناء سفرنا كنّا نصادف أفاعي عملاقة تعترض طريقنا، وقد كان بعضها بطول سبعة أمتار وعرض خمسة وعشرين سنتيمتراً، فكان علينا الانتباه حتى تقطع الطريق لأن السيارة لا تستطيع العبور فوقها..".

في ظل هذه الأجواء عمل أبو ظافر في أفريقيا بالتجارة. ولم يعد إلى لبنان إلا بعدما جمع رأس مال مقبولاً حيث استقرّ في وطنه نهائياً عام 1976 بعد أن اشترى أرضاً ولم يترك المنطقة حتى في أقسى الظروف وأصعبها..

وهو يقول في ذلك: "رغم الاجتياح الإسرائيلي لم أترك بلدي مثل غيري، لأني كنت مؤمناً باللّه وبأرضي ووطني، حتى إنني في العام 1983 تركت بيتي في عرمون وعدت إلى صور لأؤسّس لجنة إنماء صور ومنطقتها، في الوقت الذي انطلقت فيه المقاومة الوطنية، وذلك دعماً لها ومساعدة لأبناء منطقتي على الصمود في وجه العدو الصهيوني، لأني أؤمن بتحرير الوطن على أيدي أبنائه الجنوبيين..

ويعوّل أبو ظافر الحسيني كثيراً على مبدأ الرعاية الاجتماعية فيقول: "مجتمعنا طيّب وبريء ومؤمن، ولكن خطط الدولة سيّئة، والسبب في ذلك عدم وجود رعاية اجتماعية تبدأ من الأرض والمزارع وتأمين متطلباته. فهناك خمسون في المئة من المواطنين اللبنانيين يعملون في الزراعة والأرض، ولذلك فأنا أطالب المسؤولين بالاهتمام بهذا القطاع شبه المعدم..".

وكما كان مع إخوته يتوزعون بين الدراسة والعمل، لدى أبو ظافر أربعة أبناء، أحدهم طبيب جرّاح، والثاني مهندس زراعي يعمل في الأرض، والثالث يحمل شهادة في التجارة والاقتصاد ويدير مصنعاً، والرابع في السنة الأخيرة حقوق..

ورغم مسيرة كفاحه الطويلة ما زال النشاط يدبّ في شخص أبي ظافر وعمله، فهو يستيقظ باكراً ليقضي أمتع أوقاته مع أرضه وزراعته.. وهو أيضاً يتعاطى العمل الاجتماعي ويفضّله على العمل السياسي، فكان تحرّكه في هذا المجال مع مجموعة من الشباب المتعلم في إطار لجنة إنماء صور ومنطقتها والتي تفرّعت عنها لجان تربية وصحّة وغيرها..

وإبان القبضة الحديدية التي فرضتها "إسرائيل" على الجنوب، كان أبو ظافر يتنقّل داخل القرى مقدماً لأهلها المساعدات الاجتماعية..

ويرى أبو ظافر أنه على الدولة توجيه النشء نحو التعليم المهني لأن تكاليفه بسيطة بالنسبة للناس وللدولة.. ولأنه كيفما تحرّك الطالب المهني يستطيع أن يعمل ويؤمن قوته..

أما الحكمة التي يؤمن بها أبو ظافر فهي: "رحم الله امرأً عرف حدَّه فوقف عنده.."، وهي حكمة استقاها وعايشها خلال تجربته الطويلة في العمل وفي الحياة..

بصمات على دروب النجاح

السيد محمد علي الشماع

عندما يقوم الإنسان بعمل يريد به وجه الله، فإنه لا ينتظر مقابل هذا العمل أجراً مادياً أو سلطةً أو جاهاً، فكيف إذا كان ما يقوم به عملاً إنسانياً واجتماعياً خالصاً لوجه الله.

والرجل المعطاء الحاج محمد علي الشماع واحدٌ من الذين نذروا حياتهم لخدمة الناس والمعذّبين منهم دون مقابل..

فمنذ أن مارس العمل السياسي من خلال انتسابه إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي في العام 1940، والحاج محمد علي الشماع معروفٌ بأعماله الخيّرة ومواقفه الإنسانية تجاه عامة الناس ولا سيما الفقراء والمرضى..

وساعده على ذلك، مشاركته في أكثر من جمعية أهلية وهيئة إسلامية، فهو عضو في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، وفي دائرة الأوقاف الإسلامية في صيدا إبان الخمسينيات، ويشرف حالياً على مستشفى الأمراض العصبية – الفنار في المصيلح، إضافةً إلى حيازته عدّة أوسمة تقديرية من جمعيات كشفية وأهلية ورسمية وأبرزها وسام برتبة فارس وميدالية ذهبية من لجنة المكافآت الدولية للعمل الإنساني ومركزها باريس.

ويُسجَّل للشماع أنه كان أول من قام ببناء مساكن شعبية لأبناء صيدا في منطقة القياعة، وبلغت ما يقارب العشرة أبنية، وكان يقسّط ثمن الشقق مراعياً الظروف المادية للسكان.

وفي العام 1964، تشارك الشماع مع أخويه يوسف وفؤاد الشماع في بناء أول مدينة صناعية في صيدا. وكان له المبادرة الأولى ببناء جامع الإمام علي (t) في المدينة الصناعية، إضافةً إلى بناء بلوكين في المدينة الصناعية الجديدة في منطقة سينيق.

يقول الحاج محمد علي الشماع: "أنا شخص أحبّ المجتمع، وهذا الأمر من مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي أنتمي إليه، فالإنسان للمجتمع، وكلّ من يخدم المجتمع يساهم في إصلاحه، أما الأنانية فنحن ضدّها، لأنه لا قيمة للفرد إن لم يكن لديه تلاحم مع المجتمع".

عانى الشماع كما الكثيرون من القوميين إبان مقتل الزعيم أنطوان سعادة، حيث كانت الدولة تلاحق القوميين وتزجّ بهم في السجون، مما اضطر الشماع لأن يتوارى عن الأنظار مدّة شهرين قبل أن يسلّم نفسه بعد استشارة الرئيس رياض الصلح، لينال حريته بعد ذلك. وهو يرى أن هذه الحادثة أثّرت في نفسه كثيراً لأنه كان عاصياً للقانون، مبرّراً ذلك بأنه كان يرى فيه الظلم والتسلّط..

ويصف الشماع عمله الحالي في مستشفى الفنار بأنه عمل إنساني فيقول: "أعتبر نفسي شيخاً من دون لفّة وراهباً من دون ثوب، وموظّفاً من دون راتب. فما يهمني هو خدمة الإنسانية المعذّبة. وهي خدمة لوجه الله لأن هؤلاء المرضى بحاجة إلى العطف والمساعدة".

وينصح الشماع الشباب بالتوجّه نحو العلوم المهنية، لأن الوطن بحاجة إليها في وقت كثرت فيه الاختصاصات في المجالات الأخرى. ويدعوهم للتجرّد من الطائفية والمذهبية والمناطقية.
ويقول: "أحثّ الشباب على الاهتمام بالخدمة العامة وخدمة المجتمع والعمل البيئي، والمحافظة على حياتهم الروحية، وأن يكون لديهم رسالة اجتماعية يؤدونها..".

بصمات على دروب النجاح

السيد مصطفى محمد البساط

أن يختار الإنسان عملاً ويحبّه، فإن هذا العمل يصبح جزءاً لا يتجزأ من عناصر تكوين شخصيته. فكيف إذا كان قد أتقن هذا العمل منذ صغره وأخذه عن والده.

إنه العمل المؤسّساتي المتوارث أباً عن جد، وجيلاً بعد جيل. فيزرعه المؤسّس بذرة ويسقيه ويرعاه، حتى إذا ما نما وكبر وأينع وأنتج، أكمل الأبناء الطريق وتابعوا ما بدأه الوالد والجد..

تلك هي سنّة الحياة والعمل التي تحكم حياتنا ونجاحنا وفشلنا، طريق لا مكان لليأس فيها، فوحده الإصرار هو السائد وهو صاحب الكلمة الفصل..

اقترن اسم مصطفى البساط وقبله والده محمد رفيق البساط باسم معمل "صفا" للحمضيات، والذي لا يزال شامخاً ومنتجاً رغم كلّ الظروف التي مرّت بها المنطقة.

البداية الأولى كانت فكرة طرحها الوالد محمد البساط على مجموعة من أصحاب البساتين – وهو واحد منهم– بإقامة معملٍ لتوضيب الفاكهة والحمضيات على شكل تعاونية لتصريف إنتاج الجنوب..

كان ذلك في العام 1959 ورغم عدم توافر العناصر المساعدة على تحقيق هذه الفكرة بسبب تعارض آراء ومصالح أصحاب البساتين المعنيين بالأمر، فإن البساط الأب لم ييأس، وقرّر المضي في الأمر لوحده بمساعدة بعض الأشخاص. فكان معمل صفا لتصريف الحمضيات، المعمل الأول في الشرق الأوسط الذي يعمل على الطريقة الميكانيكية الحديثة.. وفي تلك الفترة كان مصطفى الابن لا يزال في الجامعة الأميركية، حيث نال شهادة ليسانس في الاقتصاد، وانتقل بعدها ليباشر عمله إلى جانب والده في المعمل، الذي أخذ يتّسع ويتّسع. ولكن كأيّ عمل ناجح، كان لا بدّ من مواجهة صعوبات وعقبات، أبرزها وأقساها كان خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي لمنطقة صيدا، واتخاذ قوات الاحتلال للمعمل مركزاً لها.. وجعلوا من قسمه الشرقي معتقلاً لأبناء المنطقة، واستخدموا مع المعتقلين أبشع أساليب التعذيب..

ولما كان البساط يتحلّى بمواطنية عالية أبى إلا أن يتابع مزاولة أعماله في القسم الغربي من

المعمل ورفض عروضات اليهود بتأمين الحمضيات له من تجّار إسرائيل لتشغيل المعمل بالرغم من تعرّض معظم البساتين في الجنوب إلى القصف والإحراق، وأصرّ على مساعدة المزارعين من أبناء الجنوب بأخذ ما تبقّى من ثمار بساتينهم وشحنها إلى الخارج..

ويقول السيد البساط عن تلك الفترة: "واجهنا الكثير من الصعوبات إبان الاحتلال الإسرائيلي وتخطّيناها بصبرنا وعزيمتنا. فالمعمل تحوّل إلى مركز لقوات الاحتلال، ورغم ذلك بقي اسم صفا حاضراً بقوّة.

كنا نعاني أثناء شحن البضائع عبر معبر باتر حيث يتمّ تفريغ الشاحنات برمّتها بحجّة التفتيش، مما كان يؤدّي إلى فساد معظم البضاعة المشحونة. وكنا بذلك نساعد المزارع ونثبت للعدوّ صمودنا في وجهه بإصرارنا على عدم تصريف بضاعتنا عبر الأراضي الإسرائيلية".

ولا يخفي البساط أن توضيب وتصريف الحمضيات في لبنان بات يعاني من منافسة الحمضيات في عددٍ من الدول، مثل مصر التي يرى أنها أصبحت ملكة الحمضيات في الشرق الأوسط نظراً لاتّساع مساحتها المزروعة والأراضي واليد العاملة الرخيصة فيها.

ويرى البساط أن لبنان ليس لديه موارد سوى الاغتراب والسياحة، وأنه سيبقى هكذا، لأن الصناعات والزراعة ليست بالمستوى المطلوب فيه. وهو ينصح الشاب اللبناني بأن يتّجه نحو التعليم المهني والتقني ويعتبر أن العمل المهني الشريف ليس عيباً بل هو عمل منتج.

ورغم كلّ تحفّظاته بشأن الوضع الاقتصادي في لبنان، فإن البساط لا يزال واثقاً بالمجتمع اللبناني والجنوبي خاصة، حيث الجنوبيون صامدون في بيوتهم وأعمالهم على الرغم من الاعتداءات الإسرائيلية المتواصلة، إضافةً إلى المغتربين منهم والذين يسهمون في هذا الصمود من خلال الأموال التي يضخّونها إلى منطقتهم وإلى بلدهم.. ويعود البساط ملقياً الضوء على أوضاع المعامل في لبنان فيقول: "كلّ المعامل واقعة تحت عجز رهيب وحالتها في الويل، وهناك معامل معدومة لديها حماية وقادرة على الاستمرار. والخطر الأكبر المقبل هو إذا ما تحقّق السلام، فإسرائيل تستعد لدخول الأسواق العربية، وهذه أمنيتها، وبرأيي فإن الأفضل اقتصادياً بالنسبة للدول العربية أن لا يتحقّق السلام، لأننا معرّضون معه لغزوٍ اقتصادي إسرائيلي، وعلى العرب أن يفهموا هذا الأمر جيدا".

وتعود الذاكرة بالسيد البساط إلى أيام عصيبة مرّت على العائلة حيث تعرّض مستودع الأرز

والسكر والبن الخاص بها للنهب والسرقة. الأمر الذي شكّل ضربةً قاسيةً للوالد الذي أُصيب بأزمة قلبيّة وفارق الحياة بعدها بثلاث سنوات.

ولا يحبّذ البساط ترك البلد والهجرة. لأنه يرى أن لبلده عليه حقاً، وأنه إذا فعل سيساهم في تشريد حوالي 300 عائلة تعتاش من المعمل. ويقول: "بلدي قدّمت لي الكثير ووقفت إلى جانبي في البداية، فكيف أتركها الآن؟! لكن هذا لا يعني أنني راضٍ عن وضعي الحالي، فأنا أفكّر في مشروع بديل.

بصمات على دروب النجاح

السيد سمير سلمان رحال

".. وإنكم بغير مبادلة عطايا الأرض، لن تجدوا وفراً من الرزق..".. بهذه الكلمات يحدّد رسول الكلمة "جبران" أهمّية التجارة في كسب المعايش كونها كياناً اقتصادياً قائماً بذاته..

وسمير سلمان رحال، تاجر ناجح وعى أهمية هذة الكلمات، وهاجر في رحابها طلباً للرزق والمكسب الشريف.. فهو مذ نشأ طفلاً في بلدته

"بستيات" قضاء صور، عاش في أجواء هذه المهنة التي عمل بها والده، فكان يصطحبه إلى المحل بعد أن ينهي دراسته اليومية... فإذا بالفتى ينشأ على حبّ هذه المهنة، وتتكوّن لديه نظرة تجارية، فخرج فعلياً إلى ميدان العمل وهو في سن السابعة عشرة، بعدما أنهى البكالوريا ليسافر إلى الكويت.

يقول سمير رحال: "كان حبّ التجارة يجري في دمي، خاصة أنني تعلّمت من الوالد أن التجارة صدقٌ وأمانةٌ وأن من يسير على الدرب لا بدّ أن يصل..".

ولم يكن سفره إلى الكويت يعني توجّهاً إلى عمل لا يعرف ما هو، بل كان لتسلّم عمل والده هناك كما يتذكّر رحال: "كان عملاً صغيراً فعملت على توسيعه، وكانت البداية سهلة لأنه كان هناك تأسيس لهذا العمل.. ولم يكن نجاحي في عملي حلماً بقدر ما كان هدفاً سعيت للوصول إليه..".

وهكذا عاش رحال رحالاً طيلة سبعة وثلاثين عاماً، وعاد بعدها ليستقرّ في وطنه، لكنه لم يجد الاستقرار النفسي.. وهو يقول في ذلك: "حتى الآن لم أرَ بالنسبة لي أننا نملك الاستقرار النفسي، ولكن كأمان واطمئنان أستطيع القول بأن بلدنا أكثر أمناً من أيٍّ بلد في العالم..".

ويرى رحال أنه من الناحية العملية، ما زالت الفرص قليلة بالنسبة للشبان، وأن من سيفكّر بالعودة إلى العمل في لبنان سيجد أن الفرص ضيقة جداً في الوقت الحاضر، لكنه يشجّع على العودة مهما كانت الصعوبات حتى لا نترك وطننا..

يفضل رحال دراسة أيّ مشروع والوقوف على جدواه قبل تنفيذه، ويرى أن الجنوب يأتي في

المرتبة الأولى بالنسبة لأيّ مشروع يقدم عليه. ويقول: "الأرض العزيزة هي الجنوب، فإذا لم أحافظ عليه وأساهم في نهضته، لن يكون لي كيان ولا أرض، فأرضنا هي كياننا. إننا مؤمنون بوطننا وبجنوبنا، وطالما لدينا هذا الإيمان سنحقّق إنجازاً ونصراً على الاحتلال الذي لا بدّ أن يزول مهما طال الزمن".

ويؤمن رحال بأن القيم لا زالت موجودة لدى جميع اللبنانيين على الرغم من أن الحرب دمّرت نفوساً كثيرة ولم يقتصر الدمار على الحجر فقط، وهو يتمنّى أن يزول ذلك مع الأيام..

ورحال من الداعمين للتضامن والتماسك في وجه التحدّيات حيث يقول: "علينا أن نكون دائماً يداً واحدةً وقلباً واحداً، خاصة وأن هناك عدواً يتربّص بنا الدوائر، وحتى بعد أن يتحقّق السلام سيبقى متربصاً بنا، فإذا كنا متّحدين قلباً وقالباً، سنفوّت على العدو أيّة فرصة لاختراقنا وشقّ صفنا..".

ويبدي رحال استعداداً عالياً لمساعدة الشباب شرط أن يكونوا مقتنعين بعملهم، واثقين من أنفسهم.. ويفرحه جداً أن ينصحهم ويفيدهم من خبرته التي اكتسبها على مرّ الزمن في ميدان العمل والتجارة..

وهو يشدّد على ضرورة أن يفيد المرء أهله ومجتمعه ووطنه، لأن الخير الذي سيعمّ عليه سينعكس إيجاباً على البيئة والمحيط الذي يعيش فيه..

أما حكمته المفضّلة، فهي تلك العبارة التي تعلّمها من والده "من سار على الدرب وصل".. لكنه يشترط سبيلاً للوصول هو الاستقامة والحكمة ومعاملة الناس بالحسنى ومثلما يريد أن يعاملوه، وتحديد هدف، لأنه لا عمل من دون هدف. وهو من المقتنعين بمقولة "ما هو للغير للغير"..

بصمات على دروب النجاح

السيد محمد زيدان

مستقبل الإنسان تحدّده التجارب التي يمرّ بها، فإذا كانت تجارب قاسيةً، جاء المستقبل أكثر راحة. غير أن لهذه القاعدة استثناءات يمكن أن نصادفها في حياة الكثيرين..

ورجل الأعمال محمد زيدان، ابن إحدى العائلات الصيداوية المتوسّطة الحال، اتّسم بشخصيّة عمليّة منذ صغره حيث كان يجمع بين

الدراسة شتاءً والعمل صيفاً، ولم يضيّع الوقت، ممّا جعله يعشق التجارة والمغامرة فيها، بادئاً رحلته معها بأعمال متفرقة، استقرّ بعدها بعمل في محل لبيع "السندويشات" عائد لأحد أقاربه، وذلك في الوقت الذي كان لا يزال فيه طالباً..

ومن محل بيع "السندويشات" إلى محل صغير لبيع "المواد الغذائية"، تحوّل محمد زيدان الفتى من عامل إلى صاحب محل بعمر ثماني عشرة سنة، وإن كان افتتحه بقسم ممّا ادّخره والباقي بالدَّين، غير أنه كان سعيداً جداً بعمله وبأنه يمشي خطوةً خطوةً كما يقول:

"كنت مسروراً لأني أزاول العمل، وقد تميّزت عن زملائي بأني كنت أحبّ العمل الذي يدرّ عليَّ مدخولاً..".

وهكذا، بدأ طموح محمد زيدان يكبر باتّساع عمله، وأصبحت له علاقات مع كبار التجار والشركات الأجنبية الكبيرة، وهذا يعود إلى صدق زيدان وإخلاصه في العمل.

وهو يُعتبر في لبنان من كبار رجال الأعمال، حيث يقول: "لقد سخّرت جميع هذه العلاقات لخدمة بلدي لبنان ومنطقتي "الجنوب"، لأن تراب الجنوب غالٍ على قلوبنا وهو ما زال يعاني من الاحتلال الإسرائيلي الذي عانيت أكثر ما عانيت منه في صيدا فلم أغادر المدينة ولا لبنان كما فعل البعض، وبقيت رغم كلّ الظروف ومضايقات عملاء الاحتلال وتهديدهم لجميع اللبنانيين وبخاصة التجار في الجنوب. إلا أني بقيت أتواجد في مدينتي بعد أن حوّلت قسماً من أعمالي إلى بيروت وخارج لبنان.. وهذا عائد إلى حبّي لمدينتي ومنطقتي وبلدي، وأعتقد أن من عمل في لبنان خلال السنوات الأخيرة تمكّن من تأمين مدخول أكبر من مداخيل الذين عاشوا عشرين عاماً في أفريقيا، لذلك

فأنا أركّز غالبية استثماراتي في لبنان وأتابع أعمالي في الخارج من هنا..".

ويهتم زيدان بأبناء منطقته، معيداً ذلك إلى كونه يعرفهم وإلى أن هذا الأمر أقلّ ما يمكن أن يفعله لأهل بلده..

ولدى زيدان نظرة مميّزة للعمل تتساوى معها أنواعه كلّها، فيقول: "أهم شيء للشاب أن لا يستحي من القيام بأيّ عمل شريف مهما كان صغيراً، وعليه أن يتمتّع بطموح ضمن المعقول، فيسير خطوةً خطوةً، ولا يستعجل الوصول، فالقناعة في العمل هي كالقناعة في العيش، من شأنها تحسين وضع أيّ إنسان يؤمن بها..".

ولم يواجه زيدان أيّة عقبات في عمله، عدا عقبة واحدة هي عدم تمكّنه من متابعة تحصيله العلمي الجامعي، لكنه ومن خلال أفكاره وجهده، تمكن من تعويض هذه الثغرة بعلاقات كثيرة ساعدته على النجاح في تجاربه..

ويتّبع زيدان الحكمة القائلة: "ما أريده لنفسي أريده لغيري" على قاعدة "الخير للجميع". ويقول في ذلك: "إذا بدر أيّ خطأ بحقي من شخص ما، أنظر إلى الجانب الإيجابي من تصرّفه وليس السلبي، وأعتبر أنه لا يريد لي الضرر..".

ويطلب زيدان من شباب لبنان التوجّه نحو التعليم المهني فهو أفضل من التخصص في مجالات الطب والهندسة والمحاماة، لأن لبنان مكتفٍ حالياً بهذه الاختصاصات، واليوم هو عصر التعليم المهني وظروف عمله متوافرة. كما يطلب منهم عدم اليأس في ظلّ عدم توافر العمل المناسب، وينصحهم بالمحافظة على علاقتهم بوطنهم ومدينتهم إذا ما سافروا أو هاجروا طلباً للعلم والرزق...

بصمات على دروب النجاح

المهندس محمد راجي البساط

السعادة الحقيقية يشعر بها الإنسان عندما يقوم بعمل مفيد يعود بالمنفعة على عامة الناس وعلى الوطن، لكنه يشعر بهذه السعادة أكثر عندما يتم هذا العمل على أكمل وجه ويشعر بأنه أدى واجبه كاملاً..

والمهندس محمد راجي البساط الذي تقلّب في مناصب إدارية رسمية مختلفة، واحد من الشخصيات

الصيداوية المقاصدية التي يُشهد لها بالنزاهة والاستقامة والحرص على الخدمة العامة من مواقع المسؤولية..

أنهى المهندس البساط دراسته الابتدائية والمتوسطة في مدارس المقاصد، وتخرّج في العام 1952 من كلية المقاصد الإسلامية، ثم التحق بكلية الزراعة – جامعة القاهرة ليتخرّج منها في العام 1956 حاملاً شهادة في الهندسة الزراعية.

عُيّن مديراً لمعمل الشمندر السكري في البقاع، واستمر فيه من العام 1957 وحتى العام 1969، ليُعيّن بعدها موظفاً في المديرية العامة للحبوب والشمندر السكري التابعة لوزارة الاقتصاد والتجارة.

في العام 1985 عُيّن مديراً عاماً لمكتب الحبوب والشمندر السكري واستمر في هذا المنصب حتى العام 1995.

مارس مهنة التدريس في كلية الزراعة – الجامعة اللبنانية بين العام 1993 و1995 حيث كان يدرّس مادة "التسويق".

يعتبر المهندس البساط أن الظروف التي مرّ بها خلال عمله في هاتين الوظيفتين، كانت من أحلك الظروف فيقول: "في الوظيفة الأولى، واجهت من خلال عملي في منطقة نائية أحداث العام

1958 والمسلحين الذين كانوا يبتزون الإدارة بسلاحهم لمنافع شخصية أو لتوظيفهم وتوظيف زملاء لهم. أما في الوظيفة الثانية، فكان عليَّ وبحكم موقعي أن أتدبّر أمر تأمين الحاجة اليومية لشريحة كبيرة من المواطنين من طحين القمح في ظلّ الأحداث التي عصفت بالبلاد آنذاك، وهذه الشريحة تمتد من النهر الكبير شمالاً وحتى الناقورة جنوباً، وذلك في ظلّ انقطاع تسليمات القمح من إهراءات بيروت إلى سائر المناطق نظراً لسيطرة الميليشيات عليها. فضلاً عن أنه لم يكن يتوافر في هذه المناطق أيّ ميناء يمكن أن يستقبل باخرة تزيد حمولتها عن 3 آلاف طن. وفي ظلّ هجوم المنتفعين على الاستفادة من سياسة الدولة في دعم القمح. والذي زاد من صعوبة الأمر غياب أجهزة الرقابة آنذاك!!".

وهكذا وبدافع الوطنية، لم يهرب المهندس البساط ولم يتهرّب من تحمّل المسؤولية التي اعتبرها مقدسة على أساس أن تأمين القوت اليومي إلى الناس كافة وإفشال مخطط التجويع هما مهمة وطنية.

ويقول في ذلك: "عند الممارسة لا بدّ من إنكار الذات، دون النظر إلى المردود المادي، ولا بد من التخطيط للنجاح لأن النجاح بحد ذاته مكافأة لصاحبه".

ويعتبر المهندس البساط أن هاتين الوظيفتين سرعان ما تحولتا إلى هواية لديه، فأصبح يتابع تقنيات الحبوب والسكر ووضعها في الاقتصاد العالمي وتأثيرها على السوق المحلي، مما أتاح له أن يكون عضواً في المعهد الدولي للشمندر السكري في "بروكسل" – بلجيكا.

وإلى جانب عمله هذا، يشغل المهندس البساط منصب رئيس المجلس الإداري التنفيذي لصندوق الزكاة في صيدا والجوار منذ تأسيسه في العام 1995.

بصمات على دروب النجاح

السيد غازي يحيى

كلٌّ منا يحلم بمستقبل مريح وبمركز أو ثروة، ولكن لا يكفي أن نحلم حتى نصل إلى ما نريد ونتمنى. فحتى نحقّق الحلم لا بدّ أن نسعى ونعمل ونبذل جهداً، لأن الأماني لا تُنال بالأحلام، بل باجتياز الصعاب..

من هنا، كان تبلور الرؤية للعمل لدى أمين عام جمعية الصناعيين اللبنانيين غازي يحيى الذي

يرى أن الأمل والطموح والمثابرة هي الأساس للمستقبل.

والسيد غازي يحيى، واحد من أبناء عامل المعروفين على المستوى الاقتصادي في لبنان والعالم العربي. انطلق فتى من بلدته البابلية قضاء صيدا، وبعد تلقّيه الدراسة الثانوية والجامعية في لبنان سافر إلى القرن الأفريقي قبل أن يعود نهائياً إلى وطنه. ليشارك في تأسيس تجمّع صناعيي الجنوب ويشغل منصب نائب رئيس التجمع، ثم التحق بجمعية الصناعيين اللبنانيين عضواً في مجلس إدارتها، وعُيّن أميناً عاماً لها في العام 1994 ولا يزال.

يرى السيد يحيى أن الصعوبات والعقبات لا بدّ أن تعترض طريق الإنسان في بداية حياته وأنه بالتصميم والإصرار على النجاح، يحقّق الإنسان هدفه المنشود.

ويقول: "المهم أن يبقى الواحد منا محافظاً على علاقته بأرضه ووطنه. ويسجّل للجنوبيين في هذا المجال تعلّقهم بأرضهم وهو ما أثبتته التجارب التي مرّوا ويمرّون بها عبر مختلف العصور. فالصمود والمقاومة والعزّة هي شيمة من شيم أبناء جبل عامل".

ويعتبر السيد يحيى أن العمل العام هو تكليف وليس تشريفاً وأن على كلّ إنسان أن يبدأ بنصح نفسه ويكون قدوةً لغيره.

وهو يشدّد على أن الوضع الاقتصادي في منطقة الجنوب يجب أن يُنظر إليه وحدة متكاملة

ويقول: "النشاط الصناعي جزءٌ لا يتجزّأ من النشاطات التي تشكّل عامل تنمية، ونأمل أن تكون المدن الصناعية المرتقبة بداية للانطلاق نحو هذه التنمية، لأن هكذا مدن في الجنوب من شأنها أن تشجّع على استثمارات صناعية تعود بالفائدة على منطقتنا".

ويشير السيد يحيى إلى أن القطاع الصناعي في الجنوب يدفع جزءاً من ضريبة الصمود التي تدفعها كلّ القطاعات مجتمعة، ويدفعها شعب الجنوب الصامد.

ويقول: "من المهم جداً أن تعمل الدولة على تحقيق مبدأ الإنماء المتوازن بأن تطال مشاريعها الإنمائية والخدماتية المناطق النائية والأطراف".

ويفضّل أمين عام جمعية الصناعيين التوجّه المهني لدى الطلاب والشباب، ويرى بوجوب تأهيل وتدريب الكادرات الفنية لا سيما على صعيد الميكانيك والإلكترونيك والتنمية الزراعية.

ويقول: "أعتقد أن العامل المهني المتخصّص قادرٌ على الإنتاج، وله مستقبلٌ مشرقٌ ومضمونٌ أكثر من الطالب النظري".

بصمات على دروب النجاح

المهندس مصطفى البيطار

الحياة مدرسة مجانية لكن امتحاناتها صعبة، والنجاح فيها يعتمد بالدرجة الأولى على التجربة والفرص وحسن التعامل مع الناس..

والمهندس مصطفى البيطار عرف كيف يستفيد من تجاربه في الحياة ويوظّفها في بلورة مستقبل مشرق ناجح..

إنسان مكافح ولد ونشأ وترعرع في عاصمة

الجنوب صيدا في بيئة متوسطة الحال.. بدأ حياته الدراسية في مدرسة "فيصل" في صيدا، وانتقل بعدها إلى المدارس الرسمية حيث كانت مرحلة جادة من الدراسة والعمل في آن..

ويتذكّر البيطار الشاب تلك المرحلة فيقول: "كنا نتعلّم في الشتاء ونعمل في الصيف" حيث كنت أعمل مع إخوتي في المحل وأقوم بإيصال الأغراض إلى المنازل في صيدا القديمة التي أعرفها بيتاً بيتاً.. عملت بعدها في معمل لـ"الكازوز" في بيروت، ومن ثمّ في مهنة التجارة وبعدها الحلويات..".

وهكذا ترافق العمل مع الدراسة حيث التحق البيطار بمهنية صيدا وتخرّج منها بشهادة "الخراطة والبرادة" ليعمل بعدها في إحدى المخارط في المدينة بيومية لا تتجاوز العشر ليرات.. كان ذلك في العام 1961 وبقي يعمل في هذا المجال حتى التحق بمدرسة الصنائع في "الدكوانة".

وفي السنة الأخيرة من الدراسة، تعرّض البيطار لحادث سير مؤلم أرقده في البيت ستة أشهر وذلك قبل نهاية العام الدراسي بأشهر ثلاثة حيث كان زملاؤه يزورونه في المنزل ويساعدونه في الدراسة.. وهكذا أجرى البيطار الامتحان وهو لا يزال راقداً على ظهره، وحالفه الحظّ فنال الشهادة.. غير أنه وعندما أراد أن يكمل تعليمه لم يستطع ذلك لأنه كان عليه أن يرقد ثلاثة أشهر أخرى على ظهره، ولم يكن لدى العائلة الإمكانيات التي تسمح بأن يعيد السنة..

وبعد فترة، سافر البيطار إلى القاهرة والتحق بكلّية الهندسة هناك ليتخرّج منها في العام 1971، مهندساً معمارياً. بعد التخرّج سافر إلى المملكة العربية السعودية للعمل كمهندس في إحدى الشركات اللبنانية حيث اكتسب خبرة مكّنته من العودة إلى لبنان في العام 1979 ليؤسّس شركة مقاولات في مدينة صيدا حتى كان الاجتياح الإسرائيلي عام 1982 الذي تأسّست بعده الشركة العامة للبناء والمقاولات "جينيكو" التي تولّى ولا يزال منصب مديرها التنفيذي، إضافةً إلى عضويته في "غرفة التجارة والصناعة والزراعة في صيدا والجنوب" وفي مجلس أوقاف مدينة صيدا وجمعيتي "كشافة الجراح" و"الكشاف المسلم"، ومؤخراً منصب نائب رئيس النادي الأهلي – صيدا..

ويركّز البيطار كثيراً على أهمية العمل بالنسبة للشباب فيقول: "أتمنّى على الشباب أن يقضوا وقتهم صيفاً في العمل ليس من أجل المال فقط، بل وأيضاً من أجل أن يتعلّموا كيفية التعامل مع الناس ويعرفوا قيمة المال الذي يبذله أهلهم، علَّ هذا الأمر يساعدهم في المستقبل.. والحلم هو الأساس لكي يسعى الإنسان إلى الأفضل مصحوباً بالقناعة.. "فيجب أن نحلم ونسعى، والله سبحانه وتعالى هو الموفق".. ويرى البيطار، أن المال يأتي بالصبر، والسعي وراء الرزق.. ويقول: "كلنا تخرّجنا وانتظرنا عدّة أشهر لنحصل على فرصة عمل بسبب كثرة عدد الخرّيجين، والبلد لا يستوعب.. فعلى الإنسان أن يصبر.. وأنا شخصياً من الداعين لاعتماد التعليم المهني، لأن الخرّيج المهني عندما يكمل تعليمه يصبح متمكّناً أكثر من الخرّيج الأكاديمي..".

وكأيّ جنوبي وربما أكثر، يحبّ البيطار أرضه وبلده وأهله، ويعبّر عن هذا الأمر بقوله: "علاقتنا بأرضنا مثل علاقة الفلاح بأرضه.. فلبنان ليس له مثيل في العالم لأنه بلد المحبّة والأخوّة والتآلف بين الطوائف المتعدّدة.. أما الجنوب فيشدّني إليه أنه أرضي وبلدي وفيه أهلي، وتلك التضحيات الجسام التي يقدّمها أهلنا فيه وحاميته المقاومة.. فعلينا أن نقف إلى جانبهم..".

وينصح البيطار الشاب الذي يحبّ أن يصبح رجل أعمال بأن يبدأ من الصفر ويرتقي السلّم درجةً درجةً ولا يقفز مرّة واحدة.

ويقول: "الحياة سلسلة مترابطة تبدأ من أول الطريق مروراً بالوسط وحتى النهاية.. فلا يمكننا

أن نبدأ من نقطة الانطلاق ونقفز مباشرة إلى النهاية.. وعلى الإنسان أن يبذل مجهوده الأقصى ويعمل كي يصل إلى هدفه"..

أما حكمة البيطار في الحياة فهي: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً.. واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً".. ويقول في ذلك: "هناك نقطة أساسية في الحياة تفرحني، وهي الابتسامة المرتسمة على وجوه الآخرين أكثر من أن تكون على وجهي. فكلما استطعت أن أساعد إنساناً كلما كنت سعيداً.. فالناس كلهم خير وبركة، وإذا أحبّ الله عبداً حبّب فيه خلقه، وكلما كانت علاقة الإنسان بالناس جيّدة كلما أحبّوه أكثر".

بصمات على دروب النجاح

المهندس محمود أبو زينب

مهما بعد الإنسان عن أرضه وعن وطنه، يبقى جرس الحنين يدقّ في داخله رغم طول سنوات البعد، حتى يعود في النهاية إلى بلده ليستقرّ فيه مع أولاده.. وهو أمر حصل ويحصل مع معظم المغتربين اللبنانيين الذين هاجروا إما طلباً للعلم أو طلباً للرزق والثروة..

ورحلة المهندس محمود أبو زينب في الحياة،

كانت منذ البداية تزخم بحبّ الوطن، فبقيت العودة احتمالاً وارداً بشكل دائم خلال أسفاره، وعمل بجدّ لكي تكون هذه العودة نهائية ويستقرّ في وطنه سكناً وعملاً..

فهذا الشاب الصيداوي المقاصدي الذي يشغل حالياً منصب رئاسة لجنة تسوية مخالفات البناء في قضاءي صيدا وجزين، وعضوية مجلس أمناء المقاصد ومجلس نقابة المهندسين في لبنان، نشأ في ظلّ تحوّلات سياسية وأمنية واقتصادية شهدها لبنان والمنطقة العربية، يوم كان للمقاصد توجه قومي ووطني، بالترافق مع أحداث الجزائر والثورات التي اندلعت في أفريقيا، الأمر الذي أثّر في شخصيته كما باقي أبناء جيله، وخلق لديهم نوعاً من المفهوم الوطني في ما بعد..

عاش المهندس محمود أبو زينب حياةً طبيعيةً في وسط عادي مكّنه من شقّ حياته دون تعقيدات.

ويقول في ذلك: "البيئة والمحيط يصقلان الإنسان، ونحن اليوم نحسّ بأن الوسط المتقلّب يؤثّر على الإنسان، ويكون سبباً في فشله، خاصة في ظلّ بيئة غير طبيعية، فيها نوع من التقليد وعدم المصداقية، تماماً عكس الإنسان الذي يعيش في جوٍّ طبيعي ووسط مستقر".

بعد إنهائه لدراسته الثانوية، سافر أبو زينب الشاب إلى القاهرة لدراسة الهندسة المعمارية وتخرّج من جامعة القاهرة مهندساً، وهذا كان طموحه منذ كان صغيراً حيث يقول: "منذ الطفولة كنت

أطمح لأن أحقّق ذاتاً معيّنةً لنفسي، وأعرف هذا الأمر منذ نعومة أظافري، حيث رسمت الطريق الذي أريد أن أسلكه، وكنت أعرف كيف سأسلكه..".

ولأن الحياة العملية لا بدّ وأن تشوبها عقبات وصعوبات، فإن أوّل عقبة واجهت المهندس أبو زينب كانت قبل سفره إلى مصر. حيث لم يتمكن من دخول الاختصاص الذي يريده وهو الهندسة، فبقي يعاني في مكتب الوافدين لفترة من الزمن، حتى نجح في دخول الكلية..

ويتذكر أبو زينب تلك الفترة فيقول: "كنت أطمح لأن أحقّق ذاتي من خلال هذه المهنة، خاصة وأنني كنت أتمتّع بموهبة الرسم والخلق والإبداع منذ كنت في المدرسة، وقد نلت جوائز عديدةً في مسابقات مختلفة. فمن الجيّد أن يهتمّ الإنسان بمهنة معيّنة دون أيّ ضغط، ويكون مقتنعاً بها فيبدع ويحقّق نتائج ممتازة..".

ويتابع: "عندما أنهيت التخصّص حاولت أن أتدرّب، لأنه من الخطأ أن ينتهي الإنسان من الدراسة الجامعية وينزل فوراً إلى معترك الحياة، بل يجب أن تكون هناك فترة من التدريب.. فالتحقت بإحدى الشركات في بيروت ومن ثمّ سافرت إلى السعودية حيث كان هدفي تحقيق وضع مادي ولو بسيط..".

وهكذا اجتاز المهندس أبو زينب أولى مراحل عمله في السعودية بنجاح، عاد بعدها إلى لبنان بالتزامن مع اندلاع الأحداث الأهلية.. فكان يرى أن العمل في لبنان أمر مهم جداً وأنّ على المواطن اللبناني أن يحقّق ذاته في وطنه.. ولكن بدء الأحداث وانعكاس الوضعين الأمني والسياسي على طموحات الشباب، جعله يفضل السفر مجدداً حيث جاءه عرض عمل من ساحل العاج كان قد رفضه سابقاً..

وبدأ أبو زينب عمله موظفاً في إحدى الشركات، وكان مديراً لمشروع التزمته الشركة من

الدولة، فعمل فيه لمدة سنة فقط، نظراً لعدم تناسب العمل مع الراتب.

وكان همّه أن يأخذ حصة من المشروع، وطرح هذا الأمر على أصحاب الشركة فوافقوا. واستأنف المهندس الطَّموح عمله، فامتدت إقامته في ساحل العاج سبعة أعوام حيث كانت تجربةً ناجحةً وفرصةً مناسبةً عرف كيف يغتنمها..

يقول المهندس أبو زينب: "استطعت أن أستثمر الفرصة التي سنحت لي بشكل جيّد، فكنت أعمل ستّ عشرة ساعةً يومياً، وكنت أول مهندس صيداوي يعمل في أفريقيا ومع الدولة في ساحل العاج، حيث كنّا نسلِّم المشروع قبل انتهاء المدة.. وهذا أحد أسرار النجاح إضافةً إلى الصدق والالتزام والتفاني في العمل.. كلّ ذلك يستطيع الإنسان به أن يثبت وجوده ويتمتّع بمصداقيةٍ في التعامل مع الناس..".

وخلال عمله في أفريقيا، كان أبو زينب يؤسّس لعودته نهائياً إلى لبنان، فكان يشتري العقارات ويحضِّر نفسه للعودة لأنه كان يعلم أن وجوده في أفريقيا هو وجود مؤقّت وأنه سيعود يوماً إلى بلده..

ويروي أبو زينب حادثةً جرت معه في أفريقيا فيقول: "كان رئيس جمهورية ساحل العاج يقلِّدنا أوسمةً عند إنجاز كلّ مشروع، فقلت لأحد أصدقائي: ماذا أفعل بهذا الوسام في بلدي، فأنا يهمني أن أحقّق هذا النجاح في لبنان وأنال الأوسمة من مسؤوليّ، وهذا ما أعتز به. فقد كنت أحاول أن أحقّق ذاتي في وطني، وأعتبر أن وسامي من بلدي هو محبّة الناس وتقديرهم واحترامهم لي..".

ويرى المهندس أبو زينب أن الإنسان يشعر بالسعادة في وطنه أكثر منها في أيّ بلد في العالم، فيقول: "هذه السعادة تشعرنا بأننا نكبر بمحبّة الناس.. واليوم وعلى الرّغم من تردّي الأوضاع الاقتصادية وهبوط قطاع البناء والهندسة، فإننا نقاوم ونعمل دون إبطاء عبر شركة هندسية وموظفين

ومسؤوليات كي نحافظ على الاستمرارية..".

ويترجم المهندس أبو زينب حبّه للجنوب عملاً على الأرض حيث لا يتورّع عن التزام المشاريع حتى في أقصى الجنوب وداخل المنطقة الحدودية المحتلّة، لأنه يعتبر أن صيدا والجنوب منطقة واحدة، هي المنطقة التي ولد ونشأ وترعرع فيها..

ولدى المهندس أبو زينب نصيحة يتوجه بها إلى الشباب وهي أن يتخصّصوا، كلّ في المجال الذي يقتنع به، ويشعر بأنه سيحقّق ذاته من خلاله..

كما أنه يتمنى على الشباب في الجنوب أن يحملوا شعار الانتماء للبيت والأهل والانتماء للحيّ والمدينة والمنطقة والوطن.

أما حكمته في الحياة فهي أنه "لا يصح إلا الصحيح". ويقول في ذلك: "الإنسان الصادق والواضح والصريح سوف يصل في النهاية ويحقّق آماله وذاته..".

بصمات على دروب النجاح

المهندس علي دالي بلطة

لا شكّ أن مفهوم النجاح لدى الإنسان يختلف من شخص لآخر، فهو في النهاية نجاح نسبي، ومن يجمع بين النجاح المادي والنجاح المعنوي هو إنسان محظوظ.

فالوعي المبكر ومتابعة النشاط الفكري والاجتماعي يؤمّنان للمرء مخزوناً لا بأس به من الثقافة يساعد في الوصول إلى درجة من درجات النجاح.

والمهندس علي دالي بلطة، توافر لديه هذان العاملان منذ نشأته، وتمكّن من تحقيق مركز اجتماعي له وعمل يوفّر له حياةً كريمةً متجاوزاً الصعوبات التي قد تعترض الإنسان في بداية انطلاقته وحياته العملية.

وهو يحبّذ استعمال العقل بطريقة منطقية ومدركة لحاجات المجتمع، لاعتباره هذا الأمر مساعداً على اجتياز أولى عتبات النجاح.

يقول المهندس دالي بلطة: "إن الثقة بالنفس وبالمحيط تساعدك على اختيار ما هو أنسب في عملية توجيه النجاحات، والإطلالة على المهنة من خلال اكتساب الخبرات؛ والقدرات التي يتمتّع بها أصحاب هذه النجاحات تؤمّن للمرء حسن الاختيار وتمهّد له طريق النجاح، فلا نجاح من دون كسب الخبرات وملاحقة الأفضل، ولا نجاح اجتماعياً من دون التعرّف على عقليات مختلفة وتقبّل كافة الشرائح الضالعة في تكوين المجتمع".

ويرى المهندس دالي بلطة أن الصعوبات قد تأتي من كلّ الجوانب، ولكنه يعتبر أن معرفة الغير والمقدرة على امتصاص كافّة التوترات ومواجهتها بحسن الدراية والمنطق الواعي، تجعل من هذه الصعوبات جزءاً من العمل اليومي الروتيني والحياتي الذي يصادف الإنسان كلّ يوم. فالهروب إلى الأمام –حسب رأيه– قد لا يساعد على ارتقاء سلّم النجاح.

ويقول: "في الماضي قيل: "المرء بأصغريه، قلبه ولسانه" و"أحبّ لغيرك ما تحبّ لنفسك"، وقيل أيضاً "العقل زينة" تلك أمثال علينا أن نحسن فهمها، لأنها إذا ما فُهمت جيداً تشكّل جزءاً لا

يتجزأ من النجاح".

ويشير المنهدس دالي بلطة، إلى ضرورة أن يتقبّل الإنسان الآخر مهما كانت النتائج والظروف ويقول: "المدينة الفاضلة لا مكان لها إلا في الكتب، وسوبرمان العادل لا نراه إلا في السينما والتلفزيون، فالثقة التي توحي بها للغير هي ثقة الغير بك، ونقل المعرفة إلى الآخر هو فعل إيمان. وتوجيه الإنسان للأفضل خطوة على طريق النجاح".

وعن الصعوبات التي تعترض الإنسان في حياته يقول: "لا راحة من دون تعب ولا ورود من دون أشواك، فلطعم العلقم على مرارته حلاوة، وللإنسان أن لا يأبه للعقبات ولا يجعلها تنغّص عليه عيشته وأحلامه. والمنطق السليم يقول: "اعمل ودع الآخرين يعملون". ولدى المهندس دالي بلطة شعور خاص تجاه الطفولة والشباب، فهو يحبّ البراءة في عيونهم ويرى أنهم الإناء الذي ينضح بما فيه من أمل في الحياة، وأنهم صانعو الأحلام ورجال المستقبل.

ويقول: "على الطفل الصغير في نفسي والشاب اليافع في عقلي أن لا ييأس عند أول امتحان، إن كان في المدرسة أو في الجامعة أو في العمل، عليه أن يرى في الفشل إرادة النجاح، وأن يحسن اختيار الأصدقاء، وأن يلمّ بالثقافة ويتقن المهنة المحبّبة إلى نفسه..".

وهو يعتبر أن المعرفة والمحبّة متلازمان في تطوير المجتمع نحو الأفضل.

بصمات على دروب النجاح

السيد عباس شرف الدين

لا يغيب عن بال الواحد منا ما تشكّله المعاناة في بداية حياة كلّ إنسان من أرض خصبة للعزيمة والطموح. فكيف إذا كانت معاناة مزدوجة مع واقع خدماتي وإنمائي متردٍ ومع احتلال بغيض يصادر حرية الناس ومقدرات بلادهم..

تلك هي المعاناة المزدوجة التي أمدّت السيد عباس شرف الدين بالعزيمة والإصرار على تحدّي

الصعوبات ومواجهتها وهو لم يكن قد بلغ الثالثة عشرة بعد.

في بلدة الطيبة المحتلة في قضاء مرجعيون والمتاخمة للحدود مع فلسطين المحتلة، نشأ عباس شرف الدين الفتى في عائلة تمتدّ بنسبها إلى آل البيت (ع)، مكوّنة من سبعة أفراد كان أصغرهم.

وكأيّ عائلة من عائلات تلك المنطقة الجنوبية النائية، كان أفراد عائلة شرف الدين يعملون في الزراعة والعناية بالأرض، وهي مرحلة يصفها السيد عباس بمرحلة الحرمان التي عاشها السواد الأعظم من أبناء الجنوب، فعاشت هذه العائلة النموذجية حياة الكفاح والجهاد الدائم والمستمرّ، إن على صعيد مواجهة واقع الحرمان وسيطرة رجال الإقطاع آنذاك، وإن على صعيد المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي.

في العام 1965، انتقلت العائلة إلى ضواحي بيروت، وبعدها بأربع سنوات سافر عباس شرف الدين الابن إلى المغرب العربي وهو لم يكن يبلغ الرابعة عشرة، فتنقّل بين ليبيا وتونس، قبل أن يسافر إلى فرنسا، ومن ثمّ إلى إيطاليا لتبدأ من هناك مسيرته العملية مع التجارة مواجهاً صعوبات جمّة، زاد من تراكمها سنّه الصغير، فواجه ابن الرابعة عشرة من الصعوبات ما يمكن أن يواجهه رجل في مقتبل العمر، مما ساهم في نضوجه الفكري باكراً، وصلّب عوده في مواجهة الشدائد.

يقول السيد عباس شرف الدين : "ليالٍ طويلة قضيناها متنقّلين بين الحدائق ومحطّات الوقود في أوروبا، توفيراً لأجرة النوم في فندق أو أيّ مكان لائق، وهذا أقسى واقع واجهته في حياتي".

وهكذا، تمكّن شرف الدين من صنع مستقبله بيديه من خلال تمرّسه في العمل التجاري، وبعده الصناعي عندما أسّس شركة متخصّصة بمواد الرخام، بموازاة نجاحه في تكوين علاقات اقتصادية

عالمية، حيث كان عضواً في غرفة التجارة والصناعة الإسبانية.

وهو يرى أنه في مراحل بناء المستقبل، لا وجود لشيء اسمه اليأس، لأنه لا يأس مع الحياة، ويقول: "اليأس كلمة كبيرة إذا أردنا ترجمتها نصل إلى نتيجة أن الإنسان قد انتهى، فطالما نحن موجودون ولدينا القدرة على العمل والمثابرة والاستفادة من الأخطاء والصعوبات، فإننا نلغي أيّ شعور باليأس من حياتنا ولا نسمح له بأن يكون عائقاً لمسيرتنا..".

ويؤكّد شرف الدين على أهمية العلاقة بين الإنسان وأرضه، ويرى أن إصراره على التواصل مع بلده بشكل دائم، أساسه التمسّك بالأرض وبالوطن على الرغم من أن هكذا تواصل كانت دونه صعوبات وعقبات كثيرة لا سيما إبان المحنة التي شهدها لبنان حين كان معزولاً عن العالم، لكن ذلك لم يمنعه من العودة بشكل دائم، حيث لم تتعدّ أطول فترة عاشها متغرّباً عن وطنه في تلك الحقبة الثلاثة أشهر..

ويؤمن السيد شرف الدين بضرورة مشاركة الجميع في إعادة بناء الوطن والدولة حيث يقول: "مشروع بناء الدولة، أمر لا بدّ منه، ولا بدّ من دفع ضريبة النهوض، لكن هذا لا يعني أن نتجاهل الطريقة التي تُدار بها المشاريع، بل علينا استخدام النقد البنّاء لتقويم هكذا وضع.. وأعتقد أنه رغم الوضع الاقتصادي الصعب الذي نعيشه، إلا أن حالة الاستقرار والسلم الأهلي التي وصلنا إليها، أغلى وأثمن بكثير من أيّ وضع اقتصادي، هذا إلى جانب الرؤية الاقتصادية للبلد التي بدأت تتبلور ويكاد الوضع يصبح ممسوكاً بشكل جيد..".

وهو يعتبر أن انعدام التوجيه الصناعي من أهم الأسباب التي تحول دون الوصول إلى نهضة صناعية متطوّرة، يقول: "إن عدم تأمين مناطق صناعية من شأنه أن يحبط أيّ مشروع صناعي مما يؤخر العمل الاستثماري في هكذا مشاريع. كما أنه لا توجد خطّة صناعية واضحة المعالم والبرامج، رغم أنه مضى بضع سنوات على استحداث وزارة للصناعة في لبنان".

ويشدّد السيد شرف الدين على أهمية إيجاد فرص عمل للشباب في وقت يتّجه فيه كلّ عمل في أيّ مجال نحو التخصّصية.

ويقول في ذلك: "يجب أن نؤمّن المعاهد المتخصّصة والمتطوّرة، ونسعى لتوفير فرص عمل من أجل تأسيس مجتمع منتج، وهو ما يدعونا إلى التوجّه نحو التخصّصات المهنية، لأننا بحاجة ملحّة إلى اليد العاملة المهنية والكفاءات المهنية القادرة على الإنتاج، وبحاجة إلى توجيه رسمي نحو هذا

الجانب من الإنتاج".

ويرى شرف الدين أن الحياة هي المعلم الأول للإنسان، وأن الدرس الأهم أن يكون الإنسان صادقاً مع نفسه ومع الناس.

وينوّه شرف الدين بصمود الجنوبيين في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي ويدعو التجّار والاقتصاديين لأن يكونوا داعمين للعمل المقاوم، كما أنه يعتبر أن المقاومة بشتّى أنواعها هي أساس الممانعة ضدّ المشاريع الصهيونية ونتائجها كالحلف التركي – الإسرائيلي الذي يهدف إلى الهيمنة على المنطقة العربية والأمة العربية التي يشكّل لبنان عمقاً "إستراتيجياً" لها.

بصمات على دروب النجاح

المهندس محمد إبراهيم العيراني

قد لا تقتصر علاقة الإنسان بأرضٍ ما أو منطقةٍ ما على انتمائه إلى هذه الأرض وهذه المنطقة أو ولادته فيها..

وقد تكون العلاقة بمنطقة غير منطقته أقوى، إذا ما عاش فيها فترة من الزمن أسّس خلالها عملاً وأسرة..

وحياة المهندس محمد إبراهيم العيراني (ابن

حارة الناعمة، منطقة الدامور) المليئة بالطموح والأسفار شهدت نوعاً من هذه العلاقة بينه وبين منطقة الجنوب التي نشأ وترعرع فيها بحكم مشاركة أهله بالمحاصصة في أحد بساتين الحمضيات الجنوبية قرب الزرارية، حيث التحق صغيراً بمدرسة البلدة الرسمية في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، ليتحوّل بعدها إلى التعليم المهني في مهنية الدكوانة، ومنها إلى مهنية صيدا عام 1975 تاريخ اندلاع الحرب اللبنانية..

وبعد تخرّجه، التحق العيراني بقسم الهندسة والصيانة في شركة "الميدل إست" في مطار بيروت الدولي، وذلك لمدّة عشرة أشهر، لأنه كان لا يزال لديه الطموح لمتابعة تحصيله العلمي، فسافر إلى بلجيكا، لكنه وصل متأخراً حيث فاته امتحان الدخول، وعاد فسافر إلى الاتحاد السوفياتي وتمكّن من إنهاء دراسته عام 1985، وتخرّج من معهد الطاقة الكهربائية في موسكو. وهناك عُرضت عليه منحة الدكتوراه، لكنه وبينما كان يزور وطنه على أمل العودة إلى الاتحاد السوفياتي، صرف النظر عن الدكتوراه بسبب الأوضاع السيّئة التي شهدها لبنان، فكان أن التقى بصديق قديم طلب منه مشاركته في مشاريع في لبنان، حيث أسّسا معاً شركة "أميكو" للمقاولات والتجارة التي انطلقت من الجبل ونفذت مشاريع تدعيم البنية التحتية وخطوط هاتف لشركة المباني، غير أن تراجع سعر صرف الليرة أمام الدولار أثّر على وضع المشاريع فتوقّفت هذه الشركة عن العمل..

ويتذكّر العيراني تلك المرحلة فيقول: "عدت إلى الجنوب، وعملت في تجارة البلاط، ثم عدت إلى المقاولات عبر عقود عمل لتشييد ثلاثة عشر مبنى سكنياً غربي صور".

ولكن سوء الحظّ كان يلاحقه أينما حلّ، حيث اندلعت بعض الأحداث الأليمة في الجنوب وبالقرب من موقع العمل، فتوقّف كلّ شيء..

وعلى الرغم من كلّ هذه العقبات، لم يستسلم العيراني، بل واظب على الطموح والعمل، وإن في مجالات أخرى، حيث يقول: "انتقلت إلى قطاع الحمضيات، وأسّست بعدها شركة مع بعض الأشخاص تعاونا من خلالها مع شركة "قاسيون" وقمنا بمشاريع والتزامات كهربائية رسمية وخاصة في مختلف المجالات والمناطق اللبنانية، لا سيما في القرى المحرومة من الخدمات..".

ويعتبر المهندس محمد العيراني أن المقاولات ليست مجالاً للكسب المادي فحسب، فهي على تماس يومي ومباشر مع الناس وهمومهم في الخدمات الأساسية من مياه وكهرباء ومدارس، وبتعهّد هذه المشاريع التي تقوم بها الدولة عبر مؤسّساتها، لا سيما التي يقوم بها مجلس الجنوب في المناطق المحرومة من الجنوب والبقاع من تأمين لمقوّمات الصمود لهؤلاء المواطنين ومساعدتهم على التشبّث بأرضهم رغم معاناتهم من اعتداءات إسرائيل اليومية.

وينصح العيراني الشاب الجنوبي بأن تكون لديه ثقة أكيدة بوطنه وبشعبه، ومصداقية ونفس طويل في العمل. وهو يعتبر أن الذي يخطّ طريقه بشكل صحيح يصل، وأن رأس المال ليس فقط سيولة مادية، بل أيضاً علاقات اجتماعية واحترام متبادل بين الناس. وهو يقول في ذلك: "الطموح أمر مهم جداً، وليس بالضرورة أن يعني الطمع، فالإنسان يسعى دائماً إلى توسيع مجالات عمله، ولبنان بحاجة إلى الأيدي الفنية الماهرة، وتلك هي مهمّة المدارس المهنية..".

ويؤمن العيراني بحكمتين اثنتين هما: "تفاءلوا بالخير تجدوه" و"اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً".. ويرى أن أهم ما في الحياة التواضع الذي يزيد من علاقاتنا الإنسانية..

بصمات على دروب النجاح

السيد محمود حسين قبلان

بسم الله الرحمن الرحيم

{وفوق كلّ ذي علم عليم} صدق الله العظيم...

عندما ألقي نظرةً على روائع خلق الله أجد كياني يرتعش من الجلال الإلهي، فأروع تجلّيات الله وآياته تكمن في خلقه..

إن الذي يحقّق مصيره ويشعر بأنه في مستوى الوجود والحياة ذاك هو الإنسان الفاعل

والمجاهد في هذه الحياة.. هو الإنسان الذي يجد في الحاضر ما يفعم قلبه ويملأ نفسه، وحينما تملأ الذات ما لديها من فراغ بما تحقّقه من فاعلية، فإنها لن تجد متّسعاً من الوقت للالتفات إلى مرور الزمن، والعمر لم يعد مرتبطاً بسن معيّنة، فالشباب مستمرٌّ أمامك ما دمت تتجدّد وتعمل وتتفاعل وتحافظ على علاقات طيّبة خيّرة بينك وبين نفسك، بينك وبين خالقك وبينك وبين الناس، وتؤمن بأن الخريف ما هو إلا خرافة فالشجرة لن تجفّ والأوراق لن تتساقط قبل الأوان وهكذا عمرك يا أخي الإنسان.

إذاً حياة بلا عمل عبء لا يحتمل، من رحم المعاناة تنبثق الحياة ومن ثنايا الظلمة ينبلج الفجر... أجمل الأشياء تنبت من الألم ومن الوجع...

من هذا المنطلق شقّ الحاج محمود حسين قبلان طريقه نحو العمل في هذه الحياة الملأى بالمصائب، الحبلى بالمتاعب، مؤمناً بالله يملأ القلوب اليائسة بالأمل ويردّ الحياة إلى أجساد حكم عليها الأطباء بالعدم، يردّ إلى المظلوم حقّه أضعاف الحبّ الذي فقده وإلى الباكي ابتسامته التي مسحها الزمن عن شفتيه.

وأكثر المتواضعين من يمكنهم متى أقرّوا العزم أن يكونوا كباراً في تواضعهم وأن يصبحوا أغنياء رغم فقرهم ويمكنهم أن يجعلوا من العالم مكاناً أفضل وذلك لأنهم وجدوا أن قيمة الإنسان تكمن في قوّة إرادته، وقوّة إرادته ناتجة عن صدقها وصفاء توجّهها في همّة فعّالة، إذ الهمّة طاقة محضة

في الإنسان تكون في أصل خلقته وجبلته. وهكذا ففعل الهمّة في ميدان الحياة حيث أن قيمة الحياة الرائعة هي المعركة معها في العطاء المتواصل وفي الوقوف حتى اللحظة الأخيرة بين المنعطفات الخطرة، وهذه القوّة الفائقة النعمة في التجذّر عميقاً وفي الاستنبات عالياً برأس شامخٍ وجدتها متأصّلة في رجل عملاق ألا وهو الحاج محمود قبلان الذي وجد أن الحياة هي المدرسة الكبرى التي تتلمذت في أحضانها كلّ المدارس، حيث تعلّم الحاج محمود على مدى الأيام الصعبة ومن صدى الذكريات القاسية كيف يحوّل دموع الحزن ينابيع أمل، وتعلّم أنه كلما اقترب من ذاته بانفعال صادق وأمانة متينة وأخلاق ثابتة، اكتشف صفاء نفسه وجوهرة الحياة.

رجل عملاق فيس الجدّ هو، وقف في العزّة وتغذّى من الكرامة، أعظم ما فيه أنه تعامل مع غيره كما هو سيرة عملية ومدرسة أخلاقية ما عرفت مجاهداً وعاملاً نشيطاً في موقعه...

قمة الخلق كبرياء التواضع ونبل الأريحية هو هذا العصامي الذي بنى نفسه بنفسه، عجنته الحياة فخبزها على نار تجاربه، عانى الحرمان والعذاب فجاهد مكافحاً وأعطانا أمثولةً نتعلّم منها تحدّي الأقدار، وصمد في وجه المحن والمصائب تعلّم على نفسه ليبرهن أن أهمّ ما يتعلّمه الإنسان إنما هو من الحياة وليس من الكتب وحدها، فالتجارب التي مرّ بها جعلته رجلاً قبل أوانه وكأنّي به يلتهم العمل التهاماً ويعبّ النشاط عباً..

تلازم الطموح والصدق والرؤية البعيدة هي وسائل النجاح عند الرجل إن لم تكن الحافز الأكبر، وليس ضرورياً لمن ينجح في عمله أن يكون وارث مال أو ابن جاه، بل ضروري أن يؤمن الإنسان بأنه خلق ليعمل وليكون عمله ناجحاً ومفيداً. والحاج محمود قبلان سار على درب النجاح، عدّته الصدق والمحبة للعمل إلى جانب رؤية بعيدة وبصيرة نافذة حادّة تستكشف الأشياء قبل حدوثها.

حياته التي يعيشها ومآثره وتضحياته في سبيل تطوير وتقدّم أعماله التجارية هي التي تحدّثك فعلاً وواقعاً لا قولاً وكلاماً. فهو رغم شهرته واتّساع مشاريعه التجارية وتعدّد فروع مؤسّساته للسجاد يبقى هو هو الإنسان المتواضع أبيّ النفس، إذ لا المجد ولا الشهرة أمنيته القصوى، ولا الثروة ولا السيادة غايته الفضلى، إنما أمنيته الجوهرية أن يكون متواضعاً في أعماله صادقاً في أقواله مستقيماً في مبادئه وآرائه. هكذا وحدة دستوره في الحياة قولاً وعملاً مطبّقاً قول الإمام علي (ع) "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً".

هذا هو الحاج محمود قبلان الجهادي من أجل العيش الكريم، أما إذا تناولنا حياته الشخصية ومعدنه فهو كريم ابن كرام يشعّ الذكاء من عينيه والإرادة القوية تُقرأ في وجهه، الإباء المتدفّق وشلاّل الطموح يفيضان من حركاته، خبرة السنين تختبئ بين تجاعيد وجهه وحِكَم التجارب تنعكس على جبهته، همّة الأبطال تكمن بين سواعده، عطف الأبوّة نحو الأولاد والأحفاد يفيض غزارةً من قلبه الكبير لتختمرهذه العوامل والصفات فتولّد فيه طاقةً هائلةً تجعله عظيماً بين أهله، دعامة خير في بلدته، رسول محبة في مجتمعه، ركيزة بنيان في وطنه، إذ يده من فولاذ والقلب يضخّ ناراً وبصيرة العقل تتوهّج نوراً والعاطفة تطفح ندى جياشاً لتتجلّى عنده قمّة الإنسانية، حيث تراه يخوض عباب كلّ مضمارٍ في هذه الحياة لكي يحقّق كمال ذاته في سعيه بحركة دائمة نحو الفضل فيدرك عندها قمّة إنسانيته الحقّة.

وُلد الحاج محمود حسين قبلان سنة 1932 في بلدة ميس الجبل قضاء مرجعيون، ومنذ فتح عينيه وجد أن والده قد توفي قبل أن يولد هو بثلاثة أشهر فبدأت يومها رحلة العذاب والألم مع حياة مغموسة بالمرارة ممزوجة بمياه الأوجاع، ليجد حوله من يخفّف وطأة المحن، ليجد والدته تلك المرأة الصالحة التقيّة الصابرة المجاهدة والتي حضنته وإخوته لتربّيهم تربيةً صالحةً وخاصة هو بالذات، لأنه كان الأصغر فمنحته حنان الأم وعطف الأب. واستمرّ طوال طفولته بجانب والدته لم يتركها وتعلّق بها كثيراً فأثّرت على حياته المستقبلية وأخذ منها الكثير من الصفات الحميدة التي انعكست على حياته وتربية أسرته، إذ بدأ النشاط والعمل وهو في طور مرحلة الطفولة، فكان يساعد والدته في الأعمال الزراعية الشاقّة ويتعاون معها على صروف الدهر ونكبات الزمن، إلى أن بلغ مرحلة الشباب فذهب إلى بيروت حيث سبقه أخوه الأكبر منه سناً، وهناك بدأت رحلة العمل، بدأت المسؤولية الفعلية حيث بدأ العراك مع الحياة في سن المراهقة، وكانت أولى محطّات العمل في بيع الأدوات المنزلية يحملها على ظهره ويجوب الشوارع والطرقات متحملاً كلَّ أصناف التعب والحرّ والبرد، ودام هكذا فترةً طويلةً إلى أن أسّس أسرة، استأجر لها منزلاً في بيروت. لكن حدّة ذكائه وتبصره بالأمور جعلته يتخطّى حدود الوطن ويفكّر في السفر إلى خارج البلاد. وهكذا سافر إلى دولة الكويت واستأجر مع أخيه مطعماً لعدّة أشهر، لكن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن إذ استملكت دولة الكويت محلهم مع عدّة محلات أخرى بحجة توسيع الشوارع. وهكذا خاب أمله وعاد إلى وطنه صفر اليدين ليبدأ من جديد في بيع الأدوات المنزلية حتى جمع مبلغاً من المال، فاستأجر محلاً في منطقة "أوتيل ديو" وتشارك مع قريبٍ له. وأخذ عملهما ينمو شيئاً فشيئاً إلى أن استأجر محلاً ثانياً لبيع المفروشات والسجاد، ثمّ ما لبث أن انفصل عن شريكه ليصبح مستقلاً حراً في عمله، كيف لا وهو يعشق الحرية

منذ صغره. وهكذا طوّر عمله وترك بيع الأدوات المنزلية وحصر عمله في بيع المفروشات والسجاد وأخذ نجم أعماله يسطع وحجم تجارته ينمو بسرعة، ليصبح مشهوراً في منطقته بين كافّة معارفه وذلك لأسلوبه الرائع في المعاملة التجارية ولتفانيه في أعماله وسعة نشاطه، فهذه الأمور جعلته يسيطر على سوق المفروشات في منطقته وقتها، إلى أن أسّس عدّة محلات ومستودعات هناك في منطقة أوتيل ديو، لكن عصفت بالبلاد الحرب الأهلية المشؤومة فاضطر لأن يترك محلاته مرغماً دون أن يُخرج منها شيئاً، وبالكاد نجا بنفسه فذهب المال ورأس المال ومعه الديون الكثيرة، حيث لا يزال إلى اليوم يحتفظ بدفاتر ديونه وإنما للذكرى. رغم كلّ ذلك لم يرضخ لليأس، وكيف له أن يتراجع وهو المقدام الجسور صاحب الهمّة والتخطيط السليم. فعاد وانتفض من جديدٍ كطائر الفينيق وهو القائل دائما لأولاده: "يا بني إياك أن تدع النكسات تثبط عزيمتك، إياك أن تترك أيّ أمر يشلّ ذكاءك يكبّل يديك أو يدمّر معنوياتك، اذهب في الأرض أينما شئت، لا للسيطرة بل للخدمة، لا للاستغلال بل للإفادة". وهكذا نرى أن أحداث الحرب الأهلية لم تهجّره فقط من محله بل هجّرته أيضاً من منزله حيث كان هذا المنزل معرضاً للقصف والقنص باستمرار نظراً لوقوعه على خطوط التماس، فرجع إلى مسقط رأسه ميس الجيل، وهناك بدأ من جديد وأخذ يتاجر بالأدوات المنزلية يبيعها صيفاً وبالسجاد يبيعه شتاءً، وذلك بواسطة كميون صغير يجول به على مدن وقرى البقاع والجبل والجنوب، إلى أن استطاع الوقوف على رجليه بعدما عاند الصعاب، هو صاحب الحلم الكبير الذي لا حدود له وهو الذي كان يردّد دائما بما معناه: "أيها الإنسان كن من الحالمين وليكن طموحك في علوّ السحاب في الوقت ذاته، لا تترك أرض الواقع كن حالماً لكن لا تفقد الواقعية ولا تخف من المجازفة ولا من الفشل، إذا فشلت فحوّل هذا الفشل قوّةً جديدةً لك، لأن الحياة ليست سباقاً إلى القمّة، بل هي عملية اكتشاف مستمرّ وحوار لا ينتهي، والنجاح الذاتي يتوقّف على مقدرة متابعة ظروف حياته في وجه التحدّيات وتبدّلاتها غير المتناهية".

وهكذا عاد قبلان وتطوّر بسرعة وانتقل من بيع السجاد بالمفرق إلى بيعه بالجملة، وقد تعاون مع أكبر تجّار السجاد في ذلك الوقت، الذين وجدوا فيه قمّة النشاط وأخلص الصدق في العمل والأمانة، فأمدّوه بكلّ ما يطلب من السجاد دون قيد أو شرط، فالمهم أن يدفع لهم حسابهم ويسوّق لهم بضاعتهم، وهكذا انطلق كالسهم متقدّماً إلى الأمام في تجارته وأخذ يشبع طموحه ويحقّق آماله الواسعة شيئاً فشيئاً، إلى أن استأجر محلاً ومستودعاً في منطقة خندق الغميق وانطلق انطلاقته الكبرى في تجارة السجاد بالجملة، فاستقدم عدداً من أبناء بلدته وأخذ يسلّمهم السجاد دون مقابل ليبيعوه وبعدها يدفعون له الثمن. وهكذا شيئاً فشيئاً أصبح من كبار تجّار السجاد بالجملة، كلّ ذلك

بفضل صلابة الإرادة وكبرياء التحدّي وعنفوان الوجود.

هذا هو الحاج محمود قبلان وهكذا أخذ يرتفع تجارياً دون أن يترفع على أحد وأخذ يتقدّم دون أن يدوس من هم دونه أو يحسد من هم فوقه، فطموحه الجامح وإرادته التي لا تلين ولّدتا عنده ظمأ لا يرتوي نحو العمل النافع والتطوّر المستمرّ، مما دفعه إلى التفكير بالاستيراد من الخارج. وهكذا راح يسافر إلى بلاد المنشأ لسنوات عديدة ولا يترك معرضاً يتعلّق بالسجاد وتجارته إلا وزاره، فسافر إلى بلجيكا وألمانيا والصين، ثم بلاد التشيك حيث أعجب أصحاب أحد المصانع بخبرته الصناعية بالسجاد وبفنون أساليبه التجارية في تصريف الإنتاج، فمنحوه شهادة تقدير وافتخار ولقب دكتوراه فخرية في عالم صناعة السجاد.

وكرّت سُبحةِ المحلات عنده وتشعّبت الفروع وكثرت لتشمل الغازية، حيث فتح فيه الفرع الثاني ثم أتبعه بفرع ثالث في البقاع ورابع في خلدة وخامس في الضاحية في منطقة المشرفية وسادس في صور في منطقة جلّ البحر وهلّم جراً... حتى سبق اسمه شهرته في عالم السجاد وأصبح أشهر من نار على علم، وهكذا ركّز أولاده جميعاً في فروعه المتعدّدة وأمَّن لهم كلّ وسائل الراحة في العمل، وبعدها أخذ التعاون مع الأولاد ينمو وازدهرت التجارة لينتقلوا إلى مجال جديد في العمل، فطرقوا باب تجارة العقارات وكان ذلك في أواسط التسعينيات. فبفضل ذكاء الحاج محمود قبلان وتخطيطه السليم وسيره على الطريق المستقيم استطاع أن يبرع في هذا المضمار ويشيد عدّة بنايات في منطقة البسطا التحتا جاعلاً المساحات السفلى لهذه البنايات صالات عرض للسجاد تُعتبر الأولى في بيروت، وإذ به في كلّ ميدان له صولات وجولات.

وأما إذا تركنا التجارة ومتشعباتها لننتقل إلى حياة الحاج محمود قبلان الاجتماعية فهو قمّة في الأخلاق العالية والمزايا الحسنة والصفات الحميدة، لذا تراه الغيور على أبناء بلدته ووطنه في كلّ شدّة، تراه في المقدمة في كلّ عمل خير ومصلحة للعامة ويكون السَّبّاق حتى أصبح فعل الخير ملازماً لأعماله التجارية، كيف لا وهو يقول بما معناه: "عندما ترى المجتمع بائساً ينتقل إليك البؤس من دون أن تدري وعندما تخدم الآخرين يلامس الفرح حياتك، لذا اعمل جاهداً على مساعدة المحتاجين والمعوزين"، إضافة إلى تشغيل عددٍ كبيرٍ من الموظّفين والعمّال في مؤسّساته الواسعة.

أما إذا انتقلنا إلى الحياة الأُسرية فهو الأب المثالي العادل الموجّه المرشد المهذّب الحازم وقت الحزم واللين حين العطف والحنان، فما وجدت أباً عادلاً ولا ساهراً يذود عن عياله بمثل حجمه،

حيث أخذ يغدق على أولاده من النصح ما يرسم لهم طريق السلوك الصحيح الذي يجنّبهم المزالق المهلكة والمواقف المحرجة.

صحيح أن ظروف عيشه لم تسمح له أن يتعلّم في المدارس والجامعات، لكن قوّة عزيمته جعلته يتخطّى المدارس ويتفوّق في أمهاتها أي في الحياة، فأعطى أحسن العطاء وكلل نجاحه بنتائج مبهرة معوّضاً في أبنائه ما فاته في نفسه، سواء في العلم حيث بدأهم في علم الهندسة ونهاهم بإجازة التجارة والمحاسبة وبين كليهما من تعملقوا في فنون التجارة والإنماء ومعهم من ساهمت في التدريس والتمريض والصيدلة. أو في حقل التربية حيث التوجيه السليم وقد ساعدته في ذلك زوجة صالحة عملاقة في التربية، فهي جبل يرتفع بقمم الصبر وأسطورة القداسة صاحبة قلب معطاء ينبض بأصفى المشاعر نحو الأولاد والأحفاد...

وهذا غيض من فيض لسيرة حياة الحاج محمود قبلان والتي جاءت بشكل موجز لأهم محطات جهاده التي تعني تعب الماضي الأليم.

كيف لا وشعاره في هذه الحياة بما معناه: "الحاجة إلى العمل هي الحاجة إلى الحياة فبالعمل تنتصر على الضجر واللحظة الأصعب هي اللحظة التي لا أعمل فيها أي لا أعيشها".. وقوله أيضاً بما معناه: "كلما ازددت توغّلاً في التجارة وتجارب الحياة تبيّن لي كم هي زهيدة معرفتي بها".

ونصيحته لشباب اليوم قوله: "يا بني اعلم أن الماضي تحدٍّ لك فتعلّم منه، والحاضر ملكك فحسّنه، والمستقبل لك فاصنعه، والمعرفة أمامك متوافرة فاستعملها، التسامح لك مارسه، الحرية لك دافع عنها، الإيمان بالكرامة الإنسانية هو إيمانك فاحترمه".. ثمّ إنه يشدّد على متابعة العلم والتقدّم حيث إن العقل يتنامى مع كلّ فكرة جديدة والذكاء لا يتوقّف عن التوسع. وقديماً كانت الثروات تُقاس بالذهب أما اليوم فهي تُقاس بمقدار ما نعرف لذا فعليك أيّها الإنسان أن تبقى يقظاً ولا تتوقّف عن اكتساب المعرفة والعلم، فالعلم هو خيوط النور التي تربط المخلوق بخالقه لذا عليك التمسك بهذه الخيوط.

وأخيراً نصيحته لكلّ شباب اليوم: أيها الإنسان عليك بتقوى الله فمن اتّقى الله وقاه ومن اتّكل عليه كفاه ومن شكر له زاده ومن اقترضه جزاه، فاجعل التقوى عمارة قلبك وجلاء بصرك، عليك بالابتعاد عن المحرمات والعمل بالمعروف والنهي عن المنكر...

أيّها الإنسان أَلِن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك وعليك بالابتعاد عن المادية الجوفاء والأنانية الرعناء.. ودعاؤه الأخير ربّي كلما زدتني القليل القليل من المعرفة زدني الكثير الكثير من التواضع، ربّي كلما منحتني يوماً أحياه امنحني يوم توبة أعيشه..
وخير الختام آية من القرآن الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

{وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا علىالإثم والعدوان}

صدق الله العظيم

بصمات على دروب النجاح

الأستاذ سيّد الحريري

ليس المهمّ أن نتغنّى بحبّنا لوطننا، بل المهمّ أن نترجم حبّنا له عملاً على الأرض يعود بالنفع عليه وعلينا..

وكم من اللبنانيين فضّلوا العودة إلى وطنهم على الرّغم من اتساع أعمالهم في بلاد المهجر، حتى يسهم كلّ في مجاله، في نهضة هذا الوطن..

الأستاذ سيّد الحريري مثال للإنسان

العصامي والمكافح، رسم ملامح طريقه في الحياة منذ الصِّغر.. فهو من عائلة متوسّطة الحال تعمل في الزراعة.. تابع دروسه الابتدائية والمتوسطة والثانوية في مدرسة الفنون الإنجيلية في صيدا، التحق بعدها بالجامعة الأميركية في بيروت حيث تخرج منها عام 1972 حاصلاً على إجازة ليسانس في الكيمياء..

ويتذكّر الأستاذ الحريري تلك المرحلة فيقول: "كنت الثالث بين إخوتي العشرة والأقرب إلى والدي، ولذلك كنت أشعر بمرارة عمله وكدّه..

قد بدأت دراستي في الجامعة الأميركية على أساس أنني سأختار الطبّ اختصاصاً، ولكنني وفي السنة الجامعية الثانية شعرت بأن العبء كان كبيراً على الوالد. ففضّلت أن أضحي وأخرج إلى مجال العمل لأساعده كي يتمكّن من توفير التحصيل العلمي لإخوتي. وهكذا اختصرت طموحي بأربع سنوات في اختصاص الكيمياء بدلاً من خمس عشرة سنة في الطب. وأفسحت في المجال أمام أشقائي، واستمرّيت بدعمهم حتى بعد وفاة والدنا في العام 1977..".

وهكذا، بدا الأستاذ الحريري حياته العملية من على مقاعد الدراسة الجامعية، فتنقل في العمل بين مصانع "غندور" في الشويفات، "البيبسي كولا" في الحازمية، وفي مصانع أخرى خارج لبنان "في سوريا والسنغال"، مما أتاح له وخلال خمس سنوات، خبرة كافية في مجال العمل الصناعي. وفكرة

عن فرص العمل في المصانع اللبنانية وطبيعة المعاناة فيها.. إلى أن جاء الرئيس رفيق الحريري الذي كان يبدي اهتماماً كبيراً بدعم الصناعة في لبنان..

ويقول الأستاذ الحريري في ذلك: "توافقت مع الرئيس رفيق الحريري آنذاك على إنشاء مصنع في شرقي صيدا، واختيارنا لهذه المنطقة كان لأننا منها وكوننا أردنا خلق فرص عمل لليدّ العاملة الموجودة في تلك المنطقة، فاعتمدنا كلّ الوسائل اللازمة لتجنّب الوقوع في المعاناة الموجودة في بقيّة المصانع. وكان أن أسَّسنا مصنعاً لحياكة الأنسجة الذي كان الوحيد في منطقة الشرق الأوسط، لنبدأ بالإنتاج الجزئي في العام 1980 معتمدين كلّ الوسائل والمعدّات الحديثة لإنجاح هذا النوع من الصناعات، وعلى الرّغم من الظروف الأمنيّة التي شهدتها المنطقة فيما بعد..

ويحدّد الأستاذ الحريري الأسباب التي استوجبت إنشاء هذا المصنع بعدّة أمورٍ منها: أنه لم يفكّر يوماً بترك البلد والمنطقة، خاصة مع وجود شعبٍ طيّبٍ ومتعاونٍ ومع وجود إمكانيةٍ للنهوض بالمنطقة مع كلّ المخلصين والطيّبين العاملين فيها.. وكذلك المعاناة التي كانت تعيشها المصانع في لبنان والمنطقة.

ويقول الأستاذ الحريري: "بعدما أصبحنا أرباب عمل، اتخذنا كلّ الإجراءات القانونية واتّبعنا قانون العمل اللبناني بحذافيره، وأعطينا كلّ ذي حقٍّ حقّه.

ولأن هذا النوع من الصناعات يتطلب الخبرة، فقد عمدنا منذ إنشاء المصنع إلى تدريب الموظفين على أيدي أخصائيين ألمان في لبنان وألمانيا، وكان معظم المتدرّبين من خرّيجي المدرسة المهنية في صيدا..".

ويعتبر الأستاذ سيّد الحريري أن الصناعة قطاع مهم جداً في لبنان، ويرى بوجوب دعمه إلى أقصى حدّ، لأن لبنان بحاجة إلى العامل المهني أكثر من حاجته للباحث.

ويقول في ذلك: "العمل الصناعي في منطقة الجنوب فعل صمودٍ ومقاومة. والذي ينشئ مصنعاً في الجنوب يكون لديه حسٌّ وطنيٌّ لأنه قرّر أن يكون منتجاً في أرضه وبلده ومنطقته على الرّغم من عدم الاستقرار الأمني الذي تشهده هذه المنطقة بفعل الاحتلال والاعتداءات الإسرائيلية..".

وينصح الأستاذ الحريري الشباب اللبناني بمتابعة تحصيلهم العلمي إلى الحدود التي تسمح لهم بإيجاد فرص عمل في لبنان. وهو يعتبر أنه مهما طال الزمن، لا بدّ أن يستوعب لبنان جميع سكانه ولا يبقى ذلك البلد المصدّر لطاقاته وشبابه، وأن تتوافر فرص العمل الكافية لهؤلاء الشباب المتعلمين، وضمن نطاق المهن التي يحتاجها البلد.

كما أنه يشجّع المغتربين على العودة إلى وطنهم، ويرى أن لبنان فيه الكثير من المميزات التي تفتقر إليها بلدان أخرى..

أما عوامل النجاح فيحددها الأستاذ الحريري بـ"الطموح والصبر على المصاعب".

ويقول: "بالصّبر وحده، بإمكان الإنسان أن ينال ما يريد والمتابعة حتى الوصول إلى النجاح..".

بصمات على دروب النجاح

السيد محمد حسين قبلان

بسم الله الرحمن الرحيم

{وقضى ربُّك ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحساناً، إمّا يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً} صدق الله العظيم

انطلاقاً من إيمانه بمعاني هذه الآية ومن قناعته بأن رضى الله هو من رضى الوالدين شقّ الحاج محمد حسين قبلان طريقه منذ نشأته في بلدته ميس الجبل.

عملاقٌ في الجدّ والنشاط هو هذا الرجل العصامي الذي بنى نفسه بنفسه حين فقد والده وهو في السنة الثالثة من عمره فتكفلته والدته وكانت من الأبرار الأتقياء. علّمته وأخواته عزّة النفس وزهد الحياة فعانى مرارة اليتم وذاق علقم الحرمان لكنه داوى اليأس بالإيمان وتعلّم الشفقة من اليتم والحرمان. تراكم الألم في سيرة ذاك الإنسان... أفليست الأشياء الجميلة تولد من الألم ومن الوجع؟؟؟.. إذ من الخطيئة جاء أحفاد آدم ومن الطوفان جاء نوح ومن الألم جاء أيوب ومن التيه جاء موسى، ومن عبودية المرأة جاء عيسى ومن الأمّية جاء محمد r...

إذاً معصارة الأمم هي التفوّق ولا متفوق أو عظيم في التاريخ إلا عبر تجارب الحزن المريرة والقاسية ولا مبدع إلا وشرب من الحزن حتى الثمالة.

والحاج محمد قبلان جبل يرتفع بقمم الصبر، حيث عذاب الحياة علّمه كيف يجتاز المسافات بين الأشكال والأحجام، عذاب الحياة علّمه الشجاعة فجعله يعانق الحياة ويخوض غمارها بحماسة واندفاع لتحقيق أهدافه النبيلة، وحبّه لهذه الحياة هو الأمل الكبير، والطموح المتدفّق سرّ استمراره في العمل، فلئن أحبّ الحياة فلأنه أحبّ التفوّق فيها، أفليست بين مخالب التحدّي تنبت الشجاعة؟؟؟..

وقبل أن أبدأ بسرد حياته الكفاحية لا بدّ لي من أن أوضّح عناصر النجاح التي سلكها الحاج في درب عمله الشاق حيث وجد أن الإيمان بالله والحبّ للعمل هما أساس النجاح، ثم الحلم المقرون بالعمل هو الدليل إلى ذلك الفوز وبعدها الإرادة الصلبة والنمو والقيادة الحكيمة، فعلى هذا المنوال تابع الحاج محمد قبلان سيره متوكّلاً على الله عزّ وجلّ مؤمناً بحبّه للعمل واضعاً نصب عينيه حلماً طالما راوده منذ صغره، وهو أن يصبح رجلاً مهماً وفاعلاً في مجتمعه وكان دائماً يردّد بما معناه: "يؤلمني أن أرى أشخاصاً يقدّمون أنفسهم قرباناً للعمل والجدّ وآخرون يمضون حياتهم كأنما وجدت للتلف فقط"..

إذاً فكل صفات الجدّ والعمل المتواصل تجذّرت في همّة الحاج محمد قبلان فما عرفت مجاهداً وعاملاً نشيطاً مثله إذ هو قمة في العطاء وشعلة في الاندفاع، كلما تقدّمت به السن كلما جاد عملاً وأبدع بذلاً إذ الطموح شعاره والصدق في العمل منهاجه والرؤية البعيدة والبصيرة النافذة سرّ نجاحه، وعنده ليس ضرورياً لمن ينجح في عمله أن يكون ابن جاه أو وارث مال، بل من الضروري أن يؤمن الإنسان بأنه خلق ليعمل ويكون عمله ناجحاً في أيّ مجال يختاره. والحاج محمد قبلان سار على هذا المنوال وعُدّته الصدق والمحبّة للعمل إلى جانب رؤية بعيدة، وبصيرة حادة تستكشف الأشياء قبل حدوثها...

كانت أولى محطات عمله في فلسطين عام 1946 أي قبل النكبة يوم كان عمره 18 سنة، فكان يعمل مع الإنكليز بيومية قدرها 18 قرشاً انتقل بعدها إلى العمل في ميناء حيفا ليعود ومعه 1500 ليرة تمكّن من ادّخارها، بعدها ترك العمل في فلسطين وتوجّه إلى بيروت حيث مجالات العمل أوسع وأسهل فبدأ هناك يتاجر بالأدوات المنزلية بائعاً متجولاً يحمل البضاعة على ظهره ويكافح بعناد وصبر غير عابئ بمرارة العيش وثقل الحمل، حتى استطاع في العام 1950 أن يشارك أحد أقربائه ويستأجر محلاً لبيع الأدوات المنزلية في منطقة خندق الغميق، ثم استأجر داراً واسعة تحتوي على عددٍ من الغرف استعملها بمثابة فندق لأبناء بلدته إذ كانوا ينامون في هذه الدار مقابل أن يشتروا من عنده الأدوات المنزلية ويبيعونها في الأحياء المختلفة من العاصمة وفي سائر المدن اللبنانية، واستمر على هذه الحال مع شريكه نحو عشرين عاماً دون أن يتمكّن من ادّخار أيّ شيء. فما ينتجه كان يصرفه على عائلته الكبيرة المؤلفة من 14 شخصاً... لذا أثناء تشاركه مع قريبه جرّب حظّه مع

السفر، حيث أن مساحة الوطن لم تتّسع لطموحه فسافر إلى الكويت واشترى محلاً وفتحه مطعماً، ولكن بعد ثلاثة أشهر استملكت دولة الكويت الشارع والمحلات الموجودة في منطقة عمله فخاب أمله ورجع إلى بلده بخفّي حنين...

ثم إنه جرّب حظّه في زراعة التبغ في بلدته ميس لكن هل الزراعة ستلبّي حاجته وتشبع طموحه؟ لذا قرّر العودة إلى مدينة الشرائع بيروت ليفتح محلاً تجارياً بعدما انفصل عن قريبه ليستقل بعمله. وعندما فتح هذا المحل الجديد بدأ بأسلوب مختلف عن الأسلوب الذي عمل به مع قريبه، إذ كان يترك أحد أولاده في المحل ويذهب هو ليوزع البضاعة على المحلات في مختلف المدن اللبنانية ولا سيما مدينة طرابلس وكذلك البقاع إذ كان يصل النهار بالليل دون كللٍ أو تعبٍ متحملاً حرّ الصيف وقرّ الشتاء ومشقّة الطريق، همّه الوحيد الربح والتقدّم في العمل. وبعد فترة من العمل المضني والمتواصل ابتسم له الزمن وتحسّنت أوضاعه الاقتصادية فتمكّن من شراء محلين في البسطة التحتا وهكذا حقّق حلمة الأول واستطاع أن يجمع ثروة لا بأس بها دون أن يغترب. ثمّ إنه اضطر في هذه الفترة أن يختار اثنين من أولاده لمساعدته في العمل، بينما ترك الباقين يكملون علومهم حتى وصل أحدهم إلى درجة دكتور والآخر أصبح مهندساً ميكانيكياً، حقاً إن توكّله على الله ومثابرته وصبره في العمل إضافةً إلى جرأته وحبّه للمغامرة هذه العوامل مجتمعة هي التي أوصلته إلى هدفه المنشود.

وفي العام 1972 أصبح الحاج محمد قبلان وكيلاً لأحد المعامل التي تنتج البلاستيك وذلك لاتّساع أعماله في التوزيع ولشهرة نشاطه وتفوّقه في أعماله التجارية، فبعدما عمل فترة وكيلاً لذاك المعمل أخذ طموحه يدفعه إلى الأحسن وأخذت جرأته تجعله يتخطّى الصعاب، فقرّر أن يبني مصنعاً لا أن يبقى وكيلاً، رغم أنه لا يعرف شيئاً عن الصناعة. لكن قوّة الإرادة والشجاعة دفعته إلى المغامرة حيث سافر إلى إيطاليا ليشتري معدّات معمل للبلاستيك الجاهز، ورغم عدم حيازته المبلغ المطلوب لهذا المشروع الضخم إلا أنه بفضل نيّته الطيّبة وإيمانه المطلق بالله الميسّر تمكّن من الحصول على معدّات للمعمل عن طريق اعتماد من البنك وعاد إلى لبنان فباع بعض أملاكه ليشتري أرضاً للمعمل في مدينة الغازية وبالفعل اشترى الأرض وبنى المعمل (المشروع المعجزة) وقتها.

هنا تكمن قوّة الإرادة وروح المغامرة والجرأة اللامحدودة حيث من العدم بدأ وتحدّى الفقر وحطّم الحرمان ليبني صرحاً يخلّد اسمه عالياً مادياً ومعنوياً وكان ذلك سنة 1984 حيث استقدم خبيراً إيطالياً وأمّن له مسكناً، فقام هذا الخبير بتشغيل المعمل وبتعليم أبناء الحاج محمد قبلان كيفية العمل فيه.
في ذلك الوقت كان الاحتلال الإسرائيلي لا يزال موجوداً في منطقة صيدا ووقتها اضطر الحاج محمد قبلان لاستقدام ماكينات جديدة للمعمل فأُرغم على إدخالها عن طريق البحر عبر ميناء صيدا فكأنّي به يُظهر للاحتلال الإسرائيلي قمّة التحدّي ليثبت أننا صامدون في أرضنا وسنبني المصانع لدعم أهلنا في الجنوب مهما كانت النتائج فلا يهمّنا إن وقع العذاب علينا أم وقعنا على العذاب. وهكذا عاند الحاج الصعاب فذلّلها وهو يقول في ذلك لم أسمح يوماً لليأس أن يحول بيني وبين هدفي ما دمت حياً...

ومع إطلالة التسعينيات بدأ عمل الحاج محمد قبلان يتّسع فاشترى معملاً آخر حيث أصبح لكلّ اثنين من أولاده معملاً منفصلاً عن الآخر وأما ولداه الآخران فعملا في حقل التجارة في بيروت وهما من أوائل تجّار الأدوات المنزلية في العاصمة حيث أسّس شركة (كلتكو) ولم يكتفِ الحاج محمد قبلان بهذا الحدّ بل أكمل مسيرة البناء والتأسيس حين أشاد بناءً ضخماً في بلدة دير الزهراني وافتتح محلات تجارية مهمة راح يشرف عليها مباشرة مع طاقم من الموظفين والعمال.

وللجنوب في قلب الحاج قبلان حيّز كبير، فهو يعتبر نفسه صاحب واجب تجاه الجنوب وأهله حيث تراه يشجّع كلّ إنسان جنوبي ويحرص على مساعدته فلديه في مؤسّساته نحو 125 موظفاً وعاملاً يعيشون في الجنوب ويحبّون العمل والعيش فيه، والحاج قبلان من أشدّ المؤيدين للقطاع المهني وإنشاء المدارس في لبنان عامةً والجنوب خاصةً وكلّ من يرفد الصناعة بالقدرات والكفاءات، وشغله الشاغل "أن تعيش من أجل الآخرين حتى يصبح العالم أكثر إشراقاً ودفئاً وسعادةً وحتى تصبح الحياة مستحقة أن تعاش"، وشعاره "أن المرء الذي يمتلك كلّ ما في العالم ولا يعرف كيف يعطي هو امرؤ غير ثريّ"، وهو المؤمن بالله حقّ إيمان وبصلة القربى بالدرجة الأولى وبعدم قطع صلة الرحم، لذا تراه يصل من قطعه. فهو صاحب قلب كبير ما قَبِل الحقد يوماً ولا عرف السوء أو الشرّ لغيره لذا تراه جاهداً لإسعاد الغير ويردّد باستمرار: "أجمل اللحظات هي التي تُعد فيها إنساناً آخر وأجمل

الأوقات هي عندما تخلو إلى نفسك لتتذكّر من هم بحاجة إلى مساعدتك". ومن هذا المبدأ نظر حوله فوجد أقرباءه مشتّتين فأخذ بيد معظمهم وقدّم لهم العون المادي والمعنوي وكان بمثابة المرشد والأب الروحي لكلّ من قصده من الأهل والأقارب، إذ شارك بعضهم في عددٍ من المحلات ثم ما لبث أن أفسح المجال لهم لكي يطوّروا أعمالهم. ثم إنه مدّ آخرين بالبضاعة بعدما استأجر لهم المحلات حتى وضعهم على السكة، فمنهم من تقدّم وأصبح تاجراً كبيراً ومنافساً له، ومنهم من تخلّف ولم يحالفه الحظّ إذ إنه حاول مساعدة الأكثرية بكلّ طيبة خاطر وحسن نية.

ويرى الحاج محمد قبلان أنه بقي لديه أمانةٌ يريد أن يؤدّيها هي حقّ الله عليه وهي عبارة عن مشروع خيري يشمل نادياً حسينياً ومركزاً اجتماعياً وصحّياً وثقافياً لينذره عن روح أهله، وليساهم في نشر الوعي الاجتماعي والصحّي والثقافي في بلدته حيث لم يتسنَّ له أن يتعلّم كما يريد، لذا أراد أن يعوّض عن نفسه في أبناء بلدته ميس الغالية على قلبه. وقد اشترى قطعة الأرض التي سيشاد عليها هذا المشروع لكنه لا يزال متريّثاً في البناء ريثما تنجلي الأمور ويزول الاحتلال وترتاح بلدته الحبيبة ميس من هذا الكابوس الجاثم على صدور معظم أبنائها.

ونصيحته للشباب هي التالية: "أنت أيها الإنسان تتعلّم حقائق الحياة من خلال الخبرة وتبلغ النضج من خلال الممارسة والمثابرة فالتجربة هي أكثر طرق التعليم مباشرةً وتأثيراً فيما يجري في المجتمع، إذ التعليم في المدارس والكتب لا يكفي وحده، فأم المدارس هي الحياة التي تتلمذت فيها كلّ الشعوب والأمم".

حكمته التواضع ثم التواضع إذ يقول: "أيها الإنسان مهما طالت قامتك وقوي عنفوانك لن تبلغ السماء بيديك ومهما اتّسع منكبك وامتدّت سيطرتك لن تحتوي الأرض بذراعيك".

ونصيحته أن يكون الإنسان صاحب حلم دائم ومتطور حيث الأحلام هي القوّة التي تغيّر العالم وتصنع الإنسان، تحكم عمله وشخصه، والإنسان بلا حلم، بلا مشروع للمستقبل سفينة بلا مجذاف...

وهو يرى أن على جيل اليوم أن يضحّي من أجل المستقبل، فالطفل يقطف الفاكهة من شجرة غرسها جده له. ويقول: يجب على الأغنياء أن يشاركوا ويساعدوا من لا يملكون بدلاً من التباهي بالثروة. وهو يحبّ المنافسة ويتمنّى أن يكون في المقدمة من مبدأ، "أنت إن لم تكن في صدارة السباق فسوف تخسر". إذ ليس هناك غير ميدالية ذهبية واحدة، وعليك أن تجاهد بمشقّة أكثر حتى تظلّ على القمّة، وكلما عظمت مكانتك وجب عليك أن تكون أكثر تواضعاً. وحكمته الأخيرة: "عليك أن لا تعتبر أبداً نقودك أو ممتلكاتك مالك الخاص"، إن ما لديك خلال حياتك، فهو ليس لك، إنه شيء اؤتمنت عليه مما يعني مسؤولية رعايته واستخدامه الاستخدام الصحيح، لمصلحة مستحقّيه والابتعاد عن التبذير. فمالك هو رسالة تحملها في خدمة نفسك ومجتمعك ووطنك..

ويقول: حلمي أن يتذكّرني الناس كرجل أعمال محترم لأنني لا أود أن أكون معروفاً باعتباري ثرياً بل أودّ أن يتذكّرني الناس كمحترف بارز في مضماره، كشخص أنجز أعمالاً صناعية جبّارة. ورغم أنه أميٌّ يجهل الصناعة ومعدّاتها إلا أن جرأته وقوّة إرادته هما الأقوى والأصوب. وفي الختام مهما زها الزبد على ظهر الموج ما إن يبلغ رمل الشاطئ حتى تتلقّفه الحصى وتفرّقه تحت أقدام الرمل الرهيب الأعماق. أما اللؤلؤ في قعر البحر فيبقى مهما علاه موج وهبط ومهما أرغى موج وأزبد"...

بصمات على دروب النجاح

السيد محمد كنانة البساط

في رحلة العمر محطات كثيرة أبرزها محطة التحصيل العلمي والتكون المهني، ومحطة العمل والإنتاج، ومحطة تكوين الأسرة، ومحطة الخدمة العامة. هذه المحطات هي نوع من التصنيف الإجرائي بالطبع، لأن في الحياة تداخلاً بين مراحل التطوّر وأنواع النشاط، وتعقيداً في أساليب التكيّف، وكيفيات الإحساس والتفكير والتصرّف. وفيها أيضا

اتجاهات ومواقف منوّعة نلجأ إليها عند كلّ صعوبة، وأمام كلّ تحدٍ تحقيقاً للذات وحسن اندماجها في الجماعة.

تلك هي الفكرة التي يؤمن بها السيد محمد كنانة البساط "نائب رئيس غرفة التجارة والصناعة والزراعة في صيدا والجنوب"، وهو الذي عايش عقلياتٍ وظروفاً مختلفةً خلال مسيرة حياته.

فبعد الخروج من المدرسة، وفي أيام الإجازات والعطل، كان عليه أن يتدرّب على مهنة والده وهي صناعة الحلاوة والطحينة، وأن يوفّق في كلّ مراحل الدراسة، وحتى المرحلة الجامعية، بين العلم والعمل. ثمّ أدرك فيما بعد الحكمة من هذا التفوّق أو التزامن: لأنه كان المؤهّل الوحيد في العائلة وعلى كاهله سيقع عبء المسؤولية بالنسبة لاستمرار هذه الصناعة التي أدخلها الوالد إلى مدينة صيدا عام 1904، وبفضله انتشرت في جميع مناطق الجنوب والإقليم.

يقول السيد كنانة: عندما أستعيد هذه المرحلة اليوم أزداد إيماناً بأن الحياة ليست مجرّد حرف نتعلّمه أو كتاب نحمله، هي بالتأكيد أكثر من ذلك بكثير. وأهمّ درس أستخلصه من هذه المرحلة هو أن الشخصية الإنسانية تتكامل بالعلم والعمل والنشاط الترويحي المفيد، وأن النجاح ممكن في أكثر من مجال، وفي الوقت نفسه، شرط أن تتوافر الرغبة والإدارة والتوجيه والظروف المؤاتية.

ولا بدّ أن أسجّل هنا أمراً على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية هو أن مدرستنا، المقاصد، أمّنت لنا مناخاً جيداً ساعدنا على القيام بنشاطٍ يصبّ في القضية الوطنية ويسترشد أصلاً بأفكار ومثل عليا. وكم أتمنّى اليوم لشبابنا الالتفات إلى هذا الجانب من حياتنا لأن المستقبل والمصير مرتبطان به، ولأن ما يروّج أحياناً من بدع المحاكمة العمياء للموجات الخارجية لا يحمل إلا القشور، ولا يجعلنا

حقاً في مستوى التحدّي الذي يطرحه تقدّم هذا العصر القادم.

المحطّة الثانية في حياة محمد كنانة البساط هي المحطّة المهنية، والاضطلاع بمسؤولية العمل والإنتاج، والسعي إلى مواكبة التطوّر، والارتقاء إلى مستوى أفضل في الأداء والإنجاز.

التحدّي الأول والصعب الذي واجهه هو تحمّل المسؤولية باكراً ومنفرداً بعد وفاة والده. فكان عليه أن يملأ فراغاً كبيراً: جانب منه يتعلّق بغياب الرجل المسؤول، المؤسس، وصاحب المركز الاجتماعي أيضا نظراً لكون كنانة الابن نائباً لرئيس غرفة التجارة والصناعة مدّة طويلة من الزمن. وجانب آخر يتعلّق بالقدرة على الإمساك بزمام المؤسّسة مع ما يتطلّبه ذلك من أساليب الإدارة، والضبط المالي، والإتقان المهني والصناعي، والتعامل البشري مع العمال والزبائن. وكان ثمن اكتساب الجدارة والخبرة باهظاً نوعاً ما. فكان عليه أن يبذل جهداً متواصلاً أقلّه المواظبة على العمل من الساعة الخامسة صباحاً وحتى الخامسة مساءً بدون انقطاع كلّ يوم. لا راحة، ولا إجازات، ولا أعياد، طيلة خمس عشرة سنةً متتالية. وهذا النمط من الحياة قلّما يقبله شاب في مقتبل العمر همّه أن يعيش حياته كأقرانه.

أما التحدّي الآخر فيكمن في التمكّن ثمّ القدرة على التوسّع والانتشار، أي الإحاطة بكلّ تفاصيل المهنة واكتشاف الإمكانيات والوسائل التي يمكن استثمارها لتطوير العمل والإنتاج والتسويق، والناحية النوعية التي تؤهّل الصناعي كي يدخل الأسواق بقدرة تنافسية مناسبة.

وهكذا من مؤسّسة صغيرة نشأت وترسّخت في مدخل صيدا القديمة إلى معمل حديث، كبير، يقع في منطقة الغازية (الصناعية) لم يكن التحوّل تعبيراً عن توسّع في المساحة، وزيادة في الآلات وقوّة العمل، بل كان تعبيراً عن هاجس التطوّر بأفق التصدير الخارجي، هذا التصدير الذي انطلق أولاً إلى السعودية ودول الخليج ثم إلى أميركا وكندا وعددٍ من الدول الأوروبية.

يرى السيد كنانة أن التركيز على النوعية ينبع من نظرتنا إلى المستقبل وما سيحمله من تطورات. هذا استباق لاستحقاق قادم سواء تجلّى في قيام السوق العربية المشتركة، أم في اتساع تطبيق الاتفاقات الملحوظة في منظمة التجارة الدولية.

ويقول: إن التوظيفات والجهود المبذولة لتحقيق التطوّر الصناعي في حياة المؤسّسة قد أعطت ثماراً طيّبة، حيث حازت على شهادات تقديرية كثيرة. منها جائزة التفوّق العربية لأحسن إنتاج

في لبنان والعالم العربي جنيف 1988 وجائزة التقدير الأميركية نيويورك 1989، مما سمح لنا بأن نُختار عضواً في جمعية رجال الأعمال الدولية. كذلك نالت معاملنا درع الريادة من جمعية الصناعيين اللبنانية لمرور 94 سنة على تأسيسها. كما اختيرت من ضمن أكبر مئة مصدّر للإنتاج اللبناني للخارج (مجلة سيرش المتخصّصة).

ويشير إلى أن الحياة المهنية علّمته الصبر وتحمّل المصاعب لبلوغ الغاية المرجوّة، وأن المشروع الاقتصادي بدأ بالتفاصيل والمسائل الصغيرة قبل الكبيرة. ومن شروط نجاحه المتابعة المستمرّة، والحرص على جودة الإنتاج، والحفاظ على الاسم والسمعة الذين هما بحدّ ذاتهما رأس مال لا يُقدَّر بثمن.

أما اهتمامه بالعمل الاجتماعي والرياضي فبدأ إبان التحصيل المدرسي ولم يفارقه بعد دخوله معترك الحياة، فقد كان أحد مؤسّسي النادي المعنى الرياضي كما وأنه كان طيلة عشرين سنةً مسؤولاً إدارياً ومالياً في نادي الرابطة الثقافي الرياضي الذي ضمّ نخبةً من مثقّفي ورجالات صيدا عند تأسيسه.

ومنذ عام 1967 وحتى اليوم ما زال البساط يشغل منصب نائب الرئيس في غرفة التجارة والصناعة والزراعة في صيدا والجنوب. ومنذ عام 1979 وحتى العام 1998 عضواً في المجلس البلدي لمدينة صيدا.

وبحكم وجوده في هذه المؤسّسات جميعاً تعلّم الكثير. فتعاطى الشأن العام، خصوصاً أثناء الحرب، بحكم مشاركة المجلس البلدي في الشؤون المحلّية التي كانت تطرح نفسها على المواطن الصيداوي، أو تلك التي فرضت نفسها أثناء الاحتلال بحكم أن البلدية كانت المؤسّسة الوحيدة المخوّلة من قبل فاعليات صيدا بالقيام بعملية التنسيق لتأمين الخدمات الحياتية وحلّ المشكلات الطارئة.

وأتاح له عمله في غرفة التجارة فرصة التعرّف على مختلف الأوضاع الاقتصادية المحلّية والوطنية والعربية والإسهام في بلورة مقترحات وحلول لكثير من المسائل.

ويقول السيد البساط: التصدّي للعمل العام لا يكتسب قيمته إلا من مواصفات ينبغي أن يتحلّى بها الإنسان يأتي في مقدّمتها الفعل الخلاق والتفاعل الإيجابي، والصدق والشفافية، والالتزام اليومي بموجبات العمل، والسعي لترك الأثر الطيّب عن طريق حسن التعامل والمواظبة على التطوّر وزيادة الفعالية المؤسّساتية.

بصمات على دروب النجاح

السيد عبد الرؤوف عز الدين

يقول المثل "فاقد الشيء لا يعطيه"، وهو مثل دقيق إلى حدٍّ ما.. غير أنه عندما نتحدّث عن بعض الأشخاص الناجحين الذين حقّقوا من لا شيء إنجازات هامة لهم ولمجتمعهم فإن العكس يصبح هو الصحيح..

إنهم جنوبيون كانت مناطقهم تفتقر لكلّ مقوّمات الاقتصاد والحياة العملية والإنتاج، فتمكّنوا

رغم الصعوبات والعقبات من أن يسهموا إلى حدٍّ كبيرٍ في تأمين هذه المقوّمات، في منطقة تتعرّض يومياً للاعتداءات من قبل عدو إسرائيلي محتل للأرض، ولا عجب في أن يكون عملهم فعل مقاومة..

و"عبد الرؤوف عز الدين" رئيس "تجمع صناعيي جبل عامل" واحد من هؤلاء المقاومين على جبهة الاقتصاد وفي خندق الصناعة.. سلاحه الإرادة والصبر وحبّ الأرض والوطن..

هو أحد أبناء "دير قانون النهر" ومقيم حالياً في "جناتا" القريبة منها..

بعد أن تنقل في الدراسة بين "معركة" في المرحلة الابتدائية و"صور" في المرحلتين التكميلية والثانوية، اختار عبد الرؤوف عز الدين دراسة علوم المحاسبة والتجارة ليدخل منها إلى ميدان العمل في القطاعين التجاري والصناعي، غير أنه هاجر بعد ذلك إلى أفريقيا وعلى مرحلتين: الأولى بين العامين 1960 و1967 والثانية بين العامين 1967 و1975 عاد بعدها إلى وطنه ليؤسّس مصنعاً في العاصمة بيروت، ولكن اندلاع الحرب اللبنانية والفرز الديمغرافي اضطره لترك العاصمة إلى الجنوب بعد أن أسّس شركة للاستيراد والتصدير مركزها بيروت، هذا إلى جانب

عمله في الصناعة. ولا زالت هذه الشركة قائمة حتى اليوم..

وبانتقاله إلى الجنوب، بدأ عز الدين التفكير بالوضع الصناعي فيه بعدما هرب الكثيرون بما تبقى من صناعاتهم..

وهو يتذكّر تلك الفترة فيقول: ".. فكّرنا بإيجاد هيكلية تجمعنا كصناعيين، فتنادينا لاجتماعات ولقاءات مكثّفة، إلى أن تمكّنا في العام 1988 من تأسيس "تجمع صناعيي جبل عامل" الذي كان لي شرف عضوية هيئته التأسيسية مع المرحوم مصطفى المقدم، حيث صمّمنا على تأسيس التجمع رغم الصعوبات والعقبات التي واجهتنا، ولكننا قطعنا مراحل كبيرة، في تمكّننا من التوصل إلى رفع مستوى التجمع بالحدّ الأدنى المطلوب، لأنه في ظلّ الوضع الذي كان سائداً، كانت هناك صعوبة في الانطلاق بشكل سليم..".

ولـ"عبد الرؤوف عز الدين" فهم خاص لرأس المال، فهو يرى أن شراء الأراضي وتحويلها إلى بساتين أو البناء عليها وتأجير المباني أو حتى العمل في مجال البناء، كلّ ذلك عقيم، وأن رأس المال الذي يستفيد منه كلّ الناس بمن فيهم صاحب المال، هو رأس المال الموظّف في الصناعة، وهو الأحقّ بالاستمرار والاهتمام..

ويقول عز الدين في ذلك: "الاقتصاد الوطني لا ينمو إلا بالزراعة أو الصناعة فهما عصب هذا الاقتصاد.. من هنا كان توجّهي نحو الصناعة، والعقبة الأولى التي واجهتني هي عدم توافر برنامج رسمي لدى الدولة لمساعدة القطاع الصناعي أو حتى التفكير بهذا الأمر.. لم يكن هناك سوى تصاريح ببناء مصانع.. الأمر الذي رتّب على عاتقي وعلى عاتق كلّ صناعي أعباء كبيرة..".

هذه الأعباء يحدّدها عز الدين بعدم توافر البنى التحتية للصناعة من كهرباء وطرقات، وكذلك انعدام الأمان والحوافز للعمل واليد الماهرة، حيث لم يكن أيٌّ من هذه العناصر مؤمّناً في الجنوب الذي يصفه عز الدين بـ"بساحة العذاب"..

هذا عدا عن الصعوبات التي واجهته مع زملائه الصناعيين في الجنوب حيث يقول: "كانت العقبات كثيرة، فرأس المال جبان، وأن تقدّم رأس المال ضخماً كأن تضع مليون دولار لتؤسّس مصنعاً فيما هذا المصنع معرضٌ في أيّة لحظة للقصف والاعتداء من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي، فهذا أمر يمكن أن يجعلك تفقد كلّ شيءٍ بين ساعة وأخرى.. يُضاف إلى ذلك عدم وجود ما يساعد في تنمية الصناعة وانعدام القروض والتسليفات الصناعية، وأيضاً بروز المضاربات على الصناعة..".

لكنه رغم ذلك كان يشعر بالارتياح النفسي بالنسبة لعمله في الجنوب فيقول: "كنت أحسّ بالارتياح النفسي بين أهلي، وأرى أنني إذا قلت بأن الوضع في البلد غير سليم وقال غيري الشيء نفسه، لن يُعمّر البلد، ففضّلت أن أكون القدوة وإن تعذّبت.. وفعلاً وجدت أن هناك من تحمّس مثلي وكاد، ولاقيت الروح نفسها عند أكثر الصناعيين الذين ساهموا في تأسيس التجمع.. فلتكن هناك مصاعب ومتاعب، لكن لنجد في الوقت نفسه نواة في منطقتنا وبالتالي نكون من الروّاد..".

ويرى عز الدين أن مشكلتنا الحالية تكمن في التعليم والتخصّص، حيث كان كلّ لبناني يحبّ أن يكون ابنه طبيباً أو مهندساً أو محامياً.. الأمر الذي خلق فائضاً في هذه الاختصاصات.. ويحدّد المشكلة بـ"التعليم المهني والتخصّصات التقنية" فيقول: "أدعو كلّ شاب لأن يُسخِّر طاقته في العمل بشرف وكرامة في وطنه، وأن يختار من العمل ما يفيده وما يساهم في بناء وطنه بشكل سليم.. فاليوم أيّ حرفي أو عامل صناعي أو ميكانيكي أو كهربائي يجني أكثر مما يجني الطبيب.. لذلك على الدولة أن تؤمّن أكبر عددٍ من المدارس المهنية في مختلف المناطق، وعلى الشباب أن يُقبلوا على المهن والحرف والأعمال الصناعية والتقنية من دون خجل، فنحن نفتقر إلى العاملين في هذه الحقول..".

ويشير عز الدين إلى أن الأسّس التي يُبنى عليها اقتصاد الوطن هي وجود صناعة متطوّرة وزراعة جيدة. بينما تأتي السياحة لديه في الدرجة الثالثة. وهو يعتبر أن المشكلة تكمن في سياسة الدولة

الاقتصادية، ويقول في ذلك أن على الدولة أن تنشئ مناطق صناعية في الجنوب وفي بقيّة المناطق وتؤمّن الكهرباء للصناعة وتُعفي المنتقلين من المدينة إلى الريف لتأسيس الأعمال من الضرائب، حتى تشجّع على إزالة أحزمة الفقر والبؤس وعلى تنمية الريف..".

ويعيد عز الدين سرّ استمرارية الصناعيين الجنوبيين وتمسّكهم بأرضهم إلى أنهم عاطفيون ومتعاطفون مع قضيتهم.. ويقول: "لدينا 160 مؤسّسة صناعية من الزهراني وحتى الشريط الحدودي، وهذه أعتبرها 1600 مقاتل لإسرائيل، لأنها من أهمّ مقوّمات صمود العائلات الجنوبية في بيوتها وأراضيها..".

ويؤمن عز الدين بأهمية أن يكون الإنسان واضحاً وصريحاً وبعيداً عن التعقيدات وأن يكون متمسّكاً بالمثل القائل "القناعة كنز لا يفنى"..

بصمات على دروب النجاح

السيد محمد سميح غدار

العمل الصناعي أحد وجوه الاقتصاد الوطني، وكلما توافرت لهذا العمل طاقات وكفاءات عالية، كلما أسهم في نهضة الاقتصاد وقوّته.

وللصناعة في الجنوب حكاية صمود ومقاومة، حيث دفع هذا القطاع ضريبة الصمود من مؤسّساته ومصانعه ومنتجاته.

ومَن أكثر مِن عضو غرفة التجارة

والصناعة والزراعة في صيدا والجنوب محمد سميح غدار، اضطلاعاً بهذا القطاع الذي بات جزءاً لا يتجزّأ من اهتماماته اليومية.

فهذا الصناعي الجنوبي الذي ولد في العاصمة بيروت، فضّل الأرض التي عاش فيها الآباء والأجداد (الغازية) للانطلاق منها في ميدان العمل، بعدما كان يعمل مع والده في ساحة البرج في تجارة المعدّات، وكان عملهما مركّزاً على مخلّفات الجيش البريطاني بشكل أساسي. وساعد محمد أباه كثيراً في هذا العمل نظراً لأنه كان يتقن عدّة لغات منها الفرنسية والإنكليزية والألمانية، فأصبح يمسك بعصب المصلحة وهو لم يبلغ عامه العشرين بعد.

ومع انتقاله إلى صيدا والغازية، بدأ غدار يعمل على جرافة ويشرف على معمل للحجارة. لكن كان لديه طموح كبير بأن يحقّق شيئاً.

وبالفعل تحسّنت حالته المادية مع مطلع الثمانينيات. إثر قيامه باستيراد مواد تموينية ومستلزمات بناء.

يقول غدار: "إن إيمان الإنسان بوطنه هو أساس نجاحه. والإنسان خارج وطنه ليس له قيمة، فكلٌّ منا عندما يخرج من محيطه، يفقد أشياء لا يمكن أن يعوّضها. من هنا كان إصراري على البقاء والعمل في وطني وفي أرضي، وحتى في أشدّ الظروف وأقساها"..

وانطلاقاً من هذه القناعة بدأت أعمال محمد سميح غدار تتسع فأنشأ مصنعاً لتجميع المولّدات

الكهربائية، إضافةً إلى اتّجاره بآلات أخرى. وهو حالياً يعمل على توسيع هذا المصنع.

ويؤمن غدار بالحكمة القائلة: "أرد لغيرك ما تريد لنفسك". ويرى أن على الإنسان أن يصدق مع الناس ولا يغشّهم، وأن يأخذ العبر ممن سبقوه لأن المال الحرام يذهب هو وأهله.

ويقول: "الخبرة كانت من الأمور التي ساعدتني في عملي، لأنني عملت في سن مبكرة. فلكلّ إنسان طاقة عليه أن يوظّفها في عمل ما، وأن يخلص في هذا العمل. فكان طموحي أن أحقّق مدخولاً لي ولعائلتي يضمن لنا مستقبلاً أفضل، والحمد لله تمكّنت من تحقيق هذا الهدف وربما أكثر منه".

ويرى غدار أن على الدولة أن تقوم بدراسات لحاجة الصناعيين والفنيين، وبتوجيه الطلاب نحو الأعمال التي تحتاجها السوق. وعن اقتصار مشاركته في الهيئات والجمعيات الاقتصادية والأهلية على غرفة التجارة والصناعة والزراعة. يقول: "المهم أن يعطي الإنسان ويعمل وينتج، وليس المهم أن يشارك في هيئات اجتماعية واقتصادية. فالوقت لا يتّسع لكلّ شيء".

ويشير إلى أن الوطن بحاجة لمن يعمل، لا لمن يشتّت طاقته في أكثر من مجال وأكثر من اتجاه.

بصمات على دروب النجاح

السيد يوسف فردون

عندما يتعلّق الأمر بعمل فردي يقوم به الإنسان خدمةً للناس والمجتمع، فإن التجاوب مع هذا العمل من قبل عامة الناس مرهون بمدى نجاحه. وبمعنى آخر، من شأن أيّة مبادرة فردية أن تشكّل نواةً لعمل جماعي ناجح يعود بالفائدة على المجتمع والوطن.

والسيد يوسف فردون تمكّن انطلاقاً من هذه

القناعة من أن يؤسّس لعملية تكافل اجتماعي في مدينته صور منذ خرج إلى ميدان العمل في الخمسينيات.

فمن حي الحسينية في صور إلى محلات والده في أسواق المدينة، كانت الانطلاقة العملية الأولى له، في وقت كانت فيه التجارة في صور تعتمد على القرى المحيطة بالمدينة والمناطق القريبة منها، لا سيما مناطق الداخل الجنوبي والتي سُمّيت فيما بعد منطقة الشريط الحدودي بعد احتلال العدو الصهيوني لها.

ولأن الجنوب لم يكن مشمولاً بالمشاريع الإنمائية والخدماتية ويعاني حرماناً مزمناً، ولأن القطاع التجاري كان يعتمد بالدرجة الأولى على التجمعات السكنية والسكانية، كان لا بدّ من العمل على تأسيس هيئة تطالب بحقوق التجّار وتعمل على توعيتهم.

وفي هذا الإطار يشير السيد فردون إلى أنه أسّس مع عددٍ من التجّار نواةً لتجمع تجّار صور تحت اسم "جمعية تجّار الأقمشة والأحذية والنوفوتيه" في أوائل الستينيات.

ويقول: "لقد ساعدنا على هذا الأمر وجود سماحة الإمام المغيّب السيد موسى الصدر بيننا، إذ كان يشجّعنا على العمل ويلقي المحاضرات التي تعزّز دور التاجر والربح الحلال عبر المهنة الشريفة البعيدة عن المفهوم السائد للجشع التجاري، مما زاد من شعورنا بالواجب تجاه المجتمع وحفّزنا على القيام بالأعمال الخيرية وترسيخ علاقات أفضل مع الأهالي والزبائن".

وهكذا، واصل السيد فردون نشاطه الاجتماعي والاقتصادي حتى بداية الثمانينيات، حيث كانت الأوضاع تمرّ بمرحلة صعبة نتيجة تعرّض المدينة للقصف من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي وتهجير عددٍ كبيرٍ من الأهالي.

ويقول: "كان دورنا توجيه التجّار وتوعيتهم للبقاء في أرضهم وعدم الإفساح في المجال أمام العدو لتفريغها. وكان قرارنا في تلك الأيام أن لا للإدارة المحلّية ونعم للشرعية اللبنانية التي كانت صامدةً معنا في مؤسّساتها، تساعدنا على الاستمرار".

وبعد إقامة قوات الاحتلال الإسرائيلي للشريط الحدودي المحتل وحرمانها تجّار صور من أسواق تصريف واسعة في تلك المنطقة، اضطر فردون مع غيره من تجّار المدينة، لأن يخفضوا أسعار بضائعهم والمضاربة حتى يجذبوا الزبائن.

ويقول في ذلك: "أمام الأسعار التي كنا نطرحها، كان التاجر في الشريط المحتل يخترق الحصار الإسرائيلي ويأتي إلى المدينة لشراء السلع وبيعها في منطقته. وهكذا تمكّنا من إقامة أقنية اتصال تجارية مع عددٍ كبيرٍ من تجّار المنطقة الحدودية، كانوا بمثابة وسيلة اتصال بيننا وبين المستهلك هناك".

وعن فترة الاجتياح الإسرائيلي عام 1982 يقول فردون: "في ذلك الوقت، دمّرت قوات الاحتلال كامل البنى التحتية للمدينة وحوّلت ديكورات محالنا إلى أطلال. وكان لدينا رخصة باسم جمعية تجّار صور وضواحيها، فتحرّكنا من خلالها وأصدرنا القرار الهام والذي اختصره قول الإمام الصدر "التعامل مع إسرائيل حرام"، وحرّمنا على كلّ تاجر زيارة إسرائيل أو التعامل بسلع إسرائيلية وأصدرنا قراراً بطرد أيّ تاجر يقوم بذلك".

ويتذكّر فردون بكثير من الارتياح تعاونه وزملاءه التجّار مع مجلس الجنوب واتحاد غوث الأولاد ولجان الإغاثة في التعويض على التجّار وتأمين القروض الميسّرة لهم والتي تمَّ تسديدها في فترة قصيرة بفضل أموال المغتربين التي ساهمت إلى حدٍّ كبيرٍ في إعادة بناء ما هدّمه الاحتلال الإسرائيلي. ويقول: "لقد أثبتنا جدارة التاجر الصوري والجنوبي وتفوّقه في العمل والصمود رغم المعاناة، فكنا نتحمّل الخسائر الفادحة لقاء صمودنا في أرضنا".

ويدعو فردون كلّ تاجر لأن يعتمد في تجارته على الربح الحلال والحفاظ على رأسماله أرضاً وبضاعةً، وليس أرصدةً ماليةً في البنوك لأنه يرى أن التعويض الوحيد على التاجر في محنته هو الرأسمال المجمّد، لا سيما الأرض التي تحافظ على قيمتها ويزداد سعرها باستمرار.. كما يدعو التجار إلى الابتعاد عن السياسيين..

بصمات على دروب النجاح

السيد زهير قبلاوي

قد تختلف مقاييس النجاح بين إنسان وآخر، وبين عمل وآخر، لكن الثابت هو أن الوصول إلى النجاح دونه عقبات وصعوبات وإخفاقات تُشكِّل الحافز والدافع لهذا النجاح..

والحاج زهير قبلاوي المعروف بعصاميته وبعقليته المؤسساتية، انطلق من هذا المبدأ واستطاع أن يكوِّن لنفسه شخصيةً مميّزةً ومؤسسة متميِّزة وأعمالاً جمّةً في مجال الخدمة الاجتماعية والعامة.

فهذا الرجل الذي نشأ في بيئة متواضعة وفي عائلة صيداوية كانت تستند في معيشتها على عمل الوالد ليل نهار، في ظروف صعبة كانت تحيط بهذه العائلة المؤلفة من ستة أفراد.

ورغم أنه لم يتجاوز في دراسته المرحلة الابتدائية، إلا أن زهير الفتى كان أكبر من عمره، يعمل قبل الذهاب إلى المدرسة وبعد عودته منها، حيث كان يرافق والده في بيع الخضار.

غير أن طموحه كان تجنّب ما وقع فيه الوالد من ضائقة ووضع اجتماعيين، والبحث عن عمل أفضل يرتزق به وفي الوقت نفسه، يخدم به المجتمع لا سيما الفقراء الذين قضى أكثر أيام نشأته وشبابه معهم..

يقول الحاج قبلاوي: "بدأت كبائع خضارٍ متجوِّل، ثمَّ اتّخذتُ لي محلاً في سوق الخضار الكبير "الحسبة" وبدأ عملي يتّسع بشكل مكنني من إتاحة الفرصة أمام الشباب العاطل عن العمل، للعمل معي. فأنا كنت أعتبر أن عمل المؤسسات هو الذي يخدم المجتمع ويسد حاجات المواطنين لا سيما في تلك الفترة التي كانت فيها الدولة غائبة تماماً، وتحلّ محلّها قوى الأمر الواقع والفوضى التي كنت أرفضها".

ومع عودة الأمن والاستقرار إلى البلد، سارع الحاج قبلاوي إلى افتتاح مؤسسته الكبيرة التي تعتاش منها حالياً عشرات العائلات الصيداوية والجنوبية.

ويُسجَّل للحاج قبلاوي الدور الوطني المشرِّف الذي قام به إبان فترة الاحتلال الإسرائيلي حين

اعتُقل مع بعض رفاقه واقتيدوا إلى معتقل أنصار، حيث كان الناطق الرسمي باسم المعتقلين، وكان يحرِّضهم على قوات الاحتلال من خلال الدعوة للإضراب عن الطعام والانتفاضة ضد آمري المعتقل، فضلاً عن متابعة شؤون المعتقلين واحتياجاتهم.

أما العقبات التي واجهها فكثيرة كما يقول قبلاوي: "أثناء عملي في سوق الخضار، كنت أقضي معظم أوقاتي مع زملائي البائعين في الإضراب وأحياناً في السجن بسبب تجوّلنا بعربات الخضار، حيث لم يكن أمامي وقتها فرصة عمل أخرى. ولكن كان توكّلي دائماً على الله وتمسكي بالصبر والرضى بالربح القليل. فكنت أصمد أمام الفشل".

أول نجاح حققه الحاج زهير قبلاوي كان انتخابه رئيساً لنقابة بائعي الخضار بالجملة، واستمرّ شاغلاً هذا المنصب في وقت كانت فيه مؤسساته تتَّسع وتكبر، وحمله هذا العمل إضافةً إلى الخدمات الكثيرة التي قدَّمها للناس دون مقابل، إلى المجلس البلدي لمدينة صيدا عضواً فيه في العام 1998.

وثقته بالمجتمع وحبّه للناس دفعاه للاستمرار بالعطاء والمساهمة في حلِّ مشاكلهم، والانخراط في المؤسسات الاجتماعية التي تبني الانسان.

وينصح الحاج زهير الشباب بالكثير من التفكير والوعي وعدم الركون إلى اليأس والضياع.

وهو يؤمن بالحكمة القائلة "العاطي هو الله"، وبأن الله يعطي المرء بقدر ما يعطي هذا المرء الناس".

بصمات على دروب النجاح

السيد محمود سبيتي

قد تتشابه ظروف عيش البشر ونشأتهم، ولكن ما يميز إنساناً عن آخر، هو طريقة تفاعله مع ظروفه ومحيطه.

فالماضي هو أساس أيّة مرحلة يرتقيها الإنسان في حاضره. والحاضر هو الدافع لصنع المستقبل..

وعضو المجلس الإداري لغرفة التجارة

والصناعة والزراعة في صيدا والجنوب محمود سبيتي عرف كيف يتفاعل مع الظروف التي نشأ فيها يوم آمن بأن الحياة كفاح ونضال وتضحية وأن الإنسان الذي يثابر على عمله هو الذي يحصد النجاح والثروة.

فابن الجنوب الذي نشأ في عائلة فقيرة، وضع هذا الهدف نصب عينيه منذ بلغ سن الرابعة عشرة حين اضطر لترك المدرسة والعمل من أجل مساعدة أسرته، لكن حبّه للعلم جعله يعيد حساباته وينتقل إلى العاصمة بيروت فيعمل خلال النهار ويدرس خلال الليل، حتى نال شهادة البكالوريا في العام 1959.

المرحلة التالية في حياة محمود سبيتي كان الوظيفة، يوم بدأ العمل في إحدى الشركات كأمين مستودع، وأوصله حبّه لعمله ومناقبيته إلى منصب مدير في إحدى شركات الغاز في

الجنوب..

غير أنه استقال من وظيفته بعدما طُلب منه الانتقال إلى العمل في بيروت، لأنه كان مؤمناً بأن العمل الحرّ سواء أكان صغيراً أم كبيراً هو الذي يحقّق للإنسان ذاته وأحلامه، وأن هذا العمل يعطيك بقدر ما تعطيه.

وهو يقول في ذلك: "أنا مؤمن بأن العلم سلاح لا يُقهر، خاصة وأننا نعيش في عصر التطوّر، ونواجه عدواً شرساً يغتصب أرضنا ويسرق رزقنا، ونحن لا يمكننا الانتصار عليه إلا بالعلم والعمل المقرونين بالصبر".

وهكذا أعطى سبيتي عمله كلّ جهده وعرقه وتعبه، فأعطاه العمل النجاح والثروة، وتمكّن في فترة قياسية من تأسيس عمل اتّسع تدريجياً، فأغناه هو بعلاقات وإطلالة على العمل الاجتماعي والنقابي والاقتصادي.. فكان من أول المؤسّسين لجمعية التنمية الاجتماعية في النبطية، ولنقابة تجّار الغاز بالجملة ولنقابة موزّعي الأدوات المنزلية، كما ترأّس لسنوات الرابطة الخيرية لشباب كفرصير، بعد أن ساهم مع عددٍ من التجّار في تأسيس جمعية تجّار النبطية، وهو يشغل حالياً عضوية المجلس الإداري لغرفة التجارة والصناعة والزراعة في صيدا والجنوب.

يرى سبيتي أن النجاح ليس كلمة تُقال وإنما مثابرة على العمل فيقول: "كنت أعمل أربع عشرة ساعةً في اليوم، إضافة إلى تأمين خدمة الزبون حفاظاً على السمعة الطيّبة، والتنظيم الإداري في أيّ عمل أو مؤسّسة، وعدم الانجرار وراء الملذّات الفارغة. والأهم من كلّ ذلك أن يطبّق الإنسان قناعته في الحياة، وأنا قناعتي أن أبقى في أرضي في الجنوب، لأن البقاء فيه يعني الحياة، وكلّ الحروب التي تنشب بين الدول هي من أجل الأرض. فلهذا السبب أسّست عملي في الجنوب على الرغم من كلّ المخاطر المحدقة به والجمود الذي ينتج عن هذا الأمر".

وينصح سبيتي الشباب بالعمل دون ملل، ويقول لهم: "من لا يستطيع تعلّم الطب أو الهندسة أو المحاماة، فليتعلّم أيّة مهنة، لأن التعليم المهني يلبّي حاجة سوق العمل ويحقّق النجاح لا سيما في لبنان الذي أعتقد أنه سيتحوّل في المستقبل إلى بلد سياحي وخدماتي ومالي. وهكذا أمور لا تحتاج فقط إلى أدمغة وعقول، بل وأيضاً إلى عمال واختصاصيين ومهنيين إن كان على الصعيد الفندقي أو على صعيد أيّ قطاع آخر..".

ويرفض سبيتي فكرة الهجرة، متوجّهاً إلى جيل الشباب بالدعوة إلى البقاء في الأرض مهما كانت الصعوبات. وهو يرى أن قيم الأخلاق الموجودة في لبنان غير متوافرة في أيّة دولة في العالم.

ويولي سبيتي أهمية خاصة للعمل الاجتماعي الذي يرى فيه مجالاً لخدمة الناس والمجتمع فيقول: "أنا من مُحبّي العمل الاجتماعي الخيري. وقد تمكنا من خلال الرابطة التي أسّسناها في كفرصير من فتح طرق زراعية وتجهيز حديقة عامة في البلدة، وأترأس اليوم نادي الرسالة في كفرصير. آملين أن نتمكّن من تعميم هذا النموذج على جميع المناطق الجنوبية..".

محمود سبيتي وجه آخر من وجوه هذا الوطن الزاخر بالنشاط والإرادة والإيمان بالله والأرض..

بصمات على دروب النجاح

المهندس علي حسن همداني

لأن الوطن هو المحطّة الأولى والأخيرة من مسيرتنا في الحياة، فإن شعورنا تجاهه لا يمكن أن يترجمه كلام أو خطاب في الوطنية.

إنه جزءٌ منا، من تفكيرنا، ومن أحلامنا. ولا نكاد نغيب عنه عاماً أو عامين، حتى نعود محمولين على أجنحة الحنين، فكيف إذا كان كلّ مكان في هذا الوطن وطناً، وكيف إذا كان الوطن كالجنوب، وأهله كأهل الجنوب..

كلّ هذه الأمور كانت تختلج في صدر وعقل المهندس علي حسن همداني أحد مهندسي منطقة النبطية، تلك القلعة الصامدة اليوم ومنذ سنوات طويلة في وجه نيران العدو الإسرائيلي ومدافعه. فالاحتلال يقصف ويدمّر، وعلي مع غيره من المهندسين يرسمون المستقبل على خرائط الصمود ويبنون ويشيدون المساكن والشرايين التي تصل النبطية بباقي المناطق.

من النبطية كانت الانطلاقة نشأةً ودراسةً وشباباً، حيث بدأ حياته الدراسية في المدرسة الإنجيلية الوطنية، قبل أن ينتقل إلى مدارس صيدا ويعود مجدّداً إلى النبطية.

وطرق المهندس همداني أبواب السفر طلباً للعلم، فقصد الولايات المتحدة الأميركية لدراسة الهندسة، انتقل بعدها إلى المملكة العربية السعودية للعمل وعلى مدى ثلاث سنوات اكتسب خلالها خبرة عالية وعاد إلى أميركا ليتابع رسالة الماجستير في الهندسة.

في العام 1992 عاد همداني إلى لبنان في الوقت الذي كانت فيه إسرائيل تجتاحه للمرّة الثانية. فكانت عودته تحدّياً للاحتلال ولأنه كما يقول: "أرض من غير ناس لا تساوي وطنا".

ويتابع : "كان من الطبيعي أن أنهي دراستي وعملي وأعود إلى وطني لأشارك في بنائه".

ويقتدي همداني في عمله وفي حياته بسيرة والده الذي كافح كثيراً وبقي يعمل حتى وفاته وتمكّن من إعالة أسرة مكوّنة من تسعة أفراد.

وهكذا، بدأ همداني عملاً لافتاً في مجال البناء في منطقة النبطية على الرغم من الاحتلال الإسرائيلي وممارساته.

ويقول في ذلك: "كان عندي يومها 32 موظفاً من المدينة، أيّ إنني كنت أعيل 32 عائلةً، قمنا وعلى مدى عامين متواصلين بعدّة مشاريع لعامة الناس، واستمرّيت على هذه الحال إلى ما بعد انسحاب إسرائيل من المدينة ومنطقتها".

وبعد العام 1990، تحوّل المهندس همداني إلى العمل في مشاريع الطرقات، وصُنِّف مع مهندسي وزارة الأشغال العامة.

وككلّ مواطن لبناني عانى من سنوات الغربة، يرى المهندس همداني أن الغربة قاسية على الإنسان، فيقول: "على الرغم من العلاقات التي كوّنتها سواء في السعودية أم في أميركا، كنت أشعر بأني غريب وينتابني الحنين إلى وطني".

ويشير إلى أن العقبات التي واجهها كانت تتّصل بالدرجة الأولى بالسيولة المالية، وعدم توافر البنوك المستعدّة للتسليف، إضافةً إلى سيطرة بعض الشركات الكبرى على سوق المقاولات في لبنان، لكنه يرى أن الإنسان مهما تعب سيصل في النهاية، ويقول: "على الإنسان أن يكون مثابراً وقنوعاً،

ومؤمناً بربّه وبوطنه، وفي النهاية لا يصحّ إلا الصحيح".

ويرى همداني أن لبنان يعاني اليوم من ضائقة اقتصادية حيث يوجد الكثير من الأطباء والمهندسين والمحامين، لكن أكثر من نصفهم لا يعملون.

ويقول: "هذا لا يعني أن نستسلم ونرضخ للأمر الواقع، علينا أن نحاول ونبحث عن العمل. ولذا فإني أنصح كلّ شاب في مقتبل حياته بأن يبحث عن عمل مهني يتخصّص فيه ويدرس حاجة السوق المحلّي إلى هذا العمل قبل أن يمتهنه".

ويشدّد على ضرورة أن تعمد الدولة إلى تحسين وضع المدارس المهنية وتفعيل دورها وخاصة في الجنوب لأنها عامل صمود.

ويقول: "نأمل أن تنظر الدولة إلى الشباب، وتحسن توجيهه إلى القضايا التي تفيد الوطن، فنحن بحاجة إلى صروح مهنية وليس المهم أن ننال شهادات.. ومهمّة الدولة هي تأمين العمل للشباب".

بصمات على دروب النجاح

السيد حسين علي حسين خليفة

في قلب كلٍّ منا حيِّز يشغله حبّ الوطن، يتّسع أو يضيق بقدر تعلّقنا بوطننا. ولذا ترى الإنسان الذي يتغرّب عن وطنه، يبقى مشدوداً إليه مهما طالت سنوات الغربة، ليعود في النهاية إلى الأرض التي أحبّ..

هي قصة الكثير من المغتربين وأصحاب الأعمال الكبيرة الذين اندمجوا في الحياة الاقتصادية والعامة بعدما أسّسوا أعمالهم في الغربة أو كدّوا واجتهدوا لتأسيسها في وطنهم..

والحاج حسين علي حسين خليفة رجل أعمال وصاحب أكبر سوق تجاري في منطقة الزهراني، لم يكن تكوين الثروة همّه بقدر ما كان هذا الهمّ هو توظيف ثروته في ما يعود بالفائدة عليه وعلى منطقته ووطنه.. فهذا الجنوبي العصامي انطلق في الحياة بشهادة السيرتيفيكا، نظراً لظروف العائلة آنذاك ونظراً لكونه كبير إخوته والساعد الأيمن لوالده، في وقت كان لبنان يمرّ بأصعب مراحل حياته، والحرمان يكاد يشمل كلّ بلدة وقرية جنوبية كان ذلك في العام 1958، وقتها عمل حسين الابن مع والده وهو في سن الثامنة وكان واحداً من أصل 12 شقيقاً في بيت واحد، وهكذا كان العمل الأول في مجال بيع الخردوات حتى تحسّنت أوضاع العائلة قليلاً، ومنذ صغره، كان حسين خليفة فتى حالماً طموحاً، محباً للمغامرة والسفر، وهو لم يفوّت أيّة فرصة لتحقيق طموحه، وكان ذلك في العام 1974 حين سافر إلى دولة الكويت، وبعدها إلى المملكة العربية السعودية في العام 1977 حيث استمرّ يعمل فيها ولا زال حتى بعد عودته إلى لبنان بعد الانسحاب الإسرائيلي في العام 1985.

ويصف الحاج خليفة مرحلة عمله في السعودية بأنه كان يعيش في بلده ولا يشعر بأيّ تمييز في المعاملة.

ويقول: "كوّنت نفسي وبقيت في المملكة إلى أن كان العام 1982 فأرسلت وراء عائلتي لتعيش معي هناك، وعندما انسحبت إسرائيل إلى صور. عدنا ومن ثمّ عدت بشكل نهائي بعدما عاد الاستقرار إلى الوطن لأبدأ بمشروع مفيد. فالإنسان بعد عشرين سنة غربة يشعر بالحنين إلى وطنه وإلى الاستقرار النفسي".

وبالفعل حقّق خليفة طموحه، وبدأ بمشروع السوبر ماركت، فكان مشروعاً فريداً من نوعه، ولم يثنه عن هذا الأمر كلّ التحدّيات التي كان يواجهها الجنوب ولا يزال، لا سيما الاعتداءات الإسرائيلية من قصف وغارات فاستمرّ يواجه الصعاب مزوّداً بحبّه لأرضه ووطنه.

وهو يقول في ذلك: "إذا تخلّى الواحد منا عن وطنه في أقسى الظروف فكيف سيبني وطناً ومستقبلاً. فما يتعرّض له الجنوب من اعتداءات إسرائيلية، يعاني منه كلّ أبناء الجنوب وليس أنا وحدي، وأنا جزء من هذا الشعب ومن هذا الوطن وواجبي أن أصمد وأبقى مع أهلي وأبناء منطقتي، وتأسيسي لهذا المشروع في الجنوب هو بحدّ ذاته صمود ومقاومة من نوع آخر..".

وعن اختياره لهذا المشروع يقول خليفة أنه عايش مشاريع مماثلة خلال غربته وأعجبه الأمر، وأنه أراد من خلاله المساهمة في تحسين الوضع الاقتصادي في المنطقة.

ورغم أنه لم ينه كلَّ أعماله في الخارج، إلا أن الحاج حسين خليفة لديه ملء الثقة بالمجتمع اللبناني وبأن اللبنانيين قادرون على استعادة الثقة ببلدهم في مختلف المجالات.

ويقول: "بالنسبة لإبقائي على عملي في الخارج فهو تدبير احترازي في حال –لا سمح الله– تعرّض لبنان لأيّة هزّات..".

ولكن طموحاته لا تتوقّف عند الحدّ الذي وصل إليه ولذلك فهو يسعى لتوسيع أعماله والمشاريع التي يقوم بها في لبنان وفي الخارج، وإن كان يولي أهمية أكبر لأعماله في الخارج لتكون سنداً لمشاريعه في لبنان أو تعويضاً لأيّ عجز قد تتعرّض له أعماله هنا..

ويحبّذ خليفة فكرة سفر الشباب وهجرتهم ويرى في ذلك تجربة مفيدة لهم. فيقول: "كلّ شاب لديه طموحات وحبّ المغامرة والسفر وفي الوقت نفسه حبّ الوطن. وأنا أشجّع الشاب على الغربة لأنها مدرسة ثانية ومورد لجمع الثروة وفي النهاية يعود الشاب إلى وطنه ليبني ويؤسّس وينتج..".

وليس بالضرورة حسب رأي خليفة أن يتّجه جميع الشباب إلى التعليم والتخصّص في مهن معيّنة كالطب والهندسة والمحاماة. وهو يفضّل التوجه المهني الحرّ كالأعمال التجارية وإدارة الأعمال والأعمال الصناعية لأن لها نطاقاً واسعاً للتطوّر والإنتاج...

وللصبر عند خليفة مكانة عالية كسبيل للنجاح، حيث يقول: "عندما سافرت إلى السعودية مررت بظروف صعبة جداً، لكني لم أيأس وصبرت حتى انتهت المحنة. وأنا هنا أوجه نداءً إلى الشباب بأن لا ييأسوا من الحياة، وإذا ما فشلوا في مرحلة ما، عليهم أن يستمرّوا ويحاولوا مرّة ومرّتين وثلاثاً حتى يصيبوا الهدف..".

ويشجّع خليفة أيّ إنسان يرى فيه عناصر الطموح والنجاح والعزيمة. وهو مستعدٌّ كما يقول للقيام بأيّ مشروع مع الشباب المكافح ولإفادتهم من خبرته وتجاربه في الحياة ويقول: "دعوتي للشاب الجنوبي خاصة بأن يبقى صامداً ومؤمناً بربّه وبوطنه. وأن يغامر ويجرّب كلّ ما يعود بالنفع عليه وعلى وطنه طبعاً مع مراعاة كلّ ما أحلّه الله لنا وما حرّمه علينا، والسفر والمغامرة يمنحان صاحبهما القوّة والخبرة في الحياة والقدرة على المساعدة في تحسين اقتصاد هذا البلد..".

بصمات على دروب النجاح

السيد أسعد حجازي

النجاح مثلّث متساوي الأضلاع، قاعدته العزيمة وضلعاه الطموح والمثابرة. ومتى فقد أحد هذه الجوانب، تحوّل النجاح إلى فشل..

ومسيرة حياة الحاج أسعد حجازي العملية وصلت إلى حدود النجاح بشروطه الثلاثة التي أوصلته إلى هدفه وحقّقت أمنياته..

فهذا الرجل الذي خرج إلى العمل وهو في

الخامسة عشرة من عمره، خاض في مختلف المجالات، لا سيما الزراعة والتجارة والصناعة. ولما ضاقت به الأحوال ولم يعد العمل يعطي المردود الكافي، طرق أبواب السفر رغم عدم حيازته للإمكانيات المطلوبة لذلك، لكنه لجأ للاستدانة حتى يحقّق طموحه..

وهو يقول في ذلك: ".. استدنت خمساً وستين ليرة وسافرت إلى الكويت حيث عملت هناك لمدّة سنة تمكّنت خلالها من جمع مبلغ ألفي ليرة، عدت به إلى لبنان، وأسّست "مكبساً" للحجارة. حيث عملت بيدي وعرقي طيلة خمسة عشر عاماً إلى أن تجمّع لديّ مبلغ خمسين ألف ليرة..".

ولا ينسى الحاج أسعد حجازي فترة الأحداث الأليمة التي ألمّت بلبنان منذ العام 1976، عندما سافر إلى قبرص في قارب صيد ليجرّب حظّه في التجارة، حيث كان النجاح بانتظاره في مجال تجارة الإسمنت..

ويُسجّل للحاج أسعد أنه كان من أوائل من استخدم مواعين خشبية كبيرة ليتمكن بها من نقل البضائع من البواخر الضخمة التي لا تستطيع الرسو في الميناء، وكان بذلك من أوائل التجار الذين استوردوا الإسمنت مباشرة إلى ميناء صيدا..

وهكذا طوّر الحاج أسعد عمله متّخذاً الصدق في المعاملة شعاراً ورصيداً..

وهو يعزو نجاحه إلى القناعة مشيراً إلى أنه ليس هناك من عقباتٍ تعترض طريق العمل ما دامت القناعة موجودة، مستنداً في ذلك إلى حادثةٍ جرت معه عندما كان مُبحراً من صيدا إلى قبرص، فارتفع الموج وهاج البحر وانحرفت السفينة عن مسارها، حيث أمضى ثماني عشرة ساعةً في البحر، وصلت بعدها بسلام وعاد بما استورده من الإسمنت ليوزّعه في لبنان كلّه وليس في الجنوب فقط..

لقد عمل الحاج أسعد في أصعب الظروف، لا سيما إبان الحرب الأهلية في لبنان، حيث نجح في تأمين الكثير من حاجات السوق المحلي من الحديد والترابة وما شابه. وانتقل بعدها ليتفرّغ لتأسيس عائلةٍ حيث وفّقه اللّه إلى ذلك وبات يعتمد على أولاده، ونظّم إدارته بشكلٍ جيّد وبعقلية يفتقر إليها الرجال الجامعيّون، رغم أنه ترك الدراسة منذ الصّغر، لكنه اكتسب خبرته في الإدارة من الحياة والعمل.

وهكذا، قسّم الحاج أسعد مؤسّسته إلى عدّة شركات في مجالات عمل مختلفة، من مجال المقاولات إلى استيراد مواد البناء والسيراميك، وغيرها.. مقدّماً فرص عملٍ لعشرات العائلات الجنوبية. كما أنه فتح مجمّعاته السكنية أمام النازحين من الجنوب إبان الاعتداءات الإسرائيلية وعدواني تموز 1993 ونيسان 1996 وحرص على احتضانهم وإيوائهم.

ويردّد الحاج أسعد دائماً المثل الشعبي القائل: "على قدّ بساطك مد رجليك" فيقول: "القناعة كنز لا يفنى".. وهو يشدّد على دور التربية في البيت والمدرسة مُعتبراً أن تقصير المجتمع الأهلي بحقّ النشء يجب أن يتوقّف حتى نزرع النجاح في شبابنا...

بصمات على دروب النجاح

السيد جميل سليم منانا

قال الشاعر:

"ألم ترَ أنَّ الليلَ بعدَ ظلامهِ

عليهِ لإسفارِ الصباحِ دليلُ؟!"

تلك هي حال الحياة، المتقلّبة بأهلها ليلاً ونهاراً، والعاقل هو من يصنع من عتمة أيامه سراجاً ينير مستقبله.

ورجل الأعمال الجنوبي جميل سليم منانا ابن

بلدة الصرفند، صبر على العتمة حتى أضاء حياته بنفسه، وبكدّه وتعبه.

فمعاناته الطويلة التي تركت أثراً داخلياً لديه، بدأت وهو في سنّ العاشرة، حيث كان لأسلوب التدريس والتعنيف من قبل الأساتذة في مدرسة الصرفند وقعاً قاسياً عليه دفعه للتحرّر من هذا الأسلوب الذي واجهه أيضاً في منزله، فكان قراره هو ترك المدرسة.

وهكذا انطلق منانا في مسيرة العمل والكفاح صغيراً، وتنوع عمله الأوّل من توزيع الثلج في شوارع بيروت، إلى تصليح إطارات السيارات، إلى التمرّس في كهرباء السيارات، إلى العمل كسائق سيارة عمومية وسائق بيك أب لنقل وشحن البضائع والخضار من أسواق بيروت إلى الجبل... وكان إيمانه باللَّه تعالى يعطيه الطاقة للوقوف بوجه المعاناة. لكنه كان قد قرّر أن لا يعود إلى بلدته الصرفند، إلا بعد أن يصبح ذا شأنٍ وصاحب مهنة ونفوذ اجتماعي، كي يثبت للجميع أنه رجلٌ بكلِّ ما للكلمة من معنى.

وما هي إلا سنوات، حتى بدأ الرزق يتكاثر بين يديه وتمكّن منانا من تطوير عمله ليصبح

صاحب سيارات شحن كبيرة، ومؤسّسات لمواد البناء والتجارة العامة.

يتذكّر منانا معاناته خلال أعمال نقل البضائع حيث كان يضطر لسلوك المخاطر لتأمين مادّة الطحين والمواد الغذائية في أوج الحرب الأهلية المؤسفة في لبنان بين منطقتي بيروت الشرقية والغربية. حيث كان كلّ يوم يعبر فيه حواجز الموت ويُكتب له عمر جديد...

كان يرى الموت بأُمّ عينيه، الجثث على جانبي الطريق وعلى الرّغم من ذلك، كان توكّله على اللّه وإيمانه به قوياً لم يتزعزع قيد أنملة، وساعده ذلك على الصبر والثبات والاستمرار.

وكما خلال الحرب الأهلية، كانت معاناته أيضاً خلال الاجتياح الإسرائيلي عام 1982، ورغم ذلك واصل منانا كفاحه في أصعب الأوقات وأحلك الظروف، واستمرّ في تأمين البضائع ومادّة الطحين وغيرها لمناطق الجنوب التي كانت تتعرّض للقصف المدمّر بهدف قطع التواصل بين قراها، وكان بذلك يصل ما انقطع ويؤدّي رسالةً صامتةً بعيدةً عن الأضواء، رسالة جهاد ومقاومة مدنية، إن دلّت على شيءٍ فإنما تدلّ على تشبثّه بأرضه وصموده مع شعب الجنوب بوجه هذا الاحتلال.

في العام 1960 تزوّج السيد جميل منانا بالسيدة هنية أحمد نجم ورُزق منها تسعة أولاد هم اليوم من خيرة المدراء والمشرفين على مؤسّسات والدهم المتعدّدة وهم يعتبرونه مثالاً أعلى يُحتذى به.

يقول السيد جميل منانا: الحمد للّه أولاً وأخيراً على كلّ ما أعطانيه ومنحني إياه في رزقي وعيالي. فمن جدّ وجد، ومن طلب العلا سهر الليالي. أما رسالته لأولاده ولابن الجنوب فهي الكفاح، الذي يعتبره مع الصبر مفتاح الفرج... و"ما حكّ جلدك مثل ظفرك".

هكذا كافح السيد منانا وانتصر بفضل توفيق اللّه عزّ وجلّ وعونه له على تخطّي مصاعب الحياة ومشاقّها، فكانت مدرسة الحياة خير مدرسة علّمته قواعد الحياة الأساسية ونجح فيها...

بصمات على دروب النجاح

السيد علي مصطفى زيدان

أن يخضع الإنسان لتجربة ما، فهذا أمر يصادفه كلٌّ منّا في حياته اليومية.. ولكن الإنسان الذّكيّ والناضج هو الذي يستفيد من تجاربه ويصنع منها نجاحه وتفوّقه..

حكمة عمليّة يعرفها كلّ متمرس في هذه الحياة.. فمرّة يحالفنا الحظّ، ومرّة يخذلنا ويعود فيقف إلى جانبنا.. وهكذا...

هذه الحكمة وعاها رئيس جمعية تجّار صور علي مصطفى زيدان منذ تدرّجه الأول في التجارة، عندما هاجر إلى القرن الأفريقي عام 1947 وهو لا يملك فلساً واحداً.. فمنذ وصوله إلى "دكار" في السنغال، عاكسه الحظّ، وبقي شهراً كاملاً من دون عمل، توجّه بعدها إلى غينيا الفرنسية قاصداً بعض أقربائه وتمكّن بمساعدتهم من تأسيس محل تجاري صغير بمبلغ لا يتعدى الـ 150 ألف فرنك، فإذا بهذا المبلغ يتضاعف بعد ستة أشهر فقط..

وهكذا، بدأت تجارة أبي صلاح زيدان تكبر وتتّسع شيئاً فشيئاً، حتى أصبح واحداً من وجهاء الجالية اللبنانية في منطقة "بوكيه" الغينية.. ثم انتخب مسؤولاً عن الجالية في المنطقة نفسها بمساعدة كومندان فرنسي..

وزاد عمله اتساعاً ونجاحاً، بفضل إخلاصه في العمل، وأصبح أبو صلاح زيدان اسماً كبيراً في السوق..

لكن الرياح جرت بما لا يشتهي، ولم تكتمل فرحته بالنجاح في العمل بسبب احتراق محله عام 1958، حيث أتت النيران على رأس ماله بكامله.. ليس هذا فحسب، بل رتّبت عليه هذه الخسارة ديوناً كثيرة تمكن من تسديدها بقيمة تأمينه على المحل. غير أن المشكلة لم تنتهِ، وأصبح أبو صلاح مفلساً، فقصد بعض الشركات التي كان يتعامل معها طالباً المساعدة من أصحابها الذين استأجروا له محلاً وأمّنوا له بضاعةً، ليعود إلى العمل مجدّداً وبزخم أكبر ونجاح أكثر..

ويقول أبو صلاح زيدان عن تلك المرحلة: "لم أكن أرغب بالعودة إلى وطني خالي الوفاض لذلك أصررت على المواظبة في العمل حتى حقّقت نجاحاً باهراً وعوّضت الخسارة..".

وفي العام 1961، عاد أبو صلاح زيدان إلى لبنان، فوجد فيه مقومات للعمل والعيش، وقرّر الاستقرار في وطنه نهائياً، حيث أنشأ مؤسسة للألبسة مكّنته في فترة قصيرة من تأسيس أربعة محلات تجارية في مدينته صور التي أحبّها كما أحبّ الجنوب. وحبّه لأرضه دفعه إلى البقاء والصمود إبان الحرب والاجتياح..

ويتمنى أبو صلاح زيدان أن يأخذ الشباب العبر من تجارب الآخرين فيقول: "إن شبابنا اليوم مثقفون ولديهم طموح للعمل، فآمل أن يأخذوا العبر ممن سبقهم في ميدان العمل والحياة وتجاربها وأن يكافحوا بكد وجهد لكي يصلوا إلى أهدافهم. وأتمنى على الشاب الجنوبي واللبناني عموماً، أن يتعب في صنع مستقبله حتى يرتاح ويتمكّن من تأسيس أسرته. كما أتمنى على كلّ مغترب أن يعود إلى وطنه وأرضه..".

والإخلاص والصدق كلمتان مضيئتان يعمل بهما أبو صلاح زيدان دائماً، وهذا العمل مكّنه فيما بعد من تأسيس جمعية تجار صور التي تولّى رئاستها في السابق، ويتولاّها حالياً..